مسلم بن عقيل عليهما السلام

معركة القصر!

تأليف

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

پدید آورنده : اشرف الحسيني ، علي سيد جمال ، ١٣٣٧ ـ
عنوان : مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر!
تكرار نام پدید آورنده : تأليف السيد علي السيد جمال اشرف الحسيني
مشخصات نشر : قم ؛ طوبای محبت ، ١٣٩٠.
مشخصات ظاهري : ٤٩٨ص. [پالتويى]
وضعيت فهرست نويسى : فيپا. ISBN: ٩٧٨-٦٠٠-٦٠٨٥-٤٩-٤
يادداشت : كتابنامه به صورت زير نويس.
يادداشت : عربى
موضوع : مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ق.ـ سرگذشتنامه
موضوع : مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦١ق.ـ واقعه كربلا.
رده كنگره : ١٣٩٠ ، ٥ م ٥ ج/٤ /٤٢ BP
رده ديويى : ٢٩٧ / ٩٥٣٧ شماره مدرک : ٢٣١٧٨٨٠
كتابخانه ملي ايران



مسلم بن عقيل عليهما السلام



معركة القصر!

المؤلف : السيد علي السيد جمال اشرف الحسيني

المطبعة : ذاكر

الطبعة : الأولى ١٤٣٣ هـ.ق

الكمية : ١٠٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

قم / بولوار ١٥ خرداد
فرع ٥٧ / جنب مسجد امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام/ رقم ٣٠
شارع چهار مردان / فرع ٦ / رقم ١٥٣
٠٢٥١ ـ ٧٧٨٤٠٨٣ / ٠٩٣٦ ٩٨٩ ٤٤٧٣
www.ketabashura.blogfa.com
E-Mail: ketabashura@hotmail.com

قم / بولوار سميه/ ١٦ مترى عباس آباد / رقم ١١٣
٠٢٥١ – ٧٧٤٠٠٦٦ / ٧٨٣٣١٤٣
٠٩١٣ ٢٥٣ ٤٩٦٨
E-Mail: tobay-mohebat@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

معركة القصر

الحمد لله الذي لا إله إلّا هو الملك الحقّ المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأوّل غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقها، فاستقرّت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربّنا في السَّماواتِ الْعُلى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى، فأنا أشهد بأنّك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا

واضع لما رفعت، ولا معزّ لمن أذللت، ولا مذلّ لمن أعززت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت[1].

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِك، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتك عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِك، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ

١. بحار الأنوار: ٨٣/ ٣٣٢ باب ٤٥.

الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ[1].

اللّهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك على عترة نبيك العترة الضائعة الخائفة المستذلّة، بقية الشجرة الطيّبة الزاكية المباركة، وأعل ـ اللّهم ـ كلمتهم، وأفلج حجّتهم، واكشف البلاء واللأواء، وحنادس الأباطيل والعمى عنهم، وثبّت قلوب شيعتهم وحزبك على طاعتهم وولايتهم ونصرتهم وموالاتهم، وأعنهم وامنحهم الصبر على الأذى فيك، واجعل لهم أياماً مشهودة، وأوقاتاً محمودة مسعودة، توشك فيها فرجهم، وتوجب فيها تمكينهم ونصرهم، كما ضمنت لأوليائك في كتابك المنزل، فإنّك قلت ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ

١. نهج البلاغة: ١٠١ خ ٧٢.

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[١].

والعن اللّهم أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك، اللّهم واهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيداً، واستهلّ به فرحاً ومرحاً، وخذ آخرهم كما أخذت أوّلهم، وأضعف اللّهم العذاب والتنكيل على ظالمي أهل بيت نبيك، واهلك أشياعهم وقادتهم، وأبر حماتهم وجماعتهم[٢].

وصلّ اللّهم على حبيبي ومالك رقي وسيّدي وإمامي الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع

١. مصباح المتهجّد: ٧٨٥.
٢. مصباح المتهجّد: ٧٨٥.

لمرضاة الله، المتحقّق بصفات الله، والدليل على ذات الله، أفضل ثقاة الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القتيل المرجوم، الإمام الشهيد، الولي الرشيد، الوصي السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيب الوفي، الإمام الرضي، ذو النسب العلي، المنفق الملي، أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام.

منبع الأئمة، شافع الأمّة، سيّد شباب أهل الجنّة، وعَبرة كلّ مؤمن ومؤمنة، صاحب المحنة الكبرى، والواقعة العظمى، وعَبرة المؤمنين في دار البلوى، ومن كان بالإمامة أحقّ وأولى، المقتول بكربلاء، ثاني السيّد الحصور يحيى ابن النبي الشهيد زكريا عليهما السلام، الحسين بن علي المرتضى عليهما السلام.

زين المجتهدين، وسراج المتوكّلين،

مـفخر أئمّـة المـهتدين، وبـضعة كـبد سيّد المرسلين ﷺ، نـور العـترة الفـاطمية، وسراج الأنساب العـلوية، وشرف غـرس الأحساب الرضـوية، المـقتول بأيـدي شرّ البريّة، سبط الأسباط، وطـالب الثأر يـوم الصراط، أكرم العتر، وأجلّ الأسر، وأثمـر الشجر، وأزهر البدر، معظّم، مكرّم، موقّر، منظّف مطهّر...

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزّهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العـرف، أطـيب العـرق، وأجمـل الخـلق، وأحسـن الخـلق، قـطعة النـور، ولقـلب النبي ﷺ سرور، المنزّه عـن الإفك والزور، وعلى تحمّل المحن والأذى صبور، مع القلب المشروح حسـور، مجـتبى المـلك الغـالب، الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[1].

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي

الذي حمـله مـيكائيل، ونـاغاه في المـهد جبرائيل، الإمام القتيل، الذي اسمه مكتوب على سرادق عرش الجليل «الحسين مصباح الهدى، وسـفينة النـجاة»، الشـافع في يـوم الجزاء، سيدنا ومولانا سيّد الشهداء عليه السلام[1].

الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال:.. وجعلت حسيناً خـازن وحـيي، وأكـرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامّة معه، والحـجّة البـالغة عـنده، وبعترته أثيب وأعاقب[2].

الذي قـال فـيه جـدّه المـبعوث رحمـة للعالمين ﷺ: حسين منّي وأنا مـن حسـين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً[3].

← أشرف: ١٠ / ١١٣.
١. معالي السبطين: ٦١.
٢. كمال الدين: ٢ / ٢٩٠ ح ١.
٣. بحار الأنوار: ٤٥ / ٣١٤.

وقـــال رســـول الله صلى الله عليه وآله، وهـو الصـادق الأمـــين: إنّ حبّ عـــلي قـذف في قـلوب المؤمنين، فلا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المؤمنين والمـنافقين والكافرين، فـلا ترى لهم ذامّاً[١].

فمن أيّ المخلوقات كان أولئك المردة العتاة، وأبناء البـغايا الرخـيصات، الذيـن قـاتلوه بغضاً لأبيه، وسبوا الفاطميات، ولم يحـفظوا النبي صلى الله عليه وآله في ذراريه.

قال الإمام سـيّد السـاجدين عليه السلام:.. أيّهـا الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكـابل، مـن غير جرم إجترمناه، ولا مكروه ارتكـبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، ﴿إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾.

١. المناقب: ٩ /٤٧، بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨١.

فوالله لو أنّ النبي صلى الله عليه وآله تـقدّم في قـتالنا كـما تقدّم اليهم في الوصاية بنا لما إزدادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّـا اليـه راجـعون، مـن مصيبة ما أعـظمها، وأوجـعها، وأفـجعها، وأكظّها، وأقطعها، وأمرّها، وأفدحها، فعند الله نحتسبه فيما أصابنا، وما بلغ بنا، إنّه عزيز ذو إنتقام[١].

ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكـي الذي سكن في الخلد، واقشـعرّت له أظـلّة العرش، وبكى له جميع الخـلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضـون السـبع، ومـا فيهن، وما بـينهن، ومـن يـتقلّب في الجـنّة والنار من خلق ربّنا، وما يرى وما لا يرى، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنّه قتيل الله وابن قتيله، وثار الله وابن ثاره، ووتر الله الموتور في السماوات والأرض[٢] حـتّى «يـبعث الله

١. بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٧.
٢. انظر: بحار الأنوار: ٩٨ / ١٥١ باب ١٨.

قائماً يفرج عنها الهمّ والكربات».

قال الحسين عليه السلام: يا ولدي، يا علي، والله لا يسكن دمي حتّى يبعث الله المهدي[1].

فذلك قائم آل محمد صلى الله عليه وآله يخرج، فيقتل بدم الحسين عليه السلام بن علي.. وإذا قام ـ قائمنا ـ انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين[2].

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله فقال: لمّا أسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي ـ جلّ جلاله ـ فقال: يا محمد، إنّي اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها، فجعلتك نبيّاً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً، وجعلته وصيّك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذرّيّتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى، وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن

١. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٣٤.
٢. بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٦.

والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع، ويصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم، فما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ. فقال عزّ وجلّ: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، وإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، و«م ح م د» بن الحسن القائم في وسطهم، كأنّه كوكب درّي.

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحلّل

حلالي، ويحرّم حـرامـي، وبـه أنـتقم مـن أعدائي، وهو راحـة لأوليـائي، وهـو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللّات والعزى طـريين فيحرقهما، فلفتنة الناس ـ يومئذٍ ـ بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري[١].

وروى عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء، فألفـيته كـاسف اللّـون، ظـاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عـينيه كـاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يـا ابـن رسـول الله، مـمّ بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك.

فقال لي: أو في غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

١. كمال الدين: ١ / ٢٥٢ باب ٢٣ ح ٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٩ ح ١٨٥.

فقال لي: صمه من غير تـبييت، وأفـطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا ـ يومئذٍ ـ حيّاً لكـان صـلّى الله عـليه وآله هو المعزّى بهم.

قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتّى اخضلّت لحيته بدموعه..

ثم عـلّمه آداب يـوم عـاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم الى أن قال: ثم قل:

اللّهم عذّب الفجرة الذين شاقّوا رسولك، وحـاربوا أوليـاءك، وعـبدوا غـيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان مـنهم فـخب وأوضـع مـعهم، أو

رضي بفعلهم لعناً كثيراً.

اللّهم وعجّل فرج آل محمد ﷺ، واجـعل صلواتك عليه وعـليهم، واسـتنقذهم مـن أيــدي المـنافقين المـضلّين، والكـفرة الجاحدين، وافتح لهم فتحاً يسيراً، وأتح لهم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم مـن لدنك على عدوّك وعدوّهم سلطاناً نصيراً..

اللّــهم إنّ كــثيراً مــن الأمّـة نـاصبت المستحفظين من الأئمة، وكـفرت بـالكلمة، وعكـفت عـلى القـادة الظـلمة، وهـجرت الكتاب والسنّة، وعدلت عن الحبلين اللّذين أمـرت بـطاعتهما، والتمسّك بهـما، فأمـاتت الحــقّ، وجـارت عـن القـصد، ومـالأت الأحزاب، وحرّفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها، وضيّعت حقّك، وأضلّت خـلقك، وقـتلت أولاد نبيك، وخيرة عبادك، وحملة علمك، وورثة حكمتك ووحيك.

اللّـهم فـزلزل أقـدام أعـدائك، وأعـداء رسولك، وأهل بيت رسولك.

اللّهم وأخرب ديارهم، وافلل سلاحهم، وخالف بين كـلمتهم، وفتّ في أعـضادهم، وأوهن كيدهم، واضربهم بسيفك القـاطع، وارمهم بحـجرك الدامـغ، وطـمّهم بـالبلاء طمّاً، وقمّهم بـالعذاب قمّاً، وعـذّبهم عـذاباً نكــراً، وخــذهم بـالسنين والمـثلات التي أهـلكت بهـا أعـداءك، إنّك ذو نـقمة مـن المجرمين.

اللّــهم إنّ ســنّتك ضـائعة، وأحكـامك معطلة، وعترة نبيك في الأرض هائمة، اللّهم فأعن الحقّ وأهله، واقمـع البـاطل وأهـله، ومنّ عـلينا بـالنجاة، واهـدنا إلى الإيمـان، وعجّل فرجـنا، وانـظمه بـفرج أوليـائك، واجعلهم لنا ودّاً، واجعلنا لهم وفداً[1].

---

١. مصباح المتهجّد: ٧٨٤، بحار الأنـوار: ٩٨/ ٣٠٥ باب ٢٤.

والصلاة والسلام على أصحاب الحسين عليه السلام الذين كشف لهم سيّد الشهداء عليه السلام «الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها، وإلى مكانه من الجنّة[1]»، ووعدهم ربّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة على أعدائهم فقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ يخاطب بذلك أصحاب الحسين عليه السلام[2].

وصلّ يا ربّ صلاة خاصّة نامية زاكية طيبة دائماً على مولاي الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام:

سلام الله العلي العظيم وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وأئمّته المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع

---

١. علل الشرائع: ١ / ٢٢٩ باب ١٦٣ ح ١، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٩٧ باب ٣٥ ح ١.
٢. تأويل الآيات الظاهرة: ٢٧٢.

الشهداء والصديقين، والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وقتلت على منهاج المجاهدين في سبيله، حتّى لقيت الله ـ عزّ وجلّ ـ وهو عنك راض.

وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وبذلت نفسك في نصرة حجّته وابن حجّته حتّى أتاك اليقين.

أشهد لك بالتسليم والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت، فنعم عقبى الدار. لعن الله من قتلك، ولعن الله من أمر

بقتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله من افترى عليك، ولعن الله من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك، ولعن الله من بايعك وغشّك، وخذلك وأسلمك، ومن ألّب عليك ولم يعنك، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورود.

أشهد أنّك قد قتلت مظلوماً، وأنّ الله منجز لك ما وعدك... قتل الله أمّة قتلتك بالأيدي والألسن.

صلّى الله عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام، صلّى الله على روحك وبدنك.

أشهد أنّك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله المبالغون في جهاد أعدائه ونصرة أوليائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر جزاء أحد ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره.

أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود حتّى بعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً، ورفع ذكرك في العليين، وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أشهد أنّك لم تهن، ولم تنكل، وأنّك قد مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين، فإنّه أرحم الراحمين.

اللّهم ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا واحشرنا معه، وعرّف بيننا وبينه وبين رسولك وأوليائك في الجنان.

اللّهم صلّ على محمد وآل محمد، وتوفّنا على الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية

لعلي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ والأئمّة من ولده والبراءة من أعدائهم..[(١)].

أمّا بعد:

قد تناولنا في دراسات سابقة بعض المفاصل المهمّة في تاريخ حياة مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل: «قصّة شراء والدته»، و«قصّة التطيّر»، و«قصّة معقل»، و«قصّة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة رضوان الله عليه»، و«كونه عليه السلام ثائراً أم سفيراً».

وها نحن نحاول دراسة «معركة القصر» في هذه الرسالة واستكشاف أحداث ذلك اليوم، وربما نوفّق ببركة المولى الغريب لإتمام المسير معه إن شاء الله في الساعات الباقية في الكوفة.

ونحسب أنّ قائلاً يقول: إنّ النتائج التي

١. انظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

خرجت بها البحوث نتائج خطيرة، قد تخالف المشهور، بل المتّفق عليه تاريخياً، فعلى أيّ أساس استندت، ومن أيّ عين انتهلت حتّى بلغت إلى ما بلغت وانتجت ما انتجت؟! وكنت من قبل قد سوّدت وريقات في تحديد المنهج والأسس التي عليها يقوم البحث ويقبل الحدث التاريخي أو يردّ، فأحببت أن أعرضها هنا مختصرة مقتضبة أشبه ما تكون بالعناوين والفهارس منها إلى البحث والتقرير، لتكون في متناول الأخوة، ويعرف من يقرأ هذه البحوث أنّنا لم نناقش بإذن الله وبركة أهل البيت عليهم السلام الأحداث فنثبت أو ننفي أو نتوقّف تشهياً واعتباطاً.

والمفروض أنّ من يقرأ المدخل سيقتنع بالنتائج إذا اقتنع بالمقدّمات والأسس.

ويعلم الله ويشهد سيّد الشهداء عليه السلام والمولى الغريب أنّنا تحرينا الاحتياط وقصدنا خدمة أهل البيت عليهم السلام وعزمنا

الدفاع عن حريمهم وقداستهم، وكلّ ما ينسب إليهم، فإن وفّقنا في ذلك فهو فضلهم ومنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفو جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

١٤٣٣/٣/٢٠

المدخل

يمكن وضع المعالم والشواخص ورسم الحدود التي يمكن أن تضبط حركتنا على صفحات التاريخ وتجعلنا نقبل أو نردّ أو نتوقّف ونحن واثقون في كلّ حدث يتعلّق بتاريخ أهل البيت عليهم السلام عامّة وسيّد الشهداء خاصّة ومولانا مسلم بن عقيل على الأخصّ.

وهذه الحدود والضوابط ربما تداخلت بعضها ببعض غير أنّنا فصّلناه لتوضيح البيان أكثر، ومنها:

أولاً:
اتّهام النصّ التاريخي

النصّ التاريخي المجرّد عندنا متّهم وقـابل للمناقشة حتّى تثبت صحّته بغضّ النظر عن السند.

أمّـا البـحث السـندي فـيه فـيكون فـيه حالات:

الحالة الأولى:

صحّة السـند والمـتن[١] وفـق المـوازيـن المقرّرة التي ستأتي في ثـنايا هـذا المـدخل، فيكون السند قرينة وشاهداً عـلى الصـحّة ومقوّياً لها.

١. نقصد بالسند والمـتن هنا السند والمـتن التـاريخي، ولا نقصد بها أسانيد الحديث الشريف، والروايات الواردة عـن أهـل بـيت العـصمة عليهم السلام، فـإنّ لهـذه الأسانيد والمتون بحوث وموازين خاصّة بهـا عـند الفقهاء وعلماء الدراية، ولنا فيها كلام يختلف تمـاماً عمّا نذكره هنا.

الحالة الثانية:

أن يكـــون الســـند التـاريخي صـحيحاً باعتبارات المـؤرّخين والمـتن فـاسداً وفـق الموازين المقرّرة، فلا قيمة للسند ولا المتن.

الحالة الثالثة:

أن يصحّ المتن ويضعف السند فـلا قـدرة للسند حينئذٍ على إسقاط المـتن لتـصحيحه وفق الموازين وموافقته لها، وغاية ما يـفيد ضعف السند تشكيل ثـغرة يمكـن لمـن أراد التشكيك أن يستند إليها.

الحالة الرابعة:

أن يكون الســند والمـتن فـاسداً فـيكون فساد السند قرينة وشاهداً على فساد المتن.

ثانياً:
ارتكاز المؤرّخ على بنائه العقلي

إنّ المؤرخ مهما كان لابد أن يكون مرتكزاً

إلى سوابقه ومرتكزاته وبنائه العقلي والعقائدي والنفسي وغيرها من المؤثرات في إدراك الحدث وفهمه وتقييمه وطريقة صياغته، سواء كانت مرتكزاته اعتقادية أو تربوية أو نفسية أو بدوافع الأهواء والطمع بما عند السلطان أو غيره.

ولا نتصوّر ما يسمّونه بالموضوعية والتجرّد في طريقة صياغة الحدث عند غير المعصوم، ولو وجد فهو أندر من النادر، بل ربما لا يكون أبداً، فكلّ من يشهد حدثاً ويرويه فهو يشهده ويرويه بمنظاره الخاصّ ووفق موازينه ومدركاته ومرتكزاته ومستوى فهمه.

ويحقّ لمن يقرأ الحدث ويريد أن يصوغه بطريقته الخاصة البحث والتأمّل لاكتشاف مرتكزات الراوي، ثم مناقشته وفق مرتكزاته العقائدية التي يعتقدها حقّاً، ثم يصوّره ويصوغه من جديد، أو يتوقّف فيه

أو يرفضه ويردّه، بناءاً على موافقته أو مخالفته لمعتقداته ومرتكزاته.

ثالثاً:

أخذ ما وافق الشروط المقرّرة

المؤرخ وإن كان متّهماً فيما يرويه لاختلاف المرتكزات أو اتهامه بالكتابة للسلطان الجائر على الأقل، فإنّه وراويه لا يعدّ كاذباً مطلقاً، كما لا يفترض فيه العصمة، فربما نقل لنا خبراً وحدّثنا حديثاً يخلط فيه الواقع بما يحقّق رضا السلطان وأغراضه أو يوافق معتقدات المؤرخ وأهوائه، والحسم في التمييز العرض على الثوابت المقرّرة، فما احتواه الخبر ممّا يوافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو متوقّف فيه أو مردود.

وبناءاً على هذا ربما يكون في الخبر الواحد ما يردّ وما يقبل وفق الموازين المقرّرة لا اعتباطاً وتشهياً وتحكيماً للهوى.

رابعاً:

طرح ما خالف الأصول الاعتقادية

تعدّ المتبنّيات العقائدية والأصول الموضوعة في العقيدة كبديهيات ترجع إليها كلّ علوم الدين وما يتعلّق بتاريخ الإسلام وشريعته ...

فإذا ورد أيّ حدث يخالف صراحة ما نعتقده من ضروريات المذهب الحقّ، ويكون غير قابل للتأويل بما ينسجم معها، فهو مطروح:

مثاله ما يرويه معاوية من اختلاف وهجران بين أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) في شؤون الدنيا، وأنّ معاوية أصلح بينهما، فهذا الخبر مرفوض مردود نضرب به عرض الجدار بقوّة ولا كرامة، لتعارضه مع اعتقادنا الضروري بعصمتهما، وبحاجة الخلق إليهما،

وعدم احتياجهما إلى أحد ...

خامساً:

أن لا يخالف التاريخ حديث أهل البيت (عليهم السلام)

يشترط في الخبر التاريخي أن لا يخالف الحديث الشريف المروي عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، فإنّ الحديث المروي عنهم بطرقنا ـ بغضّ النظر عن كونه نصّاً معصوماً وما يترتّب على ذلك ـ فإنّه يبقى في أقلّ التقادير نصّاً تاريخياً ينتسب إلى المعصوم (عليه السلام)، فإذا تعارض المؤرخ كابن سعد والطبري والبلاذري وغيرهم مع ما يرويه الكليني والبرقي والصدوق وغيرهم عنهم (عليهم السلام)، فإنّنا نقدّم ما يرويه أعلامنا، ضمن الأصول المقرّرة.

سادساً:

أن لا يخالف المسلّمات القطعية

يشترط في النصّ التاريخي أن لا يخالف مرتكزاتنا القطعية بالأشخاص والوقائع، فلو روى لنا التاريخ ما يفيد ـ ولو إشارة ـ جبن أحد الأولياء أو فراره من الزحف غير متحيّز إلى فئة أو ارتكابه ما لا يليق بالمؤمن سيما إذا كان الخبر غير قابل للتأويل بما يناسب شخصية ذلك الولي.

أو يروي لنا التاريخ ما يخالف المسلّم التاريخي الثابت عن أهل البيت عليهم السلام كتقييم شخص أو رضاهم عنه أو سخطهم عليه.

فمثلاً ثبت لنا تاريخياً تقييم سيّد الشهداء عليه السلام لمولانا مسلم بن عقيل عليهما السلام وأنّه ثقته ومعتمده وشهد له بالفضل، فكلّ ما سال به لعاب القلم التاريخي ممّا يخالف هذا التقييم والشهادة فهو مرفوض مردود.

ومثال آخر: فإنّ معرفتنا القطعية بشجاعة مولانا مسلم بن عقيل عليهما السلام وإقدامه وشهامته ووفاءه وبطولته وثباته واستقامته وغيرها من محامد الأخلاق ومعاليها، وجميل الصفات وساميها، فإذا ورد في التاريخ ما يدعو للريب فيها أو الطعن أو محاولة إثبات خلاف ذلك من غير إمكان التأويل في تعبير المؤلّف، فهو مرفوض مردود إلى نحر قائله من دون خوف ولا تردّد، فالقداسة والحصانة ثابتة لأولياء الله، والتجاسر عليهم أو رميهم بما لا يليق بهم عاقبته في غاية الخطورة، ولا يأمن العقاب عليه، والحال أنّ المؤرخ لم تثبت له قداسة ولا حصانة، فهو عار عنها خال منها حتّى نتبيّن ذلك فيه.

ومثال على الوقائع: ثبت تاريخياً وشرعياً أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام استشهد يوم العاشر من المحرم الحرام، فإيّ نصّ تاريخي

خالف هذا المسلّم التاريخي لا قيمة له ولا يصحّ الاعتماد عليه والاستدلال به.

سابعاً:

أن لا يكون دفاعاً عن الظالم

أن لا يكون في كلام المؤرّخ ما يكون دفاعاً عن ظلم الظالم، وتبريراً لمواقف السلطان الجائر الحاكم، وطمساً لمظلومية المظلوم، وتصويراً للحدث بما يخدم صاحب البلاط والأجير والمأجور.

ففي مثل هذه الحالات نتريث، ثم نجمع الشواهد، وندرس القرائن، ونحلّل المواقف، فربما كان أصل الحدث قد حصل وفعله السلطان غير أنّه كان موقفاً يراد له أن يسجّل في التاريخ لتحقيق الأغراض المنشودة، فحينئذٍ قد نقبل صدور الحدث بشرط أن يكون ضمن بيان دوافعه بحيث لا يشكّل تزكية للظالم أو إثباتاً لفضيلة له هو عار عنها ممنوع منها.

وكذا إذا حدّثنا التاريخ بما يثبت منقبة لعدوّ الله في موقف يثبت فيه ما لا يليق أو بضدّ تلك المنقبة لولي أهل البيت عليهم السلام.

ثامناً:

أن لا يخالف إجماع الشيعة

أن لا يخالف بديهة من بديهيات الشيعة والمجمع عليه بينهم وما اتفقوا عليه بشرط أن يكون المشهور المتّفق عليه في الأعصار والأمصار غير معتمد على نصّ تاريخي معروف، وهو ما قد يطلق عليه بسيرة المتشرعة، كأن يشتهر عندهم عن طريق التناقل بالصدور كابراً عن كابر، أو استناداً إلى ما روي عندهم عن طريق أهل البيت عليهم السلام وإن كان بالموازين الفنية التخصصية يسمّى ضعيفاً.

فإذا كان إجماعهم واتفاقهم مستنداً إلى

نصّ تاريخي لمؤرّخ معروف، فقيمته قيمة ذلك النصّ التاريخي مضافاً إليه قيمة جديدة تسنده وتجعله أقوى نسبتاً من النصوص الأخرى، وهي قيمة استناد الشيعة إليه.

فقد وردت الأخبار في التاريخ تقرّر أنّ المباشر لقتل سيّد الشهداءعليه السلام هو سنان ابن أنس، كما وردت أخبار تقرّر أنّه شمر بن ذي الجوشن، فاشتهار الثاني عند الشيعة إن كان ناشئاً من الاعتماد على الأخبار الواردة في ذلك فحسب، تكون الشهرة بينهم مرجّحاً قوياً.

أمّا إذا كان النصّ المعتضد بالمشهور عند الشيعة يلزم منه إحدى المحاذير السابقة، ويؤدّي إلى اختراق الحدود المرسومة، فحكمه تماماً حكم أيّ نصّ تاريخي آخر، حيث يكون معرّضاً للنقاش، ومحلّاً للردّ والقبول، وخبراً قابلاً للتصديق والتكذيب.

تاسعاً:

استكشاف بعض الأحداث من الوقائع

يمكن لمن قرأ التاريخ بتأمّل أن يجمع عدّة أحداث يرويها المؤرّخون متفرّقة ضمن عرض صورة واحدة، فيجعلها مقدّمات لاستخلاص نتيجة تكون قوّتها بقوّة مقدّماتها.

فإذا كانت الأحداث متّفق عليها وعلى نسبة عالية من القوّة على صفحات كتب المؤرّخين تكتسب النتيجة نفس القوّة والمتانة بالرغم من عدم ذكر المؤرّخ لها.

فربما أخفاها المؤرّخ عامداً قاصداً لتحقيق غرض ما، أو غفل عنها دون قصد، أو أعرض عنها اختصاراً وما شاكل.

مثل:

المقدّمة الأولى:

روى المؤرخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام جعل فسطاطاً في مقدّمة مخيّمه وجعله للشهداء.

المقدّمة الثانية:

روى المؤرّخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان ينقل الشهداء، سيّما الشهداء من آل البيت عليهم السلام إلى ذلك الفسطاط.

المقدّمة الثالثة:

إنّ الشهداء كانوا يحملون إلى المخيم ورؤوسهم على أبدانهم، ولم يستشهد بقطع الرأس منهم إلّا أفراد معدودين، وربما كانوا خمسة لا أكثر.

المقدّمة الرابعة:

إنّ ابن سعد ـ لعنه الله ـ أمر بقطف الرؤوس صباح اليوم الحادي عشر ليجهّزها ويرفعها على الرماح.

النتيجة:

إنّ القوم هجموا على مخيم الحسين عليه السلام بعد صدور أمر اللعين، وجعلوا يقطعون رؤوس الشهداء على مرأى من العلويات والنساء، فيجلس اللعين على صدر علي الأكبر أو القاسم بن الحسن وو.. ويعمل خنجره أو سيفه أو سكينه بعنف في عنق الشهيد حتّى يجتزّ رأسه، وأمّه وباقي العلويات وقوف ينظرن إلى هذا المشهد المروّع الذي يزيل الجبال عن مستقرّها، ويصدع الفؤاد ويزهق النفس ويستلّ الروح استلالاً...

يا لها من مصيبة ما أعظمها! غير أنها لم يذكرها أيّ واحد من المؤرّخين ـ حسب فحصنا ـ، فهذا الحدث العظيم الجسيم مستنتج من تلك المقدّمات، وليس لأحد أن يعتبره لسان حال، أو خيال، وإنما هو واقع أدّت إليه الوقائع وأثبتته المقدّمات.

عاشراً:

تفصيل المختصر

ربما اختصر المؤرّخ حدثاً كاملاً أو أحداثاً في عبارة لأيّ غرض من أغراضه، وحينئذٍ يمكن فكّها والاستفادة منها، ونثر ما في بطنها، ليخرج منها أحياناً عسكر كامل، أو حرب بكلّ تفاصيلها، وسيأتي في ثنايا الكتاب مثل لذلك[1].

الحادي عشر:

فكّ رموز كلام أهل البيت (عليهم السلام)

يلاحظ أنّ أهل البيت (عليهم السلام) عوّدونا على التعبير عن الأحداث التاريخية بعبارات مختصرة جدّاً، أو أشاروا إليها بأسلوب التشفير والترميز، أو دمج الأحداث الضخمة

١. انظر: تقسيمات قطعات عسكر ابن زياد.

الكبيرة وضغطها في رموز وألفاظ جزلة قويّة عميقة لا تتعدّى الجملة المكوّنة من ثلاث أو أربع كلمات، بل قد تكون كلمة أو كلمتين، بيد أنّها تحكي حدثاً يستوعب صفحات كثيرة إذا ما فكّت الرموز، وذلك للتقيّة أو لأسباب أخرى:

كقولهم: «سبينا سبي ترك وكابل»، أو «سبينا كما يسبى الديلم».

أو قولهم: «ذبح جدّي الحسين (عليه السلام) كما يذبح الكبش».

أو قول الرضا (عليه السلام): «يوم عاشوراء أذلّ عزيزنا»...

أو خطب الصديقة الصغرى (عليها السلام)، وخطب سيّد الساجدين (عليه السلام)، وخطب الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وهكذا..

الثاني عشر:

ملاحظة تفرّق الحدث

يلاحظ تفرّق الحدث عند المؤرّخ أحياناً كثيرة، فهو يستعرض حركة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام مثلاً من مكة إلى الكوفة ضمن عرضه لحركة قيام سيّد الشهداء عليه السلام، فيذكر انطلاقه من مكة وهو يتحدّث عن أيام إقامة سيّد الشهداء عليه السلام في مكة، ثم يغيّب المشهد أحداث حركة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ويستمر في الحديث عن قيام سيّد الشهداء عليه السلام وغيره من الأحداث، ثم يعود للحديث عن المولى، ممّا يؤدي إلى تشتّت الذهن وفتح المجال لتسريب الأكاذيب أو التلاعب بالحدث.

الثالث عشر:

الاستناد إلى غير المصادر العربية

للدارس أو الباحث والمحقّق أن ينفلت من طوق الاقتصار على المصادر العربية للوصول إلى الأحداث والوقائع أو الحقائق التاريخية، فإنّ لكلّ أمّة طريقها إلى التاريخ، وربما سجّلت بطرقها أحداثاً لم تكن في مرمى النظر للراوي الذي يعتمده المؤرّخ الكاتب بالعربية، أو أنّه رصد ما لم يهتم به الراوي الآخر، أو لم يلتفت إليه، فما رواه المؤرّخ البريطاني وسجّله من «مطر السماء دماً في بريطانيا يوم عاشوراء» لا يمكن للمؤرّخ الذي يعيش بالجزيرة أو العراق أن يسجّله في نفس يوم عاشوراء من تلك السنة، لأنّه خارج عن مرمى نظره ونظر راويه....

فلماذا لا نعتمد أو على الأقلّ نستشهد

بالمصادر الفارسية والتركية والأردوية، بل حتّى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات والأمم.

قال الشيخ المحقّق عبد الواحد المظفر في كتابه بطل العلقمي:

«وكأنّي أسمع بعض القرّاء لكتابنا هذا من منتحلي الثقافة ومدّعي التنوير، وزمرة من التجدّديين الذين لا يريدون إثبات فضيلة لأهل هذا البيت النبويّ المفخّم، وفئة من المتفقّهين بلا معرفة وتمييز، وهناك فئام يضرعون لأوهام وخيالات يسمّونها بالعقول، والعقول بريئة من كلّ فكر سطحيّ وخيال وهميّ، سيقولون إذا مرّوا بهذه الحكايات: كيف اعتمد مؤلّف كتاب "بطل العلقميّ" في نقل هذه الحكايات على الكتب الفارسيّة والتواريخ الأعجميّة ومؤلّفوها يتمسّكون بالواهيّات ويعتمدون المراسيل...، ولو شهد العبّاس بن عليّ عليهما السلام

صفّين وكان في صفّ المحاربين لذكره المؤرّخون أساتذة فنّ التاريخ كالطبريّ والجزريّ والمسعوديّ وأضرابهم؟!

فيظنّ من لا معرفة له ولا إلمام بحقائق الأشياء أنّ هذه المقالة مبتنية على أساس محكم وبناء مرصّف في ركن وثيق، وهي لدى التحقيق على جرف منهار قد جرفه السيل، وعلى رأس منار متداعي الأركان قد زعزعته العواصف وهدّته القواصف.

المؤرّخون الذين لهم شهرة لم يضبطوا كلّ حادثة، ولم يقفوا على كلّ قضيّة من القضايا التاريخيّة، فبعض الوقائع قد وصل إليهم نبؤه وبعضها لم يصل، والذي لم يصلهم أكثر ممّا وصل إليهم، وقد فات الطبريّ ما استدركه عليه الجزريّ، وذكر المسعوديّ مالم يذكره اليعقوبيّ، وهكذا، فما وصل إليهم فقد ذكروه، وما لم يصل إليهم لم يبق في طيّ الخفاء المظلم، بل برقت بارقة من ذلك العلم

فأضاء لطالبيه وأسفر لرائديه، فاقتضبوا منه شارده، وأحتبلوا قنيصه، فكان كالمستدرك على من فاته العلم به.

وقد استدرك الحاكم النيسابوريّ على صحيحي! مسلم والبخاريّ من الأحاديث الصحيحة على شرطهما ما ساوى حجم الكتابين معاً، والصحاح! الباقية الأربعة أو الثمانية بناء على جعل الصحاح! عشرة عندهم كالاستدراك أيضاً على الصحيحين هذا من ناحية أهل السنّة والجماعة.

وأمّا من ناحية أهل التشيّع فقد استدرك الميرزا النوريّ على وسائل الشيعة للحرّ العامليّ ما ساوى حجمها.

فليكن ما رواه هؤلاء العلماء من الأعاجم كالمستدرك على التواريخ المشهورة، وليست بأقلّ من متفرّدات الأغاني لأبي الفرج»[١] ....

١. بطل العلقمي للمظفّر: ٢ / ٢٤٠.

النتيجة

تبيّن ممّا مرّ: أنّ الترّ والشاقول الذي يقاس إليه التاريخ فيردّ إليه الزائد ويلحق به الناقص، والميزان الذي على أساسه يقوّم الحدث التاريخي المروي إنّما هو:

١. كتاب الله.

٢. **سنّة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام.**

٣. **الاعتقادات الضرورية الحقّة.**

٤. **المرتكزات الموافقة للحقّ.**

فما وافق كلام أهل البيت عليهم السلام أو لم يخالفه قبلناه (ومنه تتألّف منظومة العقائد والمسلّمات والمرتكزات الحقّة).

وما خالف ذلك فهو ساقط لا يعتمد عليه ولا يعتدّ به، ولا يستدلّ له.

المقدّمة

سجّل لنا التاريخ يوماً من أيام المولى ثـقة الحسين مسلم بـن عـقيل عليه السلام في الكـوفة، نـــادى فـيه البـطل الهـاشمي بشـعاره «يـا مـنصور»، وانـطلق بمـن أجـابه إلى قـصر الطاغية القزم فحاصره! ثم جـرت أحـداث سنأتي على ذكرها إن شاء الله تعالى....

وسـنحاول ـ مـا اسـتطعنا ـ اسـتكشاف أحداث ذلك اليوم ودراستها باختصار.

دواعي النداء بالشعار

ينبغي أوّلاً أن نتعرّف إلى الأسباب والدوافع التي أدّت إلى رفع هذا الشعار وانطلاق حفيد أبي طالب عليهما السلام نحو القصر ..

ومعرفة الأسباب والدوافع لها دور أساس في فتح الآفاق لتحليل المواقف ودراسة الخطوات المتّخذة، وتقدير النتائج، وتحديد ما إذا كان النداء بالشعار قد حقّق أغراضه، أو أخفق في تحقيق أيّ غرض.

فربما كانت واحدة أو أكثر من الأسباب والدواعي الآتية:

الداعي الأوّل:
اعتقال هاني وغيره

اتّفقت المصادر التي روت أحداث القصر على توقيت الانطلاق نحو القصر، وأنّه كان بعد اعتقال ناصر سفير الحسين عليه السلام هاني بن عروة، والذي يفاد من عبارات المؤرّخين أنّ تلك الحركة إنما كانت بعد موقف مذحج ووصول خبر تعرّض حياة هاني بن عروة للخطر في القصر.

فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف: ما جرى على هاني من تعذيب واعتداء وحبس ثم قال:

«.. وأتى مسلماً خبر هانئ فأمر أن ينادى في أصحابه ....»[1].

١. أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٢ / ٣٣٨.

ومن الواضح أنّ المراد من وصول خبر هاني إلى مسلم عليه السلام هو قصد قتله والاعتداء عليه بالضرب، وإلّا فأصل الاعتقال وذهاب هاني إلى القصر كان بمحضر مسلم عليه السلام لأنّه كان في بيت هاني حسب الفرض.

وقد صرّح الطبري[1] بذلك، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين[2]، والشيخ المفيد في الإرشاد[3] في روايته عن أبي مخنف قال: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال:

أنا ـ والله ـ رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ، قال:

فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.
٢. مقاتل الطالبيين: ١٠٣.
٣. الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ ـ ٥١.

بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه....

وقال المسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب: ... ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم[1]..

وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧) في المنتظم:

... قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه[2]...

وقال آخرون أنّ خبر مقتل هاني وصل إلى مسلم بن عقيل عليهما السلام فنادى بالشعار.

١. مروج الذهب للمسعودي: ٨ / ٥٨.
٢. المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

وقد صرح بذلك الدينوري في الأخبار الطوال (ت ٢٨٢):

قال: ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروه نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا[1]...

وروى الطبري أيضاً: عن الحصين:... وأمر فكتف ـ أي ها ني ـ ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير[2]....

الداعي الثاني:
موقف مذحج

أفادت جملة من العبارات الواردة في الأخبار أن تخاذل مذحج وانصرافها عن نصرة هاني والثبات على المطالبة به كانت هي السبب في رفع الشعار والانطلاق نحو

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠ ـ ٢٣٨.
٢. تاريخ الطبري: ٣ / ٣٧٣.

القصر، وكأنّ هؤلاء القوم الذين دعوا لمحاصرة القصر سيقومون بدور عشيرة هاني المتخاذلة.

ومن الواضح أنّ مذحج لم تخرج إلى القصر وتحيط به بقصد استئصال نظام الحكم القائم وقطع ذنب القرد الأموي، وإنما خرجت تطالب بهاني وتريد المنع من قتله ليس إلّا، ويدلّ على ذلك رجوعهم بمجرّد أنهم أخبروا ـ ولو كذباً ـ بأنّه سالم ولم يقتل[1]....

١. ربما يقال: إنّ هذه الطائفة من روايات المؤرّخين تفيد السبب الأوّل خاصّة أو السبب الأوّل والثاني معاً، ولا ضرر في ذلك فإنّنا نريد بيان سبب نداء مسلم بن عقيل عليه السلام بشعاره، فلتؤيّد هذه النصوص أيّ سبب من الأسباب التي ذكرناها، ولكنّها على كلّ تقدير تتّفق على نحو «الإجماع المركّب» على نفي «قصد الثورة» بالمعنى الاصطلاحي الذي يستهدف إسقاط النظام الحاكم والاستيلاء على السلطة بغرض إدارة دفة الحكم وما يستتبع ذلك ويستلزم منه.. وللتفصيل راجع: «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير» للمؤلّف.

فقد روى الطبري في تاريخه خبر عمار الدهني في حديث طويل قال:

... فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا، فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره[1]..

وقال ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) في المناقب[2]:

... وبلغ ذلك مذحجاً فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم ويعلمهم أنّه حيّ سالم، فخرج إليهم وصرفهم ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل..

وقال السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) في اللهوف[3]:

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.
٢. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٧.
٣. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٤٧.

... فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم فرضوا بقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه ...

وقال مسكويه في تجارب الأمم (ت ٤٢١):

فخرج إليهم شريح، فأعلمهم أنّه رآه وهو حيّ سالم، وإنّما عاتبه كما يعاتب الأمير رعيّته، فانصرفوا.

وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره[1] ...

وقال ابن الأثير في الكامل:

فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل

١. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٨.

فالحمد لله! ثمّ انصرفوا، وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم[1] ...

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

... فتفرّقوا ـ أي مذحج ـ إلى منازلهم، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت»[2]..

هذه النصوص التاريخية تكاد تكون صريحة بترتب النداء على خذلان مذحج سيما إذا التفتنا إلى التفريع بالفاء وصدور الأمر بالنداء بعد وصول خبر مذحج مباشرة.

١. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠.
٢. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

الداعي الثالث:
الدفاع عن النفس

مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى لابن زياد

لم يكن حفيد أبي طالب عليهما السلام ـ الذي لو ولد العرب كلّهم لكانوا شجعاناً ـ، وصهر وابن أخي أمير المؤمنين عليه السلام أشجع العالمين، وأخو سيّديّ شباب أهل الجنّة الحسين والحسين عليه السلام والبطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليهما السلام بالذي يعطي بيده إعطاء الذليل أو يقرّ قرار العبيد.

وهو العالم العارف بالكوفة وأهلها وبالدعي ابن الدعي والجرو الأموي ابن زياد الذي دخل الكوفة بمهمّة محوّلة له من قبل القرد الأموي يزيد تنصّ على طلب مسلم بن عقيل، فقد روى الدينوري في الأخبار الطوال قال:

فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة وكانا عيني يزيد بن معاوية إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأنّه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتّى يظفر به، فيقتله، أو ينفيه..

ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره بإغذاذ السير. فسار مسلم حتّى وافى البصرة، وأوصل الكتاب إلى عبيد الله بن زياد[١].

---

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

وروى ابن حجر في الإصابة قال:

فكتب الرجل بذلك إلى يزيد، فدعا يزيد مولى له يقال له «سرجون» فاستشاره، فقال له: ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد، وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله، وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه، وأنّه أضاف إليه الكوفة، وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل، فإن ظفر به قتله[1].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه[2]...

وقد اعتقل هاني بن عروة الذي كان يعدّ درعاً ورداءً وحصناً منيعاً وركناً ركيناً للدفاع عن مسلم بن عقيل عليه السلام، وخذلته عشيرته التي كان يحسب عليها هاني

١. الإصابة: ٢ / ٧٠.
٢. البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣.

ويحسب لها ابن زياد..

فمقتضى الحال أن يستعدّ مسلم بن عقيل عليه السلام للدفاع عن نفسه وعن البقية الباقية معه من الموعودين بالفتح، ليتسنّى لهم اللحاق بركب الشهادة.

الهجوم على مسلم بن عقيل عليه السلام

إضافة إلى ما مرّ آنفاً من مقتضيات الأحداث، وأنّه الطلبة الأولى للقرد الأموي وذنبه، فإنّ ثمّة مؤشرات تاريخية واضحة وصريحة تؤكّد أنّ الدعي ابن الدعي قد أرسل في طلب مسلم بن عقيل عليه السلام لقتله أو أسره، فوثب البطل الهاشمي للذبّ عن حريمه والدفاع عن نفسه.

قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة:

.. فضرب بها وجهه (أي وجه هاني) حتّى كسرها، ثم قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل[١]...

وقال اليعقوبي (ت ٢٩٢) في تاريخه:

ووجه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً وخرج وأصحابه[٢]..

رواية شاذّة

لا يلتفت إلى ما رواه المقدسي (ت ٥٠٧) في البدء والتاريخ حيث قال:

... فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتّى نزل على هانئ بن عروة واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد عليه اللعنة وهو بالبصرة فهمّ إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقاتلوه حتّى

١. الإمامة والسياسة: ٢ / ٩.
٢. تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

دخل قصره وأغلق بابه.

فلمّا كان عند المساء وتفرّق الناس عن المسلم بن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هانئ، ورفعوا مسلماً بين شرف القصر وقتل أدنى من العضادة ثم ضربوا عنقه[١]..

فهي رواية شاذة غريبة ومختصرة مريبة، يغني مجرد قراءتها عن مناقشتها وكشف العوار فيها.

غير أنّها تنفع هنا للإشارة إلى أنّ ابن زياد ـ لعنه الله ـ هو الذي أرسل خيلاً ليلقي القبض على المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وإن كنّا لا نصدّق أنّهم استطاعوا بهذه السهولة التي يصوّرها المقدسي أن يقبضوا على العظيمين مسلم وهاني، كما أنّه يخالف اتفاق المؤرخين على القول بسبق اعتقال هاني على المولى مسلم عليه السلام.

١. البدء والتاريخ: ٦ / ٨.

الداعي الرابع:
اقتحام القصر لاستنقاذ هاني

قال سماحة الشيخ الطبسي ـ حفظه الله ـ في معرض الجواب عن سؤال: «لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟».

٤ ـ لا يشكّ المتأمّل العارف بأخلاقية أهل البيت(عليهم السلام) السامية وأخلاقية من تربّى في أحضانهم وكنفهم، والمُدرك للضرورات السياسية والاجتماعيّة، أنّ مسلم بن عقيل(عليه السلام) كان يحرص كلّ الحرص على سلامة هاني بن عروة(رضي الله عنه) وعلى انقاذه وإطلاق سراحه محفوظ العزّة والجاه والكرامة، وبرغم أنف ابن زياد ومن شايعه من وجهاء وأشراف الكوفة.

وذلك: لإيمان هاني(رضي الله عنه) ومظلوميّته وأهميّته، فنصرته واستنقاذه وإعزازه أمرٌ واجب مع القدرة على ذلك، وتتجلّي أهميّة

هاني(رضي الله عنه) فضلاً عن كونه قياديّاً بارزاً جدّاً في التكتل الثوري في كونه القطب الذي يمكن أن تجتمع عند كلمته قبيلة مذحج قاطبة، ففي إطلاق سراحه عزيزاً منتصراً على يد قوّات الثورة برغم ابن زياد تعزيز وتقوية لموقعه الرفيع في أهل الكوفة عامّة، وفي قبيلة مذحج خاصّة التي قد تستشعر فضل الثورة عليها بإطلاق سراح زعيمها معزّزاً مُكرّماً، الأمر الذي قد يدفع جميع مذحج بعد ذلك إلى إطاعة هاني(رضي الله عنه) في مناصرة الثورة والانضمام إليها إلى آخر الأمر.

ولايخفى ما في جميع ذلك من إذلالٍ للسلطة الامويّة وكسر لشوكتها وإضعافها، هذا على فرض أنّ المواجهة بين الثوّار والسلطة كانت ستنتهي عند إطلاق سراح هاني(رضي الله عنه).

من هنا، يمكن للمتأمّل المتتبع أن يجزم بأنّ الثوّار كانوا قد عزموا على اقتحام القصر، ووضعوا لذلك الخطّة التي تضمن سلامة

هاني رضي الله عنه أيضاً[١].

❊❊❊

قــد أجــاد سماحــة الشــيخ في تــرتيب المقدّمات، وهي مقدّمات منطقية وصائبة في الغالب، ولكن النتيجة المستحصلة من تلك المقدّمات غريبة عنها، وذلك:

أوّلاً: استنتاج القطعي من الظنّي

اسـتحصال نـتيجة قـطعية جـزمية مـن مقدّمات كلّها ظنّية تحليلية احتمالية ..

ثانياً: عدم انحصار النتيجة بخيار

لا تنحصر النتيجة بما ذكـره المـؤلف مـع فــرض الاتـفاق مـعه عـلى صـحة جمـيع المقدّمات، فلا شكّ أنّ مسلماً انطلق بمن معه إلى فناء القصر بعد وصول خبر تعرّض هاني للضرب والجرح والاعـتداء وربمـا القـتل،

١. مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٢.

فكان إنقاذ هاني من أهم الدوافع التي دعت إلى النداء بالشعار ...

ولكن هل يكفي هذا في جزمنا بأنّ التحرّك كان يستهدف القصر نفسه؟

أجل، أقصى ما يمكن استنتاجه مـن ذلك أنّ التحرّك كان يستهدف تحرير هـاني مـن مخـالب ابـن الأمـة الفـاجرة ولو بـالحصار الطويل للقصر مثلاً، أو بإدخال الرعب على ابن زياد الجبان وأتباعه، فيدفع إليهم هاني مــعزّزاً مكـرّماً، وهكـذا يمكـن افـتراض فرضيات أخرى تحقّق الهدف دون اقـتحام القصر .. فليس اقتحام القصر هـو الطـريق الوحيد لإنقاذ هاني لتكون النتيجة محصورة في ذلك كما جزم سماحته ـ حفظه الله ـ ..

فــهل يـقال: أنّ مـذحجاً التي أحـاطت بـالقصر كـانت قـد عـزمت عـلى اقـتحام القصر؟!

صحيح أنّ مذحجاً رجعت فـور سماعـها

كلام شريح غير أنّها خرجت أساساً للمطالبة بهاني، وكانت ترى في إحاطتها بالقصر كفاية لتهديد ابن زياد وإدخال الرعب في قلبه واضطراره للاستسلام وتسليم هاني معززّاً مكرّماً.

وكانت فعلتهم لها أثرها البليغ في تخويف ابن زياد واضطرته إلى ركوب الكذب وتسخير الوجه الذي كان قاضياً في الكوفة وله وجاهته الدينية والقضائية مهما كانت هذه الوجاهة مزيفة إلّا أنّها كانت مرضيّة عند أولئك الغوغاء.

ثالثاً: خضوع مذحج

إذا تمّ اقتحام القصر تنفيذاً للعزم، فهذا يعني قطع ذنب القرد الأموي والقضاء على حكم الطاغية المتهوّر ابن زياد، وسيطرة «الثوّار»! رسمياً على الكوفة واستيلاء مسلم بن عقيل عليه السلام على مقاليد الحكم، وحينئذٍ

تخضع مذحج اللاهثة في طلب الدعة ومجاراة السلطان سواء كان هاني موجوداً أو شهيداً، ولا ننسى أنها قد خذلت شيخها واتخذت لها شيخاً جديداً «لا يخلع طاعة ولا يفارق جماعة»...

رابعاً: قلّة المدافعين عن القصر

يعرض لنا المؤرّخ صورة بهلوانية لابن زياد ومن كان معه في القصر، جعلتهم على قلّتهم يدافعوا عن القصر ويدحروا الآلاف المتجمّعة المحاصرة لهم في وقت لا يتعدّى السويعات في أقصى التقادير، وهذا ما سنناقشه ضمن بحوث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فعددهم على المشهور في المصادر عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط:

«وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلّا عشرون من الوجوه

وثلاثون من الشرط ... ثمّ صاروا مقدار مائتي رجل من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط».

«وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل»[1] ...

وهذا المقدار الضئيل عدداً، الجبان طبعاً أو حبّاً في الدنيا، الخائف نتيجة الظروف، المرتبك لكثرة العدد المتوعّد أحقر بكثير من أن يستمر في المقاومة لساعات.

هذا من حيث العدد حسب المصادر.

خامساً: معرفة مسلم عليه السلام بالقصر

تبيّن أنّهم من حيث العدد والرجال ـ حسب ما يبدو من تصوير المؤرّخ ـ قلّة حقيرة ضئيلة لا تقوى على الصمود أمام

١. أنساب الأشراف (ت ٢٧٩): ٢ / ٣٣٨.

الزحف الهادر المحيط بالقصر.

أمّا من حيث استحكام القصر و«إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيّداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن، رغم مرور ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً على تشييده، ويكفي أن نتصوّر كون جدار القصر من القوّة والسعة بحيث تتمكن الشاحنات من السير فوقه»[1]..

فلا شكّ في استحكامه وقوّة بنيانه، وهذا ما يكشف عنه الواقع بالفعل إلى اليوم، وقد قضينا ساعات طويلة من أيام عمرنا نطوف في حنايا قصر الخبال، ورأينا ذلك بأعيننا ولمسناه بأيدينا، غير أنّ في هذا الكلام مجال واسع للمناقشة:

١. مع الركب الحسيني عن مبعوث الحسين عليه السلام: ١٨٠.

المناقشة الأولى: لزوم التالي الفاسد

حيث أنّ هذا الكلام يفيد بوضوح أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد أقدم على فعل لم يعرف عواقبه، ولم يعرف الموقع الذي يريد الهجوم عليه، ولم يحدّد ثغراته ولا طرق التمكّن منه، وهيهات أن يصدر ذلك من إنسان عادي، فكيف بقائد عسكري خبير كان على ميمنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، كما ذكر ابن شهرآشوب في المناقب وابن أعثم في الفتوح[1].

المناقشة الثانية: معرفة مسلم عليه السلام بالقصر

كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة أيام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان قصر الخبال بين يديه، وربما كان يمرّ عليه كلّما قصد المسجد ذاهباً وجائياً، وأنا أتذكر أنّنا

١. الفتوح لابن أعثم: ٣ / ٢٤، المناقب لابن شهرآشوب: ٣ / ١٦٨.

كنّا نطوف في خرائبه وأطلاله ونحن شباب صغار حتّى تعلّمنا مساربه ومداخله ومخارجه رغم سعته وتعقيد خريطته، فكيف بمسلم بن عقيل عليه السلام الذي كان يعلم ـ ولا نشكّ في ذلك ـ أنّ له يوماً مع هذا القصر في مستقبل الأيام.

بل حتّى لو لم يكن يعلم بذلك، فإنّه خلال ما يقارب خمس سنوات قضاها في الكوفة مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام متردّداً على القصر كيف لا يعرفه ولا يعرف ثغراته أو نقاط الضعف والقوّة في بنائه؟

المناقشة الثالثة: معرفة من كان معه عليه السلام

لو فرضنا ـ وهو فرض لا يكون ـ أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام كان لا يعرف القصر وتفاصيله وثغراته التي تساعد على اقتحامه، فإنّ في الكوفة من الرجال من تردّد على هذا القصر وقضى فيه عمراً من

الزمن.

وفيهم من الخبراء العسكريين والقادة والرؤوس من ذوي السابقة في الحروب، والكوفة يومها ثكنة عسكرية وقد خاضت حروباً غير قليلة ولا سهلة خلال الفترة القريبة من أيام المولى مسلم بن عقيل عليه السلام فضلاً عن الحروب السابقة على ذلك التاريخ.

المناقشة الرابعة: وجود طرق التسلّل للقصر

لقد أغلقت أبواب القصر حسب الأخبار، غير أنّ بعض الأبواب كانت شارعة تستقبل الداخلين لنصرة الجرو الأموي، حيث كان ما يسمّونهم الأشراف يدخلون عليه من قبل باب الروميين، وكانت قيادات قوّاته تدخل وتخرج عليه، فهو لم يكن موصداً مكنوناً كما يصوّرونه.

الداعي الخامس:

محاصرة القصر حتّى تحقيق النصر

قد يقال: إنّ المولى نادى بشعاره ليحاصر القصر بحيث تدوم هذه «المحاصرة المستمرة التي قد تطول أيّاماً حتّى يستسلم من فيه مثلاً، أو يسلّموا هاني على أقلّ تقدير».

وذلك لأنّ «من المعلوم أنّ إخضاع القصر بمن فيه لا يتمّ خلال ساعة من الحصار، كما أنّ وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيّداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن.. فلابُدَّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرة التي قد تطول أيّاماً حتّى يستسلم من فيه مثلاً، أو

يسلّموا هاني على أقلّ تقدير»[١].

***

إنّ هذا الفرض جميل لو أعانت عليه الدلائل وساعدت عليه الشواهد، وعلى فرض معالجة ما يمكن أن يناقش به في المناقشات التالية:

المناقشة الأولى: الفرض مبني على تخطئة المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام

إنّ هذا الفرض مبني على تخطئة انطلاق المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام والخلل الفضيع الواقع في توقيت النداء بالشعار، وقد جاء الفرض ليعالج هذا الخطأ ويبرر علّة الموقف.

ويبدو ما ذكرناه واضحاً في التعليل الذي سبق استنتاج هذا الفرض، وتفريع القول بالمحاصرة الطويلة بقول «فلا بدّ»، أي أنّ

١. مبعوث الحسين عليه السلام: ١٨١.

المقدّمات المذكورة كعلل تقتضي أن يكون العمل عقيماً، والنداء غير مجد، لأنّ «من المعلوم أنّ إخضاع القصر بمن فيه لا يتمّ خلال ساعة من الحصار، كما أنّ وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيّداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن...»، فلماذا إذن نادى المولى بشعاره، والمفروض أنّ هذه الموانع لم تغب عنه، لأنّها لائحة واضحة عرفها أهل هذا الزمان، فكيف تخفى على من كان شاهد عيان؟

فمن أجل تبرير الموقف نضطر إلى فرض المحاصرة طويلة الأمد!

فلذا قال: «فلابُدَّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرّة التي قد تطول أيّاماً..».

المناقشة الثانية:

لم يرد هذا الفرض في نصّ تاريخي، ولم نجد له أيّ مؤشر يدلّ عليه من كلمات المؤرّخين والرواة، وكلمات مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام أو المنضوين تحت رايته، أو الأعداء المحاصرين في القصر، فهو محض افتراض لا تدعمه الوثائق.

بل التأمّل العميق في مجريات الأحداث لا يفيد أنّ هذه الخطّة كانت من نوايا المولى، وحركة الأحداث تشير إلى خلاف ذلك تماماً.

المناقشة الثالثة:

إنّ سعة القصر وضخامته وإحكامه وترامي أطرافه وكثرة ما فيه من البنيان والعُدد وآبار المياه والمؤن، وقلّة الأفراد المحصورين فيه تقتضي أن يحاصر شهوراً طويلة لا أياماً، لاحتوائه كلّ ما يحتاجه

العدد القليل المتواجد فيه، ولا زالت آبار المياه موجودة فيه إلى اليوم، ولا زالت بعض المؤن تستخرج منه أيضاً، وقد حضرت مرّة ورأيت بعيني كمية كبيرة من العتاد كالسيوف والدروع والملابس وغيرها تستخرج من موضع واحد من القصر الكبير.

المناقشة الرابعة:

لم يكن القصر محاصراً محاصرة تامّة، وقد نصّ التاريخ على بقاء الباب من جهة الروميين طريقاً سالكاً للداخلين والخارجين منه، وكثرة أبواب القصر وترامي أطرافه، والأنفاق الموجودة فيه ـ إلى اليوم ـ تجعل القصر ممتنعاً على الحصار امتناعاً صعباً عسيراً.

***

هذا كلّه بلا ريب ولا تردّد كان بعين المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وفي علمه.

الداعي السادس:

اقتحام القصر لإسقاط الحكم

قد يقال: إنّ الداعي الأساس الذي دفع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام للنداء بشعاره هو الاستيلاء على قصر الخبال باعتباره مركزاً يمثّل سلطان بني أمية والمبنى الرسمي للحكومة المحلّية، وكان الهجوم على هذا الموقع من صلب مهمّة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، فأقدم عليه كخطوة تمهيدية للقضاء على الحكم الأموي كلّه واستئصال الشجرة الملعونة التي ما لها من قرار لتسقط جميع القرود المتعلّقة بأغصانها.

قال الشيخ الطبسي ـ حفظه الله ـ في جملة كلامه عن استكشاف المهمّة التي أرسل بها المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وذكر الأدلّة

التاريخية على ذلك:

«إنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة لم تنحصر في استطلاع الرأي العام الكوفي ومعرفة حقيقة ومصداقية التوجهات فيها، بل كانت مهمّته الأساسية فيها هي الثورة بأهل الكوفة ضدّ السلطة المحلّية الأموية فيها، والتمهيد للقضاء على الحكم الأموي كلّه..»[1].

وهذا الداعي لا يصمد أمام النقد، وقد ناقشناه مناقشة مستفيضة في رسالة مستقلّة بعنوان «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير»، ودرسنا المهمّة من خلال نصوص الدعوة، ونقصد بها النصوص الواردة عن سيّد الشهداء حين دعا مسلم بن عقيل عليه السلام ليرسله إلى الكوفة، وكُتب سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، والكتب التي أرسلها مسلم

١. مع الركب: ٢ / ٤٥.

إلى الحسـين عليه السلام ، ومـا ورد عـن أهـل البـيت عليهم السلام ، والفـهم السـائد في عـصره ، وملاحظة الأصول الاعـتقادية ، ونـصوص العلماء والمؤرخين والمشهور بينهم .

ثم نقلنا هناك أدلّة القائلين بهـذا الداعـي ونـاقشناها مـناقشة مـفصلة ، فمـن أحبّ التفصيل فليراجع .

الداعي السابع:
كشف النوايا وفضح المبايعين

وهـذا الداعـي[1] مـن أهـم الدواعـي وأقواها ، وربما كان هو الغرض الأساس من رفع الشعار ، وذلك لأمرين :

١ . ربما اعتبر هذا الداعي غائياً فـيعدّ الداعـي هـدفاً وغاية حقّقها المـولى بتحرّكه ذاك ، فكانت حـركته موفّقة قد حقّقت الأغراض المتوخّاة مـنها وإن بـقي وحيداً أو أنّه استشهد أو أنّـه لم يسـتنقذ هـاني ولم يقتحم القصر ، لأنّ الغرض الأساس كان أحد هذين الأمرين.

الأمر الأوّل: كشف النوايا

إنّ مسلم بن عقيل عليهما السلام كان موظّفاً من قبل الإمام عليه السلام أن يسـتكشف نـوايـا المـبايعين والمراسلين ، ويستكشف الوضع في الكوفة ، وقد اعتمده الإمـام عليه السلام في ذلك وقـبل مـنه رأيه ونظره ، فإبداء البيعة وحـده والمكـاتبة والمراسـلة لا تكـفي ، وإلا لمـا أرسـل سـيّد الشهداء مسلماً عليه السلام إليهم .

وقد صرّحت النصوص التي ذكرت دعوة الإمام الحسين لمسلم عليه السلام وتكليفه بـالمهمّة ، والكتب التي كتبها سيّد الشهداء عليه السلام لأهـل الكوفة بذلك[1] .

والذي يكشف حقيقة النوايا هـو الالتزام بتلك البيعة في ساعة العسرة ، وعند النـداء وطلب النصرة ، فاستعراض القـوم بـالنداء وإن كـان بسـبب الدواعـي السـابقة إلّا أن

١ . انظر : مسلم بن عقيل عليهما السلام ثائر أم سفير ، تجـد فـيه دراسة وافية للنصوص.

الغرض الأساس منه إنما هو كشف النوايا.

فربما لم يقدم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام على مثل هذا الإقدام أيام تمكن الذيل الأموي النعمان بن بشير من قصر الخبال باعتبار أنّ مؤشرات الظروف كانت مواتية، ومؤثرات البيعة والمراسلة مستمرة على نسق واحد، فكتب المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بما شاهده لإمامه عليه السلام، فلمّا ولى نعمان ودخل الجرو الأموي ابن زياد، وتغيّرت الظروف وتفعّلت المؤثرات الجديدة صارت المجموعة المتبقية مع المولى بحاجة إلى غربال وامتحان يكشف لهم أنفسهم، وللآخرين حقيقة أمرهم، ويجعلهم على المحك الذي يميز الخبيث من الطيب، ويكون أميناً في الكتابة إلى الإمام عليه السلام باجتماع ملأهم وذوي الحجى منهم على ما قدمت به رسلهم أو تفرّقهم عن ذلك، وقد فعل عليه السلام.

الأمر الثاني: كشف العامل الغيبي

إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج إلى أرض المصرع واليوم الموعود يوم عاشوراء، وقد توجّه في حقيقة الأمر وواقع الحال إلى كربلاء، ولم يتوجّه إلى الكوفة بحال، وقد دلّت على ذلك الأخبار الربّانية، والأحاديث النبوية، والإخبارات الغيبية الأميرية، وما ورد من إخبارات سماوية على لسان الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ولكي تتكشف الأمور وتقام الحجّة ويقع المقدور ضمن الظروف الطبيعية والمناخات السياسية والاجتماعية أضحى من الضروري أن يقدّم الإمام الحسين عليه السلام الحجّة على القوم الظالمين، فلا يقال له: لو كنت وصلت الكوفة ودخلتها لكان أمر الناس غير ما كان، فإنّه أرسل لهم مبعوثه، وأمرهم أن يلتفّوا حوله، وأن يبايعوا للإمام عليه السلام على يديه، فلمّا تعرّض للخطر أعرض المسوخ

عنه وخذلوه، وباعوا بيعتهم ودينهم لابن زياد، وعقدوا زمام أمورهم ودنياهم بالقذر المتدلي من ذنب القرد الأموي.

ولولا نداء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بشعاره لما انكشفت هذه النوايا، ولما عرف بهرج القوم وزيفهم.

ورغم انكشاف حقيقة القوم وبلوغ خبرهم إلى سيّد الشهداء عليه السلام بالطرق المتعارفة يومها، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يرجع عن قصده ولم يمتنع من عزمه ومضى إلى كربلاء أرض المصرع الموعود، ليعلم أهل الأرض أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يقصد الحكم والسلطان، وإنما هو ماض إلى ما أمره به الربّ المنان.

يوم الحصار[1]

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد يوم الانطلاق إلى القصر على أقوال:

القول الأوّل:

الثامن من ذي الحجّة

مشهور المؤرخين على هذا القول، وقد دلّت عليه عمدّة المصادر، وذهب إليه أكثر المؤرّخين والمحقّقين:

قال البلاذري في أنساب الأشراف: وكان مخرج مسلم بالكوفة، يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّين....

---

١. لا نقصد بالحصار محاصرة القصر للحرب وإنّما نقصد تجمع الناس في رحبة المسجد والقصر.

.. وكان الحسين خرج من المدينة إلى مكة يوم الأحد، لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة، ثم خرج منها يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من ذي الحجّة يوم التروية وهو اليوم الذي خرج فيه مسلم بالكوفة[١]...

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد:

وكان خروج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة، وكان توجّه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة وهو يوم التروية[٢].

١. أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧١.
٢. الإرشاد: ٢ / ٦٧.

وقال الشيخ ابن نما في مثير الأحزان:

... وكان خروج مسلم في الكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، وهذا اليوم كان فيه خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق بعد مقامه بها بقيه شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة[١]

القول الثاني:
التاسع من ذي الحجّة

قال البلاذري في أنساب الأشراف:

ويقال: يوم الأربعاء لتسع خلون من ذي الحجّة سنة ستّين يوم عرفة بعد خروج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم...

وقال بعد سطور: وقد يقال: إنّه خرج بالكوفة يوم الأربعاء وهو يوم عرفة[٢]..

١. مثير الأحزان: ٢٣ ـ ١٦.
٢. أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧١.

القول الثالث:

الثاني من ذي الحجّة

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجّة سنة ستّين، وهي السنة التي مات فيها معاوية[1].

ثم قال بعد أن ساق الأحداث:

فلمّا أصبح ـ أي ابن زياد ـ جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعده معه على سريره...

إلى أن قال: فقال: انطلق، فاتني به الساعة.

فإذا كانت شهادته الثلاثاء الثالث من ذي الحجّة يلزم أن يكون الحصار في اليوم الثاني منه، لأنّه بات ليلته تلك عند طوعة حسب المصدر.

١. الأخبار الطوال: ٢٤٢.

القول الرابع:

السابع من ذي الحجّة

روى الطبري في تاريخه عن أبي مخنف قال:

حدّثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال:

كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجّة سنة ستّين..

ويقال: يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستّين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً الى الكوفة بيوم[1]...

ويبدو واضحاً أنّ «لسبع» تصحيف «لتسع»، ويشهد لذلك أنّه قال: «لسبع مضين سنة ستّين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨١.

ويشهد له أيضاً أن يوم الثامن من ذي الحجّة صادف الثلاثاء عند البلاذري والطبري والمفيد وابن نما، وقال البلاذري إنّ الأربعاء صادف التاسع، فيما يفيد الطبري هنا أنّ الأربعاء صادف السابع من ذي الحجّة.

قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص:

وكان قتل مسلم لثمانٍ مضين من ذي الحجّة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم،

وقيل يوم رحيله[١]...

وهذا القول يعني أنّ سيّد شاب أهل الجنّة قد خرج من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم السابع من ذي الحجّة، وكذا كان خروج المولى مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، وهو خلاف المشهور المتّفق، وخلاف قول سبط ابن الجوزي نفسه، إذ يقول:

كان مخرج الحسين من المدينة الى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء، وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة[٢]..

١. تذكرة الخواص: ٢١٩.
٢. تذكرة الخواص: ٢٢١.

النتيجة

قال الشيخ الطبسي ـ حفظه الله ـ في كتاب مع الركب الحسيني بعد أن نقل الأقوال:

... إنَّ المشهور ـ وهو الصحيح ـ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج من مكّة إلى العراق يوم الثلاثاء، يوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين ...

وبعد أن ناقش الأقوال قال:

... فلا يبقى من هذه الأقوال بعد هذا إلّا ما لا يُعارض المشهور الصحيح، وهو أنّ خروج الإمام عليه السلام من مكّة الى العراق كان في يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين للهجرة.

وعلى هذا يكون خروج مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة يوم الثلاثاء يوم التروية، يوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين، ويكون يوم مقتله يوم الأربعاء لتسع مضين منه، أي يوم عرفة، وهو الأقوى[1] ....

***

أمّا ما هو المشهور اليوم في مدينة الكوفة حيث يقيمون مراسم العزاء وتخرج المواكب والهيئات يوم الثامن من ذي الحجّة إحياءاً لمصيبة صهر أمير المؤمنين عليه السلام وكبير آل عقيل عليه السلام، فهو إمّا اعتماداً على قول مثل الطبري المذكور في «القول الرابع»، أو أنّه استباق منهم للخيرات حيث أنهم يقيمون مآتم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام عند قبره، ويعلنون له ولاءهم وعرفانهم بفضله عليهم، وهو الذي يظلّل مدينتهم بقبته السامقة التي تعانق السماء علواً، وتفاخر نجوم السماء وبدرها جمالاً وروعة وهيبة.

١. مع الركب الحسيني: ٣/ ٤٩.

ثم يسارعون لزيارة سيّد الشهداءعليه السلام يوم عــرفة لئــلا يــفوتهم الفــيض العــظيم وخصائصه ...

جيش العسكرين

قصة العرض التاريخي

عـرض لنـا المـؤرّخ صـورة العسكـرين بشكـــل مـزدحم تـتراكـم فـيه الحـركات والمجاميع وتنقبض وتنبسط بسرعة مذهلة، وتـتكثّر وتـتناقص في رقـعة جـغرافـية لا تتجاوز عدّة كـيلومترات مـربعة في حـركة تخطف الأبصار، وتتّسع وتضيق كثرة وقـلّة في فترة زمنية لا تتجاوز السويعات، وكأنها مدّ وجزر ينال أمواج البشر خـلال نـصف يوم أو أقلّ من ذلك.

وهذه السرعة في الانبساط والانـكماش تفقد الباحث قوّة التركـيز لتمـييز الجـبهات

وانتشار القوى المقاتلة أو المناصرة.

ولا شكّ أنّ ساحة التحرّك كانت مزدحمة متشابكة متداخلة تتعرّض للهزات في كلّ الاتجاهات، ولكن هذا لا يمنع من التأمّل في المتون التاريخية من خارج ميدان المواجهة بحيث نستطيع أن نستطلع الأمواج المتعارضة المتلاطمة التي كانت تغطي الأرض يوم ذاك.

ومن جهة ثانية فإنّ هذا الارتباك في النقل ورواية المشهد في جوّ ملتهب فرض على ذهن المتلقّي ما يشبه الحقيقة التي أراد لها المؤرّخ وأسياده أن يفرضها على ذهن المتلقّي، وهي أنّ الكوفة كانت بقضّها وقضيضها، وكبيرها وصغيرها، وسيّدها ودنيّها، وأشرافها وسفلتها، ومواليها وعبيدها، ورجالها ونسائها، في قبضة المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام وفي طاعة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، حتّى الأعداء الرسميين كانوا

على حدّ الحياد المناصر للإمام الحسين وسفيره عليهما السلام، كما يلحظ في طريقة عرض موقف النعمان بن بشير.

ولم يكن في الكوفة كلّها إلّا بعض الجيوب النائمة والأفراد المعدودين المحصورين الخائفين الوجلين من الطوفان القادم لقلع جذور الشجرة الأموية، فكتبوا من مخبئهم إلى يزيد وهم رجلان أو ثلاثة لا أكثر[1].

وفي مثل هذا الجوّ الغالب الذي كان يخدم أحفاد أبي طالب عليه السلام دخل الجرو الأموي ابن زياد إلى الكوفة، واستطاع هذا النزق الخرق المبتور الجبان الخائر البطّاش المجرم المدان أن يقلب الكوفة في أقلّ من عشية، ولم تبلغ العشية ضحاها حتّى أمسى المولى الشجاع والقويّ الهمام غير مطاع، وانقلب

١. انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١، أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٧٧.

الأمر بتدبير الوغد إلى ما انتهى إليه.

هكذا هي قصّة المؤرّخ باختصار مع أهل البيت عليهم السلام عموماً، ومع مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام خصوصاً، دائماً وأبداً عند المؤرّخين، ثم عند من تتبّع خطاهم وقبل أقوالهم، ولا حزازة على من قبل روايتهم ونقلها فهذا هو التاريخ المكتوب.

في سلطنة بني أمية الإعلامية تركيز شديد على إبداء أهل البيت عليهم السلام في صورة من لا يعرف من السياسة ومعاملة الناس شيئاً، وأنّ بني أمية ورثوا ترويض الناس كابراً عن كابر، وعرفوا كيف يأخذوا بزمام الناس ويملكوا نواصيهم ويوجهونهم في أقلّ من لمحة البصر حيث يشاؤون، ويسوقونهم بالسياط والأموال للرضا بقتل مواليهم وساداتهم وأئمتهم الذين رضوا بهم أئمة وقبلوهم قادة.

ولا شكّ في أنّ للسوط والسجن

والتعذيب، والفضة والذهب والمال والدنيا وحبّ الرئاسة أبلغ الأثر في توجيه الرعاع والسفلة والأذناب والانتهازيين.

غير أنّنا نقول: إنّ الجرو الأموي ابن زياد لم تكن عنده قدرة القادر وسلطة الساحر وسياسة الخبير الذكي الماهر، ولم يمتلك ما يؤهله ليقلب الأمر على الطهر الطاهر مسلم بن عقيل عليه السلام في هذه الفترة الوجيزة، ولم تكن الشؤون الاجتماعية غائبة يومذاك عن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وحاضرة عند ابن الأمة الفاجرة.

نحن نعلم أنّ ابن زياد قد ترك البصرة متوجّهاً إلى الكوفة بمهمّة خاصّة محوّلة إليه من القرد الأموي يزيد، إذ أمره أن يدخل الكوفة، ويطلب المولى مسلم بن عقيل عليه السلام طلب الخرزة فيقتله أو ينفيه.

ونعلم أن يزيد قد أخبره أنّ الكوفة هبّت مع سفير الحسين عليه السلام.

ونعلم أنّ ابن زياد كان حاكماً على البصرة يوم استلام المهمّة الجديدة، والبـصرة فـيها من العسكر والجند ما يكفي.

وابن زياد يعلم أنّ الكـوفة التي تجـمّعت حول سفير الحسين عليه السلام! حسب مـا يـرويه المـؤرّخ ثكـنة عسكـرية، فكـيف يـدخل الكوفة بأهله وعياله وشرذمة من المـقرّبين إليه؟! ولم يأمر الجند الموالي له في البصرة أن يخرج معه أو يلتحق به؟!

لولا أنّه كان واثقاً من وجود عسكر وجند موالٍ له في الكوفة، يركن إليه ويعتمد عليه في حربه المقبلة مع أسد العقيليين ومن التفّ حوله!

وسيتّضح لنا ما ذكـرناه في هـذه المـقدّمة الموجزة من خلال دراسة بعيدة عن صخب المؤرّخين وضـجيج العسـاكـر التي مـلأت الآفاق في الرحبة بين المسجد الأعظم وقصر الخـبال، لنرى أنّ الأكـثرية السـاحقة التي

كانت تستوعب الكوفة كانت منذ البداية مع الطاغوت متمرّدة على الحقّ ومـنقلبة عـلى إمام زمانها وعاصية لربها وخالقها وباريها، ولم يكن مع المولى مسلم بن عقيل والإمـام الحسين عليه السلام سوى الأقليّة التي لا تكاد تبين عدداً بالنسبة لتـلك الأكـثرية، وإن كـانت ساطعة لامعة يغطّي نورها كلّ تلك الظلمات المتراكمة في جموع عساكر السقيفة.

ظليمة المولى الغريب

ربما كان من أعظم الظلم الذي تـعرّض له المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ما يلاحظ بكـلّ وضوح في كلّ ما وقعت عـليه في صـفحات التاريخ وتحليل المحلّلين وعبارات المسـجّلين لوقائع أيامه عليه السلام في الكوفة، التي تصرّح أو تشير بوضوح إلى أنّه فـوجيء بـغدر أهـل الكوفة، وأنّ حسـاباته وإعـداداتـه كـانت تعتمد تماماً على ما أظهروه من البيعة وإعلان الاستعداد للنصرة، وأنّه كان واثـقاً مـنهم، وبانياً عليهم كـلّ آمـاله، وأنّـه لا يشكّ في نيّاتهم غير أنّ ظروف القهر والتخذيل أثرت فيهم، فبقي المولى حائراً لا يدري ـ والعـياذ بالله ـ كيف يدبر الأمر ويدير الموقف حـيث اكتشف أنّهم غدرة لا وفاء لهم، وأنّهم أفلتوا عـلى حـين غـرّة ونكـثوا البـيعة التي كـان يعتمدها مسلم عليه السلام، فكأنّه لم يحسب للـغدر

ونكث البـــيعة أيّ حسـاب، ممّـا جـرّه إلى الموقف الأخير، فبقي وحيداً متلدّداً حـائراً لا يدري ما يفعل...

هكذا باختصار ما وجدناه في كلّ ما وقع بأيـدينا مـن كـتب قـديمة أو حـديثة عـلى كثرتها.

ونحن لا نريد الإطالة هنا في الدفاع عـن هذه الظليمة، وإن عظمت وجلّت، وسـتقرأ في ثنايا هذا الكتاب ما يكفي لإثبات خلاف ذلك.

ولكنّنا نقول هنا باختصار شديد جدّاً:

أولاً: خبرة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

لم يكن المولى مسلم بـن عـقيل عليه السلام أقـلّ خبرة ـ والعياذ بالله ـ من عبد الله بـن عـمر وعـــبد الله بـن عـباس وأبي هـرّة الأزدي وغيرهم ممّن اعترض على الإمام السبط عليه السلام وذكّره! بغدر أهل الكوفة بأبيه وأخيه...

ثانياً: حضور المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

لم يكن مسلم بن عقيل عليه السلام بعيداً عمّا جرى لعمّه وابن عمّه وقد عاصر الأحداث والوقائع بنفسه الشريفة ورأى بعينه كلّ ما جرى من غدر وخيانة.

ثالثاً: معرفة المولى بالمجتمع الكوفي

كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام عالماً عارفاً بالمجتمع الذي أرسل له، ولولا ذاك لما اعتمد الإمام السبط عليه السلام عليه وعلى تقييمه، وبنا موقفه وانطلاق قيامه على ما سيخبره به ثقته.

عسكر ابن زياد

لا نريد هنا تقديم دراسة توثيقية ومسح سكاني دقيق للكوفة أيام المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وإنما نحاول باختصار وبالاستفادة من المتون التاريخية أن نبيّن أنّ الأكثرية الكاثرة والأغلبية الساحقة كانت خاضعة للباطل، وأنّ هذا الأمر كان على علم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام.

وبيان هذه الحقيقة لا يضرّ الكوفة وقداستها، لأنّ الكوفة أرض مقدّسة منذ أن خلقها الله ومسكن الأنبياء وعاصمة خلافة سيّد الأوصياء وخاتم الأولياء عليه السلام، ومعدن الشيعة وجمجمة العرب، وتقدّس الأرض لا يدنّسها ما ينتابها من قذر الأرجاس الذين ربما عاشوا عليها ردحاً من الزمن، تماماً كما هو حال كربلاء المقدّسة نفسها ومكة

والمدينة وغيرها من الأرضين المقدّسة.

ونعود مرّة أخرى لنؤكّد كما أكّدنا في أكثر من موضع من كتاباتنا أنّ الشيعة كانوا في الكوفة أكثرية نسبة للشيعة في بقية أصقاع العالم، لا بالنسبة للكوفة نفسها، فإنهم كانوا أقلّية صغيرة صغيرة جدّاً بالنسبة لباقي السكان، ويبقى الشيعة على طول التاريخ أقليّة، وما أكثر الأدلّة والشواهد على هذه الحقيقة، وأنصار الحقّ منذ عهد أبينا آدم قليل «آية».

ولكي تتّضح الصورة نقسّم السكان المتواجدين يومذاك إلى عدّة شرائح:

الشريحة الأولى: قوات السلطة والشرطة والحرس

أطلق على الكوفة اسم «كوفة الجند»[1] وأصبحت معسكراً ثابتاً لجيش السقيفة.

١. معجم البلدان للحموي: ٤ / ٤٩١.

وكانت أسماء الجند مسجلة في ديوان ولها مسؤول، وكان الملك الثاني عمر بن الخطاب قد دوّن الدواوين وأحصى أسماء الجند وأجرى لهم العطاء حسب الإحصائيات التي ضبط بها أسماءهم وأسماء عوائلهم وذرّيّاتهم ومواليهم، وآخر إحصائية وصلتنا قام بها زياد بن أبيه:

ففي فتوح البلدان ومعجم البلدان:

قال الوليد بن هشام: أخبرني أبي عن أبيه، وكان يوسف بن عمر ولّاه ديوان جند العرب، قال:

نظرت في جماعة مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين ألفاً ووجدت عيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل، ووجدت العرب مقاتلة الكوفة ستّين ألفاً وعيالهم ثمانين ألفاً»[1].

١. فتوح البلدان: ٣٤١، معجم البلدان: ١ / ٤٣٤.

وهـذه الإحـصائية التي قـام بهـا النـغل الأموي زياد بن أبيه بين سنة خمس وأربعين وثلاث وخمسـين كشـفت عـن سـتّين ألف مقاتل ضبطت أسماؤهم في الدواوين، وكانوا يأخذون العطاء رسمياً، ولم تكـن إحـصائية شاملة، لأنها ركزت على من ضبطه الديوان لأخذ العطاء، وحدّدت الإحـصاء بـالعرب خاصّة دون الموالي وغير المسـلمين، وهـم كثير.

وكــان هــؤلاء الجـند في طـاعة الوالي المـتسلّط، لا يـتجاوزونه حـتّى في أخـصّ الشؤون الخاصّة بهم:

روى الطـبري في التـاريخ بـعد أن قـطن عسكر السقيفة الكـوفة اسـتأذنوا عـمر في بنيان القصب فأذن لهم فبنوا، قال:

ثم إنّ الحريق وقـع بـالكوفة وبـالبصرة، وكان أشـدّهما حـريقاً الكـوفة، فـاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في شوال.

فما زال الناس يذكرون ذلك فـبعث سـعد مـنهم نـفراً إلى عـمر يسـتأذنون في البـناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم ـ وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلّا وآمروه فيه ـ فقال: افعلوا[١].

وهـذا النـصّ يكشـف عـن مـدى التزام عسكر السقيفة بطاعة أميرهم، ودقّـتهم في تحـرّي رضـاه وأوامـره حـتّى في شـؤونهم الخاصّة، فهم يستأذنون في نمط البـناء الذي يعيشون فيه ولو لم يأذن لبقوا في القصب ولو احترق عليهم كلّ يوم، لأنّهـم «لا يـدعون شيئاً ولا يأتونه إلّا وآمروه فيه».

ولا شكّ أنّ الكوفة كانت تـتقدّم في النمـو السكاني والعسكري منذ أن اتخـذها المـلك الثاني داراً لاستقرار عساكره وحتّى تسـلّط عليها الجرو الأموي ابن زياد.

---

١. تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤.

ويــؤكد خــضوع العســاكـر للسـلطة التهديدات التي أرعـد بهـا ابـن زيـاد يـوم هدّدهم بتفريق مقاتلتهم وإبعادهم إلى الثغور النــائية، وهـو يـتكلّم مـعهم بـلغة الآمـر العسكري الذي يتصرّف بقطعاته العسكرية كيف يشاء.

ومن الواضح أنّ هذه التشكيلة العسكرية المــنضبطة والمســيطر عـليها مـن خـلال التشكـيلة الإداريـة والقـبلية والاجـتماعية المرتبطة بالأجهزة الحاكمة بالولاء السياسي والديــني وضرورات الحــياة مـن خـلال الأرزاق والعطاء كانت مستقرّة في المـعسكر الكبير «كوفة الجند»، وكـانت تـتحرّك إلى الثغور والمشاتي والصائفة التي ما فتئت أيام الملك الثاني، وما بعده حتّى أيام مـلك بـني أمية وتسلّط يزيد على رقاب الناس.

وهي كانت على حـالها مـن انـتظامها في سلك الدولة أيام النعمان بن بشير، وكذا أيام

الجرو الأموي ابن زياد، ولم يصلنا أيّ خبر في التاريخ ـ حسب فحصنا ـ عن وجود تمرّد أو تشتّت في البنية العسكرية الأموية الرسمية حتّى أيام تشرّف الكوفة بأقدام المولى مسلم بن عقيل عليه‌السلام، ولو كان لبان.

وقد دفع النعمان بن بشير قصر الخبال وما يعنيه من التسلّط الإداري ومركزية الحكـم إلى ابن زياد بما في ذلك قيادة العسكر!

هــذا بــاختصار عـن الجـند والعسكـر والجيش الذي كان يـدين بـالولاء المـطلق لسادته وأمرائه.

الشرطة:

وكانت ثمّة قوّة أخرى «الشرطة» يبدو من خلال تتبّع موارد عملها والأوامر الصـادرة لها من ابـن زيـاد أنّهـا كـانت تـقوم بمـهام السيطرة على الكوفة داخلياً ـ كما هـو شأن الشرطة في هذا الزمان ـ.

وكان رئيس هذه القوّة لعين يقال له «الحصين بن نمير التميمي»، وكانت خاضعة خضوعاً تامّاً لقصر الخبال والجرو المتسلّط عليه، ولم يبلغنا ـ أيضاً ـ أي خبر عن وقوع التمرّد أو الانفلات في صفوفها، وغير ذلك.

وكانت هذه القوّة متماسكة مشدودة القوام كما يتبيّن من متابعة تحرّكها في الكوفة يومذاك وانتشارها على حدود المدينة وضبطها لكلّ داخل وخارج إلى المصر.

وكان فيها من الكثافة العددية ما يسمح لها بتنفيذ أوامر الجرو الأموي الذي سلّطهم على دور الكوفة لتفتيشها سكّة بعد سكّة وداراً بعد دار مع ما للكوفة من سعة جغرافية وانتشار أفقي وكثرة الدور.

كما أمره أن يضع المراصد على أفواه السكك، ففي تاريخ الطبري:

وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح

غداً واستبر الدور وجس خلالها[1]...

وقد ورد في إحصاء روي عن بشر بن عبد الوهاب القرشي ذكر فيه أنّ في الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وستّة وثلاثين ألف دار لليمن، وعشرين ألف دار لسائر العرب[2].

وهذا الإحصاء وإن كان متأخّراً لأنّ بشر بن عبد الوهاب قد توفي سنة ٢٥٤ هـ غير أنّه يعكس لنا نموذجاً من النمو السكاني[3]، ويمكننا من رسم صورة للكوفة، لأنّ بشر لم يذكر الموالي وغير المسلمين الذين كانوا يتواجدون بكثافة وكثرة في الكوفة أيام تسلّط ابن زياد.

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.
٢. الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العملي للأستاذ حسن الحكيم: ٣٥، وانظر: معجم البلدان للحموي: ٤ / ٤٩٢، والمنتظم لابن الجوزي: ٤ / ٢٢١.
٣. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العملي للأستاذ حسن الحكيم: ٣٥.

الحرس:

وهناك قوّة أخرى تدعى «الحرس»، وقد وردت الإشارة إليها مرّات عديدة في خضم الحديث عن الأحداث الجارية يـومها، كـما سيتّضح من مراجـعة المـصادر، مـن قـبيل النداء الذي نادى به ابن الأمة الفاجرة بـعد أن خرج من جحره الى المسجد، حيث أمر منادياً فنادى بالكوفة ألا برئت الذمّـة مـن رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

وهؤلاء الحرس إمّا أن يكون المقصود بهم حرسه الشـخصي، وهـو بـعيد، وذلك لأنّ الحـرس الشـخصي له كـان حـوله سـاعة خروجه إلى المسجد.

أو يكون الحـرس الذيـن كـانوا يجـوبون السكك والمنهاج في اللـيل وربمـا في النهـار لتأمين الدور والطرقات، كما هو مرسوم إلى وقت متأخّر، بل إلى اليوم في بعض البلدان.

وربما كان المقصود كلا الطائفتين.

النتيجة:

وبهذا تتكشف لنا ـ من خلال ما ذكـرناه باختصار ـ حقيقة تـاريخية ربمـا لا يـلتفت إليها كثيراً، وهي:

إنّ عسكر السقيفة وجيوش أمـيّة كـانت على الولاء لأسيادها، مـنتظمة في رايـاتها، منتشرة ضمن قطعاتها، ولم يذكر لنا التاريخ ـ حسب فحصنا ـ أيّ اهتزاز أو خلخلة في صفوفهم، إلّا إذا كانت حالات نـادرة مـن الانشقاقات التي لا يعتد بها لتذكر.

وكـــذا كـــانت قـــوى الأمـن الداخـلي «الشرطـــة» تحت السـيطرة، وكـانت مـن الكثرة والاستعداد بحيث تستطيع أن تمسـح الكوفة وتفتشها داراً داراً!

الشريحة الثانية: لم يكاتبوا ولم يبايعوا

ورد في الأخبار أنّ مجموع من بايع المولى مسلم بن عقيلعليه السلام ثمانية عشر ألفاً، وهـذا العدد لا يمثّل الأعداد الهائلة التي كانت تقطن الكوفة يومئذٍ، بـالخصوص إذا لاحـظنا أنّ الكـوفة يـومذاك كـانت ثكـنة عسكـرية وتدعى «كوفة الجند».

وأقلّ ما يقال فيها أنها كانت تحوي مـائة ألف سيف[١] فيكون العدد المبايع أقلّ مـن خمس العدد القادر على القتال بالفعل، فـهم أقليّة رغم ضخامة العدد المروي.

بل إنّ عدد الثمانية عـشر ألفاً المـذكور لا يساوي حتّى أتباع هاني ورجاله مـن مـراد فقط وأحلافها من كندة قال المسـعودي في المروج:

«وهو ـ يعني هـاني بـن عـروة ـ يـومئذٍ

١. انـظر: أنسـاب الأشراف للـبلاذري: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١، وغيرها.

يركب في أربـعة آلاف دارع وثمـانية آلاف راجـل، وإذا أجـابتها أحـلافها مـن كـندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجـد زعيمهم منهم أحداً فشلاً وخذلاناً»[١].

والمفروض في العدد غير المبايع أن يكون على ولائه للسـلطان، وفي أفـضل حـالاته يكون خاذلاً لسيّد الشهداءعليه السلام، ولا يـقال عنه أنّه ناصر للحسينعليه السلام، فهو لا يريد أن يسجّل موقفاً مع المولى مسلم بن عقيلعليه السلام، ولا يمكـن أن يـصوّر في المحـايدين، لأنّ خذلان الحقّ وتـرك نـصرته والحـياد فـيه خيانة ومذلّة.

فـالأكـثرية السـاحقة كـانت في عـداد الخاذلين للحقّ منذ البداية، ولم تعلن ولاءها لسـيّد الشهـداءعليه السلام بـالمكاتبة ولا المـبايعة لسفيره، لأنّـنا لو افـترضنا ـ وهـو فـرض

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٠.

بعيد ـ أنّ الذين كاتبوا غير الذين بايعوا، فسيكون مجموعهم أقلّ من سكان الكوفة ومقاتليها.

على أنّ العدد المبايع المشهور يربو قليلاً عن نصف العدد الذي كان يركب به هاني.

ومن الواضح أنّ الكوفة يومها كانت أكبر من مراد وكندة جميعاً، بل إنّ مراد وكندة كانت أكثر من ذلك، لأنّها لم تكن جميعاً تنضوي تحت راية هاني وتتولى زعامته.

وإذا كان هاني يركب في العدد المذكور (ثلاثين ألفاً)، فهذا يعني أنّ أتباع هاني أيضاً لم يبايعوا جميعاً، وذلك لأنّ العدد المبايع والمكاتب كان عبارة عن خليط متراكم من مجموع الكوفة وليس من مراد وكندة فقط، ففيهم الكندي والمذحجي والهمداني وغيرهم.

فكان فيهم من يستجيب للزعامة القبلية غير أنّه لم يعلن استعداده للاستجابة للحقّ

والقيام مع الإمام عليه السلام أو سفيره.

وهذه النتيجة ليست غريبة على المجتمع الكوفي الذي كان الشيعة فيه من أصغر الأقليات، وإن كانوا بالنسبة إلى أعداد الشيعة في غيرها من البلدان كثيرين.

ومن البديهي أنّ المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام كان على علم تام بخذلان الأكثرية وعدم استجابتها لنداء القرآن وانصياعها المذلّ المشين لهتاف الشيطان، منذ أن ورد الكوفة، بل قبل ورودها.

وهذا كلّه لا يمنع من المجيء إلى الكوفة لإقامة الحجّة وإتمامها، فالإمام الحسين عليه السلام هو حجّة الله البالغة ومسلم عليه السلام هو المبلّغ عنه.

الشريحة الثالثة: كاتبوا ولم يبايعوا

يمكن تقسيم الذين كاتبوا ولم يبايعوا إلى كتلتين:

الكتلة الأولى: المعروفون بالأسماء

ربمـــا لا يســـتطيع البـــاحث أن يـفتش الخرجين الذيـن حمـلهما سـيّد الشهـداء عليه السلام وعـرضهما عـلى الحـرّ وأصـحابه، ليـطبّق الأسماء واحدة واحدة، فيميز الذين كـاتبوا سيّد الشهداء عليه السلام وبايعوا له على يـد المـولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

بيد أنّ ثمة جماعة يمكن أن نميّزها من خلال ورود أسمائهم في التاريخ ضمن كتبهم، ولم نجد لهـم ذكراً أيام أخذ البـيعة في الكـوفة، بـل نجدهم بين يدي ابـن الأمـة الفـاجرة مـنذ الساعات الأولى لدخوله قصر الخبال.

وقد خاطبهم الإمـام سـيّد الشهـداء عليه السلام واحتجّ عليهم بمكـاتبتهم وخـذلانهم، مـن قبيل شـبث بـن ربـعي وعـزرة بـن قـيس وأمثالهم.

وهؤلاء كـانوا يمـثلّون رؤوساً في المجـتمع الكوفي يومئذٍ ـ وإن كـانت رؤوساً عـفنة ـ

ولهم أتباع ينصاعون إليهم بدوافع قـبلية أو سياسية أو بدوافع الطمع والمال والدنيا وما شاكل.

ويشهد لذلك أمر الجرو الأموي ابن زياد الصادر لهم الذي يقول فـيه: «أخـرج بمـن أطاعك».

الكتلة الثانية: المعروفون إجمالاً

لابد أن يكون من هذا القسم جماعة ممّـن كاتبوا الإمام عليه السلام فأرسـلوا له الكـتب مـن الرجل والرجلين، ثم نكصوا عـلى أعـقابهم خاسئين.

فقد حدّثنا التاريخ أنّ مجموع الكـتب التي اجتمعت عند سيّد الشهداء عليه السلام كـانت إثـنا عـشر ألف كـتاب مـن الرجـل والرجـلين والأربعة.

قال السيّد ابن طاووس في اللهوف وابن نما في المثير والمجلسي في البـحار والبـحراني في

العوالم:

«... وأنـــفذوا جمـــاعة مـعهم نحـو مـائة وخمسين كتابة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة يسألونه القدوم عليهم، وهـو مـع ذلك يتأنّى ولا يجيبهم، فورد عـليه في يـوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حـتّى اجتمع عنده في نوب متفرّقة إثنا عشر ألف كتاب»[1].

فــإذا جــعلنا مـعدّل مـن كـاتب سـيّد لشهداء عليه السلام في كلّ كتاب ثلاثة، وهو العـدد المتوسّط بين «الرجل والرجلين والأربـعة»، على أنّ بعض الكتب تضمّنت أسماء أكثر من أربعة يكون عدد المكاتبين «سـتّة وثـلاثين ألفاً».

والحال أنّ العدد المشهور للمبايعين عـلى

١. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٣٥، مـثير الأحـزان لابن نما: ٢٦، بحـار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٤، رياض الأبرار للجزائري: ١ / ٢٠٨.

يد المـولى مسلم بن عقيل عليه السلام ثمـانية عـشر ألفاً.

فيكون وفق هذا الحسـاب نـصف العـدد المكاتب قد تخلّى عن البـيعة وانـقلب عـلى عقبه واختار النار وبئس القرار.

وإن افترضنا العدد المكاتب أكثر من ذلك، فإنّه يؤكّد أنّ العدد المكـاتب المـتخلّي عـن البيعة أكثر.

وإن افترضنا لكلّ كتاب رجـلين فـيكون العدد المكاتب أربعة وعشرين ألفاً، فيكون مجموع عدد المكـاتب والمـبايع «٤٢٠٠٠» وهو أقلّ من نصف العدد المفترض للمقاتلين في الكوفة.

وإذا افترضنا لكلّ كتاب رجـلاً واحـداً، فـيكون العـدد المكـاتب إثـنا عـشر ألفاً، والمبايع ثمانية عـشر ألفاً ويكـون المجـموع (ثلاثون ألفاً) وهو بمقدار العدد الذي يركب بهم هاني بن عروة وحده.

لفتة:

ربما يتبيّن مـن خـلال مـا شرحـناه آنـفاً مغزى تأكيد سيّد الشهـداء عليه السلام عـلى أهـل الكوفة يومذاك أنّـه لا يـعتمد عـلى كـتبهم ورسلهم، وإنما يعتمد ما سيكتب إليه سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام في تقييم الوضع، ويخبره به من تطابق الكتب والرسل مع ما سيجتمع عليه ذووا الحجا والرأي عندهم.

كما تبيّن لنـا أنّ كشـف النـوايـا الخـبيثة المنطوية على الغدر والخيانة من نتاج سـفر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة.

الشـــريحة الرابـعة: اتّـخذت المـوقف المعادي قبل النداء

يحدّثنا التاريخ عن جماعة كـبيرة تـعلّقت بأغصان الشـجرة المـلعونة في القـرآن قـبل النداء بالشعار، من قبيل العدد الهـائل الذي خرج بقيادة عـمرو بـن الحـجاج الزبـيدي

للمطالبة بهاني بن عروة، فأعلنت خضوعها للـقرود، وأنهـا لم تخـلع طـاعة ولم تـفارق جماعة:

لمّا «بلغ عمرو بن الحـجاج أنّ هـانئاً قـد قتل، فأقبل في مذحج حتّى أحاط بـالقصر ومعه جمع عظيم.

ثم نادى: أنا عـمرو بـن الحـجاج، هـذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة»[1].

وقال الدينوري: «وبلغ مـذحجاً أنّ ابـن زيـاد قـد قـتل هـانئاً، فـاجتمعوا بـباب القصر»[2].

وهو إعلان صريح عن الانحياز إلى صـفّ عساكر السقيفة، ونصرة ابن الأمة الفاجرة، والتحلّل عن أيّ التزام مع غيره.

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٧، الكامل في التاريخ لابـن الأثير: ٤ / ٣٠.

٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

فإذا كانت مذحج القبيلة الكبيرة أعلنت الطاعة صراحة بجمع عظيم بشهادة المؤرّخ، وبفرسانها ووجوهها بشهادة عمرو بن الحجاج، وهي قد خرجت للذود عن رئيسها والمطالبة بكبيرها هاني بن عروة، فكيف بغيرهم؟! وتعدّ مذحج مثالاً أبرزهم لنا الموقف الذي اتخذوه.

وخبر هؤلاء المسوخ قد بلغ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، «بل ربما أفادت بعض العبارات الواردة في الروايات[1] أنّ تخاذل مذحج وانصرافها عن نصرة هاني والثبات على المطالبة به كانت هي السبب في رفع الشعار، والانطلاق نحو القصر، وكأنّ هؤلاء القوم الذين دعوا لمحاصرة القصر سيقومون

١. انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩٢، اللهوف لابن طاووس: ٤٧، تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

بدور عشيرة هاني المتخاذلة»[1]..

الشريحة الخامسة: بايعوا ولم يلبوا النداء

لا شكّ أنّ جماعة ممّن بايعوا لم يلبّوا النداء، وهو ممّا تقتضيه طبيعة الأحداث بشهادة الأرقام المذكورة بأقلّ من العدد المبايع من قبيل «٤٠٠»، «٣٠٠٠»، «٤٠٠٠»... وقد اتّفقت المصادر على أنّ المبايعين أكثر من هذه الأعداد، فيلزم أن تكون جماعة كبيرة قد نكثت البيعة ولم ترع العهود والمواثيق المأخوذة عليهم قبل النداء أو حين النداء.

وهؤلاء أيضاً لم يغيبوا عن نظر المولى وحسابه لأنّه ـ على هذا الفرض ـ عبأ العدد المتوفّر لديه، وقسّم راياته حسب الأفراد الذين حضروا بين يديه[2].

١. مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير للسيّد علي أشرف: ١٩٥.

٢. وسيأتي بقية الكلام عن هذه الشريحة أثناء الحديث عن عسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

الشريحة السادسة: لبّوا النداء ولم يثبتوا

اختلفت المصادر في تعيين العدد الذي لبّى النداء وتراوح التقدير بين ثمانية عشر ألفاً والأربعمائة.

والذي تفيده المصادر أنّ الكثير من هؤلاء لم يبلغوا مع المولى إلى فناء المسجد، وإنما تفرّقوا عنه في الطريق قبل الوصول.

ومنهم من وصل ثم نكص على عقبيه، فدخل تحت راية أولاد البغايا:

قال الشيخ المفيد في الإرشاد:

وجعل محمد بن الأشعث، وكثير بن شهاب، والقعقاع بن شور الذهلي، وشبث بن ربعي، يردّون الناس عن اللحوق بمسلم ويخوفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الروميين ودخل القوم معهم.

النتيجة:

يمكن استخلاص بعض النتائج ممّا مرّ من البحث:

النتيجة الأولى:

تبيّن من خلال تقسيم المجاميع السابقة أنّ الأكثرية الشاملة كانت في صفّ جند الشيطان، ولم يكن مع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ولا مع سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أقليّة قليلة من المقاتلين في الكوفة، سواء المكاتبين أو المبايعين، أو المستجيبين لنداء «يا منصور»، وإن كانوا بحسب العدد لو لوحظ لوحده عدداً كبيراً.

واتضاح هذه الصورة وبيان هذه الحقيقة التاريخية مهمّ غاية الأهمية، ومؤثر أبلغ الأثر في فهم الواقع، وتقرير الوضع، واستكشاف الموقف، ومعرفة المواقف.

النتيجة الثانية:

إنّ ما يرسمه لنـا المـؤرّخ في صـورة تـثير العــجب وتـدعو المـتأمّل وغـير المـتأمّل للاستغراب من خلال عرضه لابـن زيـاد، وكأنّه كان وحيداً إلّا من بعض من يسمّيهم الأشراف! وبعض الشرط الذين لا يـتجاوز عددهم جميعاً الخمسين، والدنـيا كـلّها مـع كبير آل عقيل، غـير أنّ ذكـاء ابـن الأمـة الفاجرة ودهاءه وخـبرته ودقّـته في تـنفيذ الخـــطوات المـــطلوبة في الوقت المـناسب، وإطلاقه التهديدات وإعلانه البيانات عـلى الناس أوقات الضرورة مـهّدت له الطـريق لقلب الكوفة بقدرته الفذّة على المولى مسلم بن عقيل عليه السلام واستقطاب كلّ القوى المـوالية له وتركه وحيداً متلدّداً.

تتّضح هذه الصورة السـحرية السـاخرة ويتبيّن زيفها وكذبها والتمويه فيها.

ويشهد لوجود العدّة والعدد عند ابن زياد قـــول السـيّد ابـن طـاووس في اللـهوف: «فتحصّن مـنه بـقصر دار الإمـارة واقـتتل أصحابه وأصحاب المسلم»[١]..

وقول ابن سعد في الطبقات: «... واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد»[٢].

وقول ابن أعثم في الفـتوح: «... وخـرج عبيد الله بن زياد من القصر ـ يعني بـعد أن اعتقل هاني بن عروة ـ حتّى دخل المسـجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عـليه، ثم التـفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدّة والسيوف المسللة، فـقال: أما بعد يا أهل الكوفة ...».

وهذه العبارات وغـيرها ـ ممّـا ذكـرناه ـ تكشف أنّ ابن زياد كان عنده جيش كثيف

١. اللهوف: ٤٧.
٢. الطبقات الكبرى: خ ١/ ١٤٦.

مستعد للقتال والاشتباك مع أصحاب مسلم بن عقيل عليه السلام، ولو كان العدد قليلاً لما استطاع الوقوف والقتال.

وأمّا قول المؤرّخ:

وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس.. كما في تاريخ الطبري.

لا يعني بالضرورة أنّه كان وحيداً، وأنّه كان في قلّة من العدد والعدّة، وإنما يفيد أنّه كان قد وظّف جميع قطعانه في حرب المولى، وأخرجهم في مهامهم التي رسمها لهم، فكان في القصر في تلك الساعة خاصّة في قلّة ممّن حضره.

وممّا يشهد لقلّة العدد في ساعة من تلك الساعات وليس مطلقاً قول كثير كما في تاريخ الطبري:

«أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل

بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله..».

ومن الواضح أنّ التعبير هنا بالقلّة تعبير نسبي، فالقصر يزدحم بالحركة حيث يتردّد القادة والأتباع دخولاً وخروجاً لاستلام الأوامر وتقديم التقارير، ويعج بحركة الشرطة والحرّاس الشخصيين وغير ذلك، بيد أنّ هذا العدد المتواجد في القصر يعدّ قليلاً بالنسبة للأعداد الضخمة المتجحفلة خارج القصر وفي رحبة المسجد وشوارع الكوفة وأزقتها.

ثم إنّ العدد مهما كان كبيراً، فهو يعدّ قليلاً بالنسبة للجبان الذي يخاف من ظلّه، ولا يقوى إلّا إذا كان في أحضان عسكره وجنده.

بل لو كان أهل الأرض كلّهم مع الجبان ابن زياد لخاف واستوحش، لأنّه يعرف شجاعة ابن عقيل عليه السلام وقوّته وصولته.

النتيجة الثالثة:

إنّ الشرائح الخـمسة الأولى كـانت قـبل التوجّه نحو القصر وتقسيم الرايات، وكـان المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام على علم تامّ بهـا قبل أن ينادي بشعاره، بل كـانت مـواقـف الشريحتين الأولى والثانية واضـحة للـعيان قبل أن يخرج المولى من مكة، وتبين موقف الشريحــة الثـالثة عـند دخـوله الكـوفة، وانكشفت الشريحة الرابعة قـبل أن يـنادي بالشعار، وتحدّد موقف الشريحـة الخـامسة قبل تقسيم الرايات والانطلاق نحو القصر.

تذكير مهم

لا يقال: إذن كيف كتب المولى مسلم بـن عقيل إلى سيّد الشهداء عليه السلام بالقدوم إذا كانت الأقلّية معه، وهو يرى ذلك؟

والجواب على ذلك باختصار:

أولاً:

إنّ القانون الربّاني حاضر عند الفقيه العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله مسلم بن عقيل عليهما السلام والقرآن ملء صدره وقلبه، وهو يقول «كم من فـئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله».

ثانياً:

قام الإمام الحسن عليه السلام لمواجهة المدّ الأموي القادم من الشام بقيادة معاوية بإثني عـشر ألفاً، وقاتل النبي في كثير من معاركه بأقـلّ من هذا العـدد مـقابل أعـداد ضـخمة مـن الكفّار.

فلو كان العدد المبايع ثـابتاً لكـان كـافياً للمقارعة وفق الحسابات الظاهرية.

ثالثاً:

ملاحظة الجانب الغيبي في القيام الحسيني، وذلك أنّ المولى كتب إلى سيّد الشهـداء عليه السلام وفق التكليف الظاهري ومـتطلّبات إقـامة

الحجّة وإتمامها على الناس، وإلّا فـهو عـالم ـ ولا شكّ في ذلك أبـــداً ـ أنّ وجــــهة سيّد الشهداء عليه السلام كـربلاء وليست الكـوفة، وأنّ الإمــام الحسـين عليه السلام مـاض في تـنفيذ مشيئة الربّ والإقدام على الفتح بـالشهادة وإجابة دعوة الله....

قطعات عسكر ابن زياد

والآن نستعرض بشكل سريع القـطعات التي تألّف منها عسكر ابن زياد، وهي وإن لم يصرّح بها التاريخ تصريحاً واضحاً، إلّا أنّها تتكشّف للمتأمّل بسرعة حينما يقرأ النصّ.

ولا يخفى أنّ القطعات التي سـنذكرها مـن خلال استنطاق النصّ التـاريخي تـنتظم في العسكر الذي باشر المـمارسات العسكـرية يــوم حـصار القـصر، ويمكـن أن يـتوسّع البــاحث في التـنقيب والتـنقير، فـيحصي أصـحاب الرايـات والقـطعات التي كـانت منتظمة مـن قـبل ضـمن جـيش السـقيفة المتواجد في الكوفة باعتبارها مـركز الجـند وثكنة العسكر، أو التي ميّزها ابن زيـاد في الأرباع كما روى البلاذري والطبري:

فقال ابـن زيـاد للـناس: تمـيزوا أربـاعاً

فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم[١]....

القطيع الأوّل: عسكر مذحج بقيادة عمرو بن الحجاج

كانت مذحج من أكبر القبائل التي قطنت الكوفة واستوطنت فيها، وقد أطلق على قبيلة مذحج لفظ «شعب»، لأنّ القبائل تشعّبت منها، فهي من القبائل الرئيسية في العرب، وتكون بمنزلة الرأس للأنساب[٢]، ومن فصائل قبيلة مذحج «مراد»، و«زبيد»، «عنس»، و«بني سعد العشيرة» و«جعفى النخع»[٣]....

وكانت مذحج قبيلة مقاتلة حتّى عرفت

١. أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥/ ٣٧٣.
٢. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٢.
٣. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٦.

بعض حروبها بالأيام، كيوم البيداء بين عدوان ومذحج، ويوم السلان، ويوم خزاز بين مذحج وربيعة، وقد احتكت ببعض القبائل، فأدّى الاحتكاك إلى حروب، كحربها مع قبيلة سليم وقبيلة عامر بن صعصعة، وقبيلة تميم، وغيرها، وقد صارعت قبيلة همدان وقضاعة وطيء والأزد وكندة ونجد[١]....

وكان لمذحج دور كبير وإسهام فاعل في المعارك والحروب التي جرت في العراق، وقد شاركت المرأة المذحجية في القتال في أيام القادسية، فكانت نساء النخع وبجيلة يقمن بمهام قتالية، وبقي المذحجيون يواصلون القتال في القادسية ومعارك المدائن وجلولاء ونهاوند[٢]....

١. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٤.
٢. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي

وهذه القبيلة التي تعدّ من أكبر وأضخم القبائل في الكوفة، قد خرجت قبل أن يرفع المولى شعاره «يا منصور» لتعلن الطاعة وملازمة الجماعة، وقد خرجت لهذا المهم خروجاً منظماً تحت قيادة عمرو بن الحجاج الزبيدي، وأثبتت من خلال ائتمارها بأمره وتخليّها عن زعيمها هاني أنّها في سلك الطاعة للقرود الأموية وأذنابها.

وقد بقي هذا الوغد أميراً في جيش السقيفة، وخرج لقتال سيّد الشهداء عليه السلام على آلاف من المحاربين في كربلاء، وكان على المشرعة لمنع سيّد الشهداء عليه السلام ومن معه عن الماء.

روى ابن الأثير في الكامل والسيّد ابن طاووس في اللهوف، واللفظ للأخير:

قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ

← للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٧ وما بعدها.

هانياً قد قتل، وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة، فأقبل عمرو في مذحج كافّة حتّى أحاط بالقصر، ونادى:

أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة[1].

وهذا الطاغي الفاسد يعني ما يقول، وكلماته لها دلالات واضحة لا لبس فيها ولا تغبيش، وقد تقدّم نحو القصر يقود الزبد المتعفّن الممتثل لأوامره، المطيع لرأيه إطاعة عمياء تستعد معها للتخلّي عن مطلبها في إنقاذ زعيمها وسيّدها، فنادى فيهم بالرجوع فرجعوا!!!

فهم في قبضة ابن زياد وعلى أمره وطوع إرادته، وكلّهم على الحقّ وأنصاره منذ تلك الساعة ـ على الأقل ـ.

١. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠، واللهوف: ٤٧.

القطيع الثاني: عسكر كثير بن شهاب

روى الطـبري وابـن الأثـير وغـيرهما، واللفظ للأوّل:

... ودعا عبيد الله كـثير بـن شهـاب بـن الحصين الحـارثي، فأمـره أن يخـرج فـيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة[١].

من الواضح جدّاً أنّ قوله «فيمن أطاعه» يشير بصراحة إلى وجود ناس قـد دخـلوا تحت راية المأمور كثير بن شهاب والقعقعاع وشمر وغيرهم من الأسماء المنصوص عليها، فهم قادة ولهم أتباع، وقـد صـدرت إليهـم الأوامـر بـالتحرّك في قـطعات للـنزول إلى الساحة، وصدور الأمر إلى القائد يكفي عن التفصيل.

١. تـاريخ الطـبري: ٥ / ٣٦٩، الكـامل في التـاريخ: ٤ / ٣١.

القطيع الثالث: عسكر القعقاع الهذلي

وفي تاريخ الطبري أيضاً:

وقـال مـثل ذلك ـ أي أن يخـرج بمـن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهـلي، وشـبث بن ربعي التميمي، وحجار بن أبجـر العـجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري[١]....

وروى الطبري قال: فلمّا رأى محـمد بـن الأشـعث كـثرة مـن أتـاه، أخـذ يـتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شـور الذهـلي إلى محمد بن الأشعث: قد جـلت عـلى ابـن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقـبل حتّى دخـل عـلى ابـن زيـاد مـن قـبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهـاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قـومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ:

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه[١]..

وكانت الجماميع الخارجة مع هـؤلاء مـن الكثرة والكثافة بحيث كانت تشكّـل سـدّاً يقطع الطـريق أمـام الحشـود المـتجمّعة في الميدان.

قال ابن الأثير:

وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التمـيميّ والقعقاع بن شور، وجعل شـبث يـقول: انـتظروا بهـم اللـيل يتفرّقوا، فقال له القعقاع:

إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا[٢].

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

٢. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

فقوله «إنّك سددت عليهم وجه مهربهم» يكشف عن وجود عسكر يكفي لسدّ وجـه المهرب على تلك الجموع، وأنّهـا كـانت في محاصرة كاملة....

القطيع الرابع: عسكر حجّار بـن أبـجر العجلي

في تاريخ الطبري: وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمى وحـجار بـن أبجـر العـجلي وشمـر بـن ذي الجـوشن العامري[١]....

القطيع الخامس: عسكر محمد بن الأشعث

في تـاريخ الطـبري:... وأمـر محـمد بـن الأشعث أن يخرج فيمن أطـاعه مـن كـندة وحضرموت[٢]....

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

وقال ابن الأثير: وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربـعيّ التـميميّ والقعقاع بن شـور، وجـعل شـبث يـقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع:

إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا[١].

وقال الطبري: وخرج محمد بن الأشـعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابـن عـقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به الى ابن زياد فحبسه، فـبعث ابـن عـقيل الى محـمد بـن الأشعث من المسجد عبد الرحمـن ابن شريح الشبامي.

فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القـعقاع بـن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت

١. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين[١]....

القطيع السادس: عسكر الحرس والشرطة

قال الدينوري بعد أن روى أحداث تفرّق الناس:

... فخرج ـ أي الدعي ابـن الدعـي ابـن زياد ـ فيمن كان معه، وجلس في المسجد، ووضعت الشموع والقناديل، وأمر مـنادياً فنادى بالكوفة:

ألا برئت الذمّة مـن رجـل مـن العـرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

فاجتمع الناس، ثم قال:

يا حصين بن نمير ـ وكان على الشرطـة ـ ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة مـن سكك الكـوفة، فـإذا أصـبحت فـاستقرء الدور،

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

داراً، داراً، حتّى تقع عليه[١].

وهذا النصّ يفيد أنّ ابن زياد كان له حرس وشرطة منتشرون في الكوفة، أمر أن يجتمعوا إليه، وكان للشرطة رئيس وقائد، وهو «الحصين بن نمير»، وكان للحصين هذا أفراد وقوّة تؤهّله لاستبراء بيوت الكوفة....

وقال اليعقوبي في تاريخه:

ففهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجه بالشرط يطلبون مسلماً[٢]....

القطيع السابع: عسكر شمر بن ذي الجوشن

قال الطبري: وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمى وحجار بن أبجر

١. الأخبار الطوال: ٢٣٨.
٢. تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣.

العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري[١]....

القطيع الثامن: عسكر الوجوه والأشراف!

في خبر عمار الدهني ـ وهو حديث طويل رواه الطبري ـ: ... وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلمّا سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم[٢]..

وقال الطبري أيضاً في حديث طويل:

... وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين[٣]....

وقال ابن حجر:

... وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.
٣. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

فجمعهم عنده في القصر، فأمر كلّ واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم[1]..

وقال ابن الأثير:

... وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الّذي يلي دار الروميّين[2]....

هؤلاء السفلة الذين يسمّونهم الشرفاء إنما حازوا هذا الاسم باعتبار أنّهم وجوه معروفة لها أتباع وأنصار وذيول..

القطيع التاسع: عسكر شبث بن ربعي

قال الطبري: وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمى وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري[3]....

١. الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.
٢. الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣١.
٣. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

وفي الكامل لابن الأثير: وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا.

وفي تاريخ الطبري تصريح بعقد اللواء لشبث بن ربعي:

... فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه[1]..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

القطيع العاشر: عسكر عمرو بن حريث

قال الطبري: ... وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمّره على الناس[1] ....

❊❊❊

هذه القطعان العشرة التي أحصيناها على عجل خرج كلّ قائد لها بالزبد الذي تبعه وعقد له راية، لأنّ مفهوم قول الدعي «اخرج بمن أطاعك» يعني تخويله وتأميره وعقد الراية له.

وهذا الإحصاء البسيط يكشف زيف الإدعاء التاريخي الذي يؤكّد بقاء ابن زياد في بداية الأمر وحده لا ناصر له ولا أتباع، ثم تحوّل الناس إلى جهته بفعل خططه وسياساته!

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

عدد عسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

اختلف المؤرّخون في العدد الذي لبّى نداء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام:

فهم عند ابن سعد أربعمائة من الشيعة:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة».

وعند البلاذري أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألف: «وأتى مسلماً خبر هانئ، فأمر أن ينادي في أصحابه، وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله، فلم يجتمع إليه إلّا أربعة آلاف رجل، فعبأهم ثم زحف نحو القصر»[1].

ويفيد الدينوري من خلال جمع عبارتين له أنّهم ثمانية عشر ألف رجل:

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن

١. أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

عروة نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا.... فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس»[١].

وقال قبل ذلك:

«ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل»[٢]....

وفي أحدى روايات الطبري أربعة آلاف من أهل الكوفة:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته»....

وفي الرواية الأخرى الطبري تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة:

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.
٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٥.

عن عبد الله بن خازم في خبر طويل:

قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ....

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت، وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه... ثم أقبل نحو القصر..

وفي خبر عباس الجدلي!:

خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة....

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق،

وما زالوا يثوبون حتّى المساء ...»[١].

وفي الرواية الثالثة الطبري لم يحدّد العـدد بالضبط، وإنما عبّر عنهم ناس كثير.

«فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير».

وعـــند ابـن أعـثم: ثمـانية عـشر ألفاً أو يزيدون..

«وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبـين يـديه ثمـانية عـشر ألفاً أو يزيدون ...»[٢].

واجـتمعوا عـلى قـول المسـعودي دفـعة واحدة ثمانية عشر ألف رجل!!

«فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عـشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد»[٣].

وهم عند ابن حبّان: ثلاثة آلاف فارس..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.
٢. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.
٣. مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد»[١].

وعـند أبي عـلي مسكـويه مـثل أحـدى روايات الطبري:

«وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر. فأتوه بالخبر على وجهه، وأمـر أن يـنادى بشعاره: يا منصور أمت وكان قد بايعه ثمانية عـشر ألف رجـل، فـاجتمعوا إليـه، فـعقد لجماعة على الأرباع، وقدّم أمامه صـاحب ربع كندة، وأقبل نحو القصر، فتحرّز عـبيد الله، وغلّق الأبـواب، وسـار مسـلم حـتّى أحاط بالقصر، وتداعى الناس، واجتمعوا، حـتّى امـتلأ المسـجد والسـوق، ومـا زالوا يتوثّبون حتّى المساء»[٢].

وعند ابن شهرآشوب: ثمانية آلاف!!

١. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.
٢. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٩.

«ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه»[١] ....

وعند ابن الجوزي في المنتظم: أربعة آلاف..

«فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف»[٢] ....

وعند ابن الأثير: ذكر أعداد المبايعين والمجتمعين حوله ثم جمعهم بقوله «ناس كثير».

«وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير...»[٣].

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧.
٢. المنتظم: ٥ / ٣٢٦.
٣. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠.

وعند ابن نما: جماعة ممّن بايعه..

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه»[١] ....

وعند ابن طاووس: لم يحدّد العدد وإنما خرج بمن بايعه..

«وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد»[٢]..

وقال ابن كثير:

«فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة..»[٣].

وهم عند ابن حجر: أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة....

«ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً من أهل

١. مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.
٢. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٤٧.
٣. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

الكوفة»[١]..

الأعداد باختصار

فتكون الأعداد باختصار:

ابن سعد: ٤٠٠ من الشيعة.

البلاذري: ٤٠٠٠ من أصل ١٨٠٠٠.

الدينوري: ١٨٠٠٠. الطبري ١٤٠٠٠.

الطبري٢: تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة على تفصيل في الانقباض والانبساط.

الطبري٣: معه ناس كثير.

ابن أعثم: ١٨٠٠٠ أو يزيدون.

المسعودي: ١٨٠٠٠ اجتمعوا دفعة واحدة!

ابن حبان: ٣٠٠٠ فارس.

ابن شهرآشوب: ٨٠٠٠.

ابن الأثير: ناس كثير كما صرّح.

١. الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

ابن نما: جماعة.

ابن حجر: ٤٠٠٠٠.

فإذا حملنا عبارات «بمن بايعه» للسيّد ابن طاووس، و«جماعة»، و«ناس كثير»، و«امتلأ المسجد والسوق»، وغيرها على الإجمال، وذكر الأعداد على التفصيل نرى الأعداد تتراوح بين الأربعمائة إلى الأربعين ألفاً.

ووقوع الاشتباه في التخمين بين الأربعمائة والأربعين ألفاً لا يقبل من مثل الأعمى، فربما استطاع أن يميّز بسمعه الفرق بينها، وهم حسب الفرض جيش يموج بعضه على بعض.

وكذا الكلام في باقي الأعداد ومقارنتها إلى بعضها من قبيل الأربعمائة بالمقارنة إلى الأربعة آلاف، والأربعة آلاف بالمقارنة إلى الثمانية عشر ألف، والثمانية آلاف إلى باقي الأعداد وهكذا....

الاجتماع التدريجي

ربما يقال: إنّهم اجتمعوا تدريجياً وروى كلّ مؤرخ مشاهدات راويه، وبهذا يفسّر هذا الاختلاف الحاصل في تقدير العدد.

ويناقش هذا التفسير لسببين:

السبب الأوّل:

لوجود شواهد في عبارات بعض المؤرّخين تنفي هذا التفسير من قبيل قول المسعودي: «فاجتمع إليه في وقت واحد»، وخبر الطبري وغيره الذي فصّل بين العدد المذكور ساعة الانطلاق وتناقصه، ثم تداعي الناس حتّى امتلأ المسجد والسوق....

السبب الثاني:

إنّ كلام المؤرّخ ينصبّ ـ كما هو ظاهر عباراتهم ـ على الذين أجابوا النداء حين ارتفع الشعار، فهم جميعاً يتحدّثون عن وقت واحد لا عن أوقات مختلفة.

ثمانية عشر ألفاً

أمّا عدد الأربعون ألفاً عند ابن حجر، فهو خبر شاذ تفرّد به حسب فحصنا، وربما كان تصحيفاً كما يقوى في النظر.

فيبقى أكبر الأعداد «الثمانية عشر ألفاً»، وهذا العدد يمكن أن يلاحظ عليه الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: التخمين

لم تتوفّر لدينا إحصائيات دقيقة غير أنّ الواضح من عبارات الراوي والمؤرّخ أنّ العدد المذكور لم يكن سوى تخمين من خلال العدد المرصود في المبايعة، فهم يفترضون أنّ من بايع أجاب.

ومن ذا جلس على قارعة الطرق المؤدّية إلى المسجد والقصر وأسقط من سبحته خرزة لكلّ مقاتل مرّ عليه؟!

وكلّ ما ذكر من الأعداد قائم على

التخمين، إلّا ما ورد فيه نصّ صريح بالإحصاء، أو ورد عن معصوم.

الملاحظة الثانية: اجتماع العدد

لا يخفى أنّ النداء بالشعار كان مفاجئاً، وقد جرت أحداث القصر كلّها في أقلّ من نهار كامل، ومن هنا يتردّد الناظر في مجريات الأحداث في قبول إمكان اجتماع هذا العدد الهائل في غضون فترة قصيرة مهما كانت الكوفة صغيرة، بل مهما كانت الجموع مستعدّة وجاهزة للإجابة.

ومن البديهي أنّ هذه الجموع كانت منتشرة في الكوفة منصرفة إلى اهتماماتها اليومية، ومنهمكة في شؤون حياتها، ولم تكن متكردسة في قطعات، ولا محتشدة في ساحة قتال تحت الرايات، حتّى لو فرضناها أنّها كانت في حالة إنذار نتيجة الظروف، غير أنّها كانت في إنذار وهي في دورها

وضياعها ومناهجها وأسواقها وباقي مشاغلها الحياتية الأخرى.

الملاحظة الثالثة: انتشار جند ابن زياد

لم تكن الكوفة منفلتة من عسكر السقيفة وأتباع الجرو الأموي كما بيّنا ذلك أثناء الحديث عن عسكر ابن زياد، وكانت الشرطة والجند منتشرون في المناهج والسكك، يراقبون الخطط عن كثب، فقد روى الطبري قال:

إنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب

الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه[١].

وكان هؤلاء العفاريت يشكّلون عائقاً وسدّاً منيعاً أمام حركة القادمين جهة المولى مسلم بن عقيلعليه السلام.

الملاحظة الرابعة: تفرّقهم

إذا افترضنا أنّ هذا العدد اجتمع للمولى، وقد تفرّق قبل وصوله إلى القصر كما هو المتفق عليه ـ تقريباً ـ، أو أنّه تفرّق بعد وصوله لكن بعد اشتداد حملات التهديد والتخذيل، وعلى كلّ الاحتمالات فإنّ تفرّقهم حصل بين الفترة الواقعة بين قبيل المغرب والمغرب وفق ما ورد في المصادر من استمرار خطاب المخذّلين حتّى كادت الشمس أن تجبّ.

فكيف نتصوّر تفرّق هذا العدد الكبير في

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

غضون تلك الفترة القصيرة؟!

ولو فرضناهم قد تفرّقوا خلال المسيرة نحو القصر، كما أفادت بعض الأخبار، فكم هي المسافة من مراد إلى القصر حتّى يتسنّى لهذه الأعداد الغفيرة بالتسلّل والانصراف.

هذا! وقد أكّدت المصادر التاريخية أنّ مذحج بما فيها مراد كانت تسكن في جهة القبلة من المسجد.

وجهة القبلة تمتدّ إلى جهة النجف، والمسافة بين قبر أمير المؤمنينعليه السلام ومسجد الكوفة لا تبلغ عشرة كيلومترات، وكانت حدود الكوفة البلدية تنتهي عند الخندق المسمّى بخندق سابور أو كري سعد «سعدة»، والمسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة، حتّى قال أبو محمد موسى بن إسحاق بن طلحة:

كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنبات ولا مواخير،

فأرى منه دير هند وباب الجسر، ودير هند واقع بحضرة خندق الكوفة ممّا يلي الخندق[1]، وبالتقدير المعاصر تزيد المسافة بين المسجد الأعظم والكري عن الكيلومترين قليلاً..

فكيف نتصوّر تفرّق هذه الأعداد الغفيرة في مسافة أقلّ من ذلك بكثير، إلّا أن نقول أنّها كانت تدخل وتخرج في نفس الوقت، وهذا ما يمنعنا من تصويره كعسكر اجتمع لتلبية النداء.

الملاحظة الخامسة: عدم ثبات المبايعين

لا نشكّ أنّ جماعة ممّن بايع المولى لم يتثبت على بيعته وباع دينه بدنيا غيره، وكان لدخول ابن زياد الكوفة أثره البالغ في تغيير مواقف جملة من الضعفاء والانتهازيين

١. انظر الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ٧٠ـ ٦٠.

وأتباع السقيفة، وغيرهم من القطعان التي كانت في صفّ الحقّ لأيّ داعي من الدواعي، ثم مالوا إلى مواقعهم الحقيقية التي تكشف عن نيّاتهم ومعتقداتهم، أو أنّهم انحازوا إلى انتمائهم القبلي وغير ذلك.

ويؤكّد ذلك ما ورد في المصادر من التصريح بأنّ الذين أجابوا هم أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألفاً.

فلا يمكن والحال هذه أن نتصوّر أنّ عدد الثمانية عشر ألفاً بقي على حاله لم ينقص أبداً في خضم تلك الأحداث.

الملاحظة السادسة:

اشتهار غيره من الأعداد

بناءاً على ما مرّ ذكره في استعراض المصادر التي ذكرت الأعداد نرى أعداداً أخرى غير هذا العدد تتراوح بين الأربعمائة والأربعة آلاف، وقد اشتهر العدد الأخير في

المصادر، وورد في مصادر يعتدّ بها تـاريخياً ويهتمّ بها أهل الاختصاص والتحقيق.

فما هي الضرورة لقبول عدد الثمانية عشر ألفاً، مـــع مـــا يمكـــن أن يـرد عـليه مـن الملاحظات، وعدم التحقّق منه بالإحصاء.

الملاحظة السابعة:

المناقشة في ما يربو على هذا العدد

إنّ المـناقشة في هـذا العـدد هـي بـالتالي مناقشة للأعداد التي تربو عنه وتزيد، وهي مع كـونها نـادرة وشـاذة تـرد فـيها نـفس المناقشات.

الملاحظة الثامنة: يبقى العدد أقلّية

أشرنا أكثر من مرّة أنّـنا لو افـترضنا أنّ العدد الذي لبّى النداء كان ثمانية عـشر ألفاً، فإنّه يبقى أقلّية بالنسبة إلى الحشـود الهـائلة بـــالأعداد الكـــبيرة المـنضوية تحت رايـة الضلال وفي عسكر الجـرو الأمـوي، وقـد

فصّلنا ذلك أثناء الحديث عن عسكـر ابـن زياد.

النتيجة:

تبيّن من جميع ما ذكـرناه سـابقاً أنّ مـن استجاب لسيّد الشهداء وسفيره مسلم بـن عقيل عليهما السلام سواء بالبيعة أو بتلبية النداء عـند رفع الشعار هم الأقلّية، بل أقلّية قليلة مـن مجموع سكان الكوفة يومذاك، وذلك عـلى فرض اعتبار أعلى الأرقام المنصوص عليها في التاريخ من التابعين أو المبايعين.

المجاميع التي لبّت النداء

وكيف كان! يمكن تقسيم العسكر الذي أجاب النداء بحسب الثبات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: الذين لبّوا النداء ولم يثبتوا

كانت هذه المجموعة هي المجموعة الأكبر، والتي تشكّل الأكثرية الكاثرة في عسكر المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام، وقد تجمّع خليطهم المعقّد وتفرّق خلال ساعات من ذلك اليوم العصيب، فخذلوا الحقّ ونصروا الباطل، وكان من عوامل تخاذلهم وانجحارهم ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المجموعة الثانية: الذين لبّوا النداء وثبتوا

سنأتي على دراسة هذه المجموعة في

دراسة مستقلّة أثناء الحديث عن الليلة الأخيرة من وجود المولى الغريب في الكوفة إن شاء الله تعالى.

رايات المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام

يختلف التقسيم المدني الاجتماعي عن التقسيم العسكري للجيش الذي يريد أن يدخل القتال وساحة الوغى، وإن كان الأساس في التقسيم المدني يقصد به التنسيق المسبق والبقاء على حالة الجهوزية وتيسير تقسيم المؤن والرواتب والعطاء.

فنحن نعلم أنّ عسكر السقيفة الذي خرج لقتال سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام لم يقسم من الكوفة إلى ميمنة وميسرة وقلب إلّا صبيحة يوم العاشر حينما اصطف الجيشان للقتال، كما أنّ سيّد الشهداء عليه السلام أيضاً لم يقسم عسكر التوحيد إلّا صبيحة عاشوراء.

وقد اختلفت المصادر في بيان تقسيم أفراد المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المصادر التي لم تذكر التقسيم

نقلت جملة المصادر القديمة أحداث القصر دون الإشارة إلى أيّ تقسيم، قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:

وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة، فنهضوا معه يريدون عبيد الله بن زياد، فجعلوا كلّما أشرفوا على زقاق، انسلّ عنه منهم ناس[1]....

وقال البلاذري في أنساب الأشراف:

... فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أناس كثير.

قال حصين: فحدّثني هلال بن اساف قال:

ثم إنهم (لقد) تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأصوات فقيل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد، فأمر فرفعت جرادي فيها النار حتّى

١. الإمامة والسياسة: ٢/ ٨.

نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين[1]....

وقال ابن سعد في الطبقات:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة. فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً. فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة[2]....

وقال اليعقوبي: ٢٤٣/٢

... ووجه [أي ابن زياد] بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه[3]...

وقال ابن أعثم في الفتوح:

وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح[4]...

١. أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤.
٢. الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.
٣. تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.
٤. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

وقال المسعودي في مروج الذهب:

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار الى ابن زياد، فتحصن منه[1]...

وقال الطبري في أحدى رواياته:

ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق[2]...

وكذا لم يذكر التقسيم العسكري للجيش كلّ من:

ابن شهرآشوب في المناقب، والسيّد ابن طاووس في اللهوف[3]، وابن حجر في

١. مروج الذهب: ٣ / ٥٨.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.
٣. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٧، اللهوف: ٤٧، المنتظم: ٥ / ٣٢٦، إمتاع الأسماع: ٥ / ٣٦٣.

الإصـــابة، وابـــن الجـــوزي في المـــنتظم، والمقريزي في إمتاع الأسماع، وغيرهم.

القسم الثاني:

المــصادر الذي ذكــر التـقسيم وفــق التشكيلة الاجتماعية (التقسيم المدني)

ذكـــرت هـذه المـصادر التـقسيم المـدني المتعارف عليه يومذاك، وهو تقسيم معمول به دائماً سواء في حالة الحرب أو السلم، لأنّه أقرب إلى التقسيم الاجتماعي والإداري منه إلى التقسيم العسكري.

ولا تقارن مـصادر هـذا القـسم بمـصادر القسم الأوّل كمّاً ووزناً.

فقد روى الدينوري في الأخبار الطـوال، وابن الأثير في الكامل:

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروه نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا.

فعقد لعبد الرحمن بن كريز الكـندي عـلى

كندة وربيعة.

وعقد لمسلم بـن عـوسجة عـلى مـذحج وأسد.

وعـقد لأبي ثمـامة الصـيداوي عـلى تمـيم وهمدان.

وعقد للعباس بن جعدة بن هـبيرة عـلى قـريش والأنـصار. فـتقدّموا جمـيعاً حـتّى أحـــاطوا بـالقصر، واتـبعهم هـو في بـقية الناس[1]..

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال:

فعقد مسلم لرؤوس الأرباع على القـبائل كندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان..

القسم الثالث: ذكر التقسيم العسكري

ورد التقسيم العسكري في تاريخ الطبري، على شكلين:

---

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

الشكل الأوّل:

فيه تصريح بـالميمنة والمـيسرة والمـقدّمة والقلب، غير أنّه مقتضب لم يذكر الأسماء.

قال في رواية الدهني الطويلة:

فأتى مســلماً الخـبر، فـنادى بشـعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكـوفة، فقدّم مـقدّمته، وعـبّى مـيمنته ومـيسرته، وسار في القلب الى عبيد الله[1]..

الشكل الثاني:

مزج فيه بين التشكيلة المدنية والتشكيلة العسكـرية، حــيث قسّــمهم إلى خـيالة ورجالة، وأمّر عليهم حسب الأرباع.

روى الطبري في التـاريخ وأبـو الفـرج في المقاتل:

.. فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عـزيز الكـندي عـلى ربـع كـندة

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل.

ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي عـلى ربع مذحج وأسد، وقال: انـزل في الرجـال فأنت عليهم.

وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربـع تمـيم وهمدان.

وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربـع المدينة، ثم أقبل نحو القصر[1]..

تقسيم غريب:

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

وسمع مسـلم بـن عـقيل الخـبر، فـركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت»، فـاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومـعه رايـة خـضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمـراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هـو في القـلب

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

إلى عبيد الله . . .

يــلاحظ التــقسيم العسكـري بـالميمنة والميسرة والقـلب رغـم مـا في الخـبر مـن غرابة . .

النتيجة:

تبيّن ممّـا مـرّ أنّ المـصدر الأوّل ـ حسب فـحصنا ـ الذي ذكـر التـقسيم العسكـري لجـيش مواجـهة يـصطف للـقتال إنمـا هـو الطبري ، في أحـدى روايـتيه ، أمّـا روايـته الثانية فهي مزيج من التقسيمين .

أمّا المصادر التي سبقت الطبري وذكـرت التقسيم ، فهي إنمـا ذكـرته وفـق التشكـيلة المـدنية ، وقـد سـبق في ذلك الديـنوري في الأخبار الطوال .

أمّا باقي المصادر فهي لم تذكر تقسيماً .

فإذا افترضنا أنّ من جاء بعد الطبري إنمـا أخذ عنه روايته المجملة ،كما هو ظاهر الحال ،

يلزم أن يكون الطبري قد تفرّد بخبر التقسيم العسكري عند اصطفاف الجيوش ، بالميمنة والميسرة والقلب .

***

وإذا اعتمدنا غير الطبري ، نـرى أغـلب المــؤرّخين الذيـن ذكـرناهم لا يـصوّرون المـشهد ضـمن إطـار اصـطفاف الجـيوش وتقابل العساكر ، بل حتّى الدينوري والشيخ المفيد أيضاً لم يرسموا لنا صورة جيش نظامي ينضوي أفراده تحت قـطعات تمـثّل عسكـر المواجهة بالمعنى الكلاسيكي المتعارف عليه يومذاك ، كتقسيم القلب والجناحين . .

وحينئذٍ تتخرق الصـورة التي رسمـها لنـا الطبري ، ويتحوّل الجمع المـلبي للـنداء إلى مزيج متراكم ، وزبد متدافـع يـطفح بـعضه فوق بعض ، لا يميّز فيه المقاتل عن المتفرّج ، والمندفع للقتال عن المتدافع لركوب الموجة ،

والخارج ملبيّاً للنداء عن الخارج للالتحاق بعسكر الضلال، ولا الميمم وجهه للـمسجد لنصرة الحقّ عن اللاهث إلى قـصر الخـبال خوفاً من تهديد ابن الأمة الفاجرة... سيما أنّ النداء وتكدس الأفراد مؤمنهم ومنافقهم قد تمّ في أقلّ من يوم أو بعض يوم.

تعبئة العسكر

ورد نـــوعان مــن التـعبئة في مـصدرين سابقين:

النوع الأوّل: تعبئة الدينوري

كان المجتمع الكوفي يومذاك مقسماً وفـق التشكيلة العشائرية والقـبلية، وكـان هـذا التـــقسيم يـعتمده الوالي في تـوزيع العـطاء ومتابعة الأفراد وملاحقتهم.

ويعدّ هذا التقسيم أيـضاً الأسـاس الذي تقوم عليه التعبئة العسكـرية، فمـــن خـلال العرفاء والزعماء القبليين يدعو الوالي أفراده

للالتحاق بالثغر المقصود.

فلا يعدّ هذا التـقسيم تـقسيماً عسكـرياً بالمعنى الاصطلاحي المعهود تلك الأيام، فهم يخرجون من خـلال التـعبئة العشـائرية، ثم يقسّمون إلى ميمنة وميسرة وقلب قـبل أن تقوم الحرب على ساق.

وقد نصّ الدينوري عـلى هـذا نمـط مـن التقسيم، فجاءت التعئبة على الشكل التالي:

القــائد الأول: عـبد الرحمـن بـن كـريز الكندي على كندة، وربيعة.

القائد الثاني: مسلم بـن عـوسجة عـلى مذحج، وأسد.

القائد الثالث: أبو ثمامة الصـيداوي عـلى تميم، وهمدان.

القائد الرابع: عباس بن جعدة بن هـبيرة على قريش، والأنصار.

وأجمل الشيخ المفيد رحمه الله ذلك بقوله: «فعقد

مسلم لرؤوس الأرباع عـلى القـبائل كـندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان».

النوع الثاني: تعبئة الطبري

وهي التعبئة العسكرية المعروفة يومذاك، وقد جاءت مجملة في إحدى روايتيه إذ قال:

«فقدّم مقدّمته، وعبّى ميمنته ومـيسرته، وسار في القلب الى عبيد الله ..».

وفي روايـته الثـانية مـزج بـين التـعبئتين «الخيل والرجال والأرباع» بالصورة التالية:

القائد الأوّل: عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على كندة، وربيعة، في الخيل.

القائد الثاني: مسلم بن عوسجة الأسدي على مذحج، وأسد، في الرجال.

القائد الثالث: أبو ثمـامة الصـائدي عـلى تميم، همدان.

القائد الرابع: عباس بـن جـعدة الجـدلي على المدينة.

يلاحظ أنّ التقسيم هو نفس التقسيم الذي ذكره الدينوري غير ما فيه من اختلاف قد يكون تـصحيفاً في القـائد الأوّل فـهو عـند الدينوري:

«عبد الرحمن بن كريز الكـندي»، وعـند الطبري: «عـبيد الله بـن عـمرو بـن عـزيز الكندي».

أو اختلاف في التفصيل والإجمـال كـقول الديـنوري: «قـريش، والأنـصار» وقـول الطبري: «المدينة».

وفي الطبري إضافة قوله «في الخيل... في الرجال»، ولولا ذكر هاتين الكلمتين كانت هذه الرواية أيضاً تصنّف في النوع الأوّل من التعبئة.

فلا يبقى إلّا روايـة الطـبري المجـملة التي نصّت على التقسيم الاصـطلاحي: «مـيمنة وميسرة وقلب».

وبناءاً على التفصيل المـذكور يـصعب أن

نصوّر للمولى غريب الكوفة جيشاً مقاتلاً معبّئاً تعبئة عسكرية، وموزعاً ضمن رايات نظامية مميّزة.

والحال أنّ ابن الأمة الفاجرة كانت قطعاته جاهزة باعتباره جيشاً نظامياً رابضاً في حالة إنذار تام في معسكره، وهو رهن الإشارة.

أمّا الرعاع والزبد الطافح المتناثر في الكوفة، فقد حدّدت له زعامات أتينا على ذكرها عند الحديث عن قطعات عسكر ابن زياد.

ميدان القتال

تقسّم الأخبار التي روت لنا توجّه مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام بمن أجاب النداء نحو القصر إلى أقسام:

القسم الأوّل: خروج دون مواجهة

الأخبار التي لم ترو لنا وقوع معركة ومواجهات مسلحة[١]، فهي خارجة عن محلّ بحثنا في هذا الموضع، إذ لا معركة حتّى نحدد موقعها.

---

١. سيأتي الكلام في هذا الموضوع عند الحديث عن مشاهد المعركة.

القسم الثاني: تراشق واحتكاك

الأخبار التي روت حصول تراشق بالنشاب أو بالمدر، فإنّها لا تعدّ معركة وحرباً، وإنما هو نوع تخويف استعمله المشرفون من فوق أسوار القصر، لئلا يقترب أحد منهم، وقد ورد هذا التعليل صريحاً في نصّ الخبر «فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا».

القسم الثالث: وقوع القتال

أمّا الأخبار التي نصّت على وقوع قتال، فقد اختلفت في تحديد المكان بالضبط والدقّة، وإن كانت جميعها تنحصر في مساحة جغرافية محدودة لا تتباعد عن المسجد والقصر.

الرحبة

قال ابن سعد في الطبقات:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة ثم دخلوا المسجد[1]..

أطراف القصر

قال ابن أعثم في الفتوح:

وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس[2].

١. الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.
٢. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

وقال السيّد في اللهوف:

فتحصّن منه بـقصر دار الإمـارة واقـتتل أصحابه وأصحاب المسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه ويحـذرون أصـحاب مسـلم ويـتوعّدونهم بأجناد الشام.

ويبدو أنّ الرحبة وأطراف القصر تعبيران عـن مـوضع واحـد مـتقارب، لأنّ رحـبة المسجد تمتدّ إلى قصر الإمارة.

المسجد الأعظم

قال الطبري: فلمّا بلغ السوق، وهي ليـلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زيـاد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصـوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادى فيهـا النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المـنبر وقـال للـناس:

تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كـلّ قـوم الى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يـقاتلونهم، فجرح مسلم جراحه ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم[١]...

وفي هذه الرواية مناقشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الموضـع الذي كان فيه مسلم عليه السلام

يفيد نصّ ابن قتيبة في الإمامة والسـياسة أنّ المعركة دارت بين المولى وبين المردة قرب مقرّ إقامته، وفي الموضع الذي كـان يسكـن فـيه، وكـذا هـو مـفاد عـبارة اليـعقوبي في التاريخ، قال ابن قتيبة:

وأرسـل جمـاعة إلى مسـلم بـن عـقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يـقاتلهم حـتّى أخرج وأسر[٢].

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.
٢. الإمامة والسياسة ابن قتيبة (ت ٢٧٦) ٢ / ٩.

جغرافية الأحداث

روى لنا الطبري في أثناء حديثه عن أحداث سنة (١٧) للهجرة، وتفاصيل بناء الكوفة في عهد الملك الثاني صورة لبناء المسجد وقصر سعد الذي بني قصر الإمارة إلى جانبه ومعه، وربما كانت هذه الصورة نافعة في تصوّر المنطقة التي دارت فيها أحداث يوم الشهيد المظلوم مسلم بن عقيل عليه السلام، لأنّ أحداثها وقعت في منطقة المسجد والقصر والرحبة.

روى الطبري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا:

لمّا أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد الى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنّه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين

ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستّين ذراعاً إلّا الذي لبني ضبة.

فاجتمع أهل الرأي للتقدير، حتّى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج عليه، فأوّل شيء خطّ الكوفة وبنى حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبنى وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين.

فترك المسجد في مربعة غلوة من كلّ جوانبه، وبنى ظلّة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا[١]...

١. تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

معنى الغلوة ورمية السهم:

قال الفراهيدي في العين :

المغالي بالسهـم : الرافع يده يريد به أقصى الغاية ، وكلّ مرماة منه غلوة .

والمـغلاة : سهـم يـتّخذ لمـغالاة الغـلوة ، ويقال : المغلى بلا هـاء في لغـة ... والفـرسخ التام : خمس وعشرون غلوة .

وقال الطريحي في مجمع البحرين :

الغلوة ـ وهي بالفتح ـ مقدار رمية سهم .

وعـن اللـيث : الفـرسخ التـام خمس وعشرون غلوة .

وعن أبي شجاع في خراجه : الغلوة قـدر ثلاث مائة ذراع إلى أربعمائة ..

فإذا كان الفرسخ خمسة آلاف متر (٥ كم) والذراع نصف متر يكون التقديران مـتفقان على أنّ الغـلوة تكـون مـائتي مـتر تـقريباً بحسابنا اليوم «٥٠٠٠ م ❊ ٢٠٠ م = ٢٥» ،

وكذلك «٤٠٠ ذراع ❊ ٢٠٠ = ٢» .

عودة إلى رواية الطبري:

قال الطبري : وكذلك كانت المسـاجد مـا خلا المسجد الحرام ، فكانوا لا يشـبهون بـه المساجد تعظيماً لحرمته .

وكانت ظلّته مـائتي ذراع عـلى أسـاطين رخـام كـانت للأكـاسره ، سماؤهـا كأسمـية الكنائس الرومية ، وأعلموا عـلى الصـحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان .

وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتي ذراع ، وجعل فـيها بـيوت الأمـوال ، وهي قصر الكوفة اليوم ، بنى ذلك له روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة ، ونهـج في الودعة من الصحن خمسة مناهج ، وفي قبلته أربعة مناهج ، وفي شرقيّه ثلاثة مناهج ، وفي غربيه ثلاثة مناهج ، وعلّمها .

فأنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً ممّا يلي الصحن عـلى طـريقين ، وهمـدان عـلى طريق ، وبجيلة على طريق آخر ، وتيم اللات

على آخرهم وتغلب، وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكنده طريق، وبين كندة والأزد طريق، وأنزل في شرقي الصحن الأنصار، ومزينة على طريق، وتميماً ومحارباً على طريق، وأسداً وعامراً على طريق، وأنزل في غربي الصحن بجالة وبجلة على طريق، وجديلة وأخلاطاً على طريق، وجهينة وأخلاطاً على طريق، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك، ومن وراء ذلك، واقتسمت على السهمان.

فهذه مناهجها العظمى، وبنوا مناهج دونها تحاذى هذه ثم تلاقيها، وأخر تتبعها، وهي دونها في الذرع، والمحال من ورائها، وفيما بينها، جعل هذه الطرقات من وراء الصحن، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس، وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتّى يوافوا إليها.

فلمّا ردفتهم الروادف، البدء والثناء، وكثروا عليهم، ضيّق الناس المحال، فمن كانت رادفته كثيره شخص إليهم وترك محلّته، ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلّته إذا كانوا جيرانهم، وإلا وسّعوا على روادفهم وضيّقوا على أنفسهم.

فكان الصحن على حاله زمان عمر كلّه، لا تطمع فيه القبائل، ليس فيه إلّا المسجد والقصر، والأسواق في غير بنيان ولا أعلام...

وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، فشيّده، وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته ثم إنّ بيت المال نقب عليه نقباً، وأخذ من المال...

فقال له دهقان من أهل همذان، يقال له روزبه بن بزرجمهر: أنا أبنيه لك، وأبني لك

قصراً فأصلهما، ويكون بنياناً واحداً، فخطّ قصر الكوفة على ما خطّ عليه، ثم أنشاه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم، ولم يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر، يمنة على القبلة، ثم مدّ به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام، والرحبة قبلته، ثم مدّ به، فكانت قبلة المسجد الى الرحبة وميمنة القصر، وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات، فلم يزل على ذلك حتّى بني زمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم، على يدي زياد.

ولمّا أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بنائي الجاهلية، فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهى من طوله في السماء، وقال: اشتهى من ذلك شيئاً لا أقع على صفته!

فقال له بنّاء قد كان بنى لكسرى: لا يجيء

هذا إلّا بأساطين من جبال أهواز، تنقر ثم تثقب، ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء، ثم تسقفه، وتجعل له مجنبات ومواخير، فيكون أثبت له.

فقال: هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبّرها، وغلق باب القصر[1]..

١. تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

وقت التجمّع والقتال

يبدو من خلال التأمّل في النصوص الواردة أنّ التجمع عند المسجد بلغ الذروة بعد العصر، أمّا وقت القتال، فهو عند المغرب أو بعده، ولا حاجة لتكرار النصوص هنا، ونكتفي بذكر ما قاله ابن سعد في الطبقات:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة[1]..

---

١. الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

تخذيل الناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام

التخذيل هو ترك النصرة والإعانة والتجبين عن القتال، وتخويف ملاقاة الأبطال[1].

وهو ركن مهمّ من أركان الحرب، بل ربما أثّر في الحرب أثراً يؤدّي إلى وقوع الهزيمة قبل قيام الحرب أو اصفاف العساكر.

وللتخذيل وسائل وأدوات وأساليب كثيرة قد تدخل تحت عناوين كبيرة من قبيل الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والتطميع والتخويف وما شاكل، سنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى.

---

١. انظر: لسان العرب ومجمع البحرين مادّة «خذل».

لفتة مهمّة

لقد عهدنا في الحروب والتجمعات المتعارضة والتيارات المتصادمة، حملات من الحضّ والتخذيل، خطب حماسية تلقى من هذا الطرف ومن ذاك، وخطباء مصقعين وشعراء مبدعين يهزون المشاعر ويستجيشون الأحاسيس ويثورون العواطف ويذكرون الجموع في كلا الجبهتين بالمفاخر والأمجاد، ويرغبونهم بالنتائج والعواقب الوخيمة للهزيمة والمغانم الجزيلة في الظفر والغلبة... وهذه الظاهرة مشهورة معروفة وكانت منتشرة في تلك الأعصار، ولولا بناؤنا هنا على الاختصار لأطلنا الكلام في ذكر الشواهد الكثيرة من وقائع النبي (صلى الله عليه وآله) وحروب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويوم سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) في الطف.

غير أنّ من يقرأ التاريخ في هذه الفترة من

الزمن يجد الخطباء والمخذّلين في جبهة ابن الأمة الفاجرة كثيرين، وليس مع المولى الغريب أسد يزأر، ولا حتّى غراب ينعب، لا صاحب راية يحرّض على القتال، ولا مؤمن صالح يحذّر عن مغبة الغدر والانتكاس والارتكاس، أبداً، لا يسمع لهم حسيساً ولا نجوى؟! ولا صريخاً ولا شكوى؟!

لا تحريض ولا تأييد ولا شدّ للعزائم ولو بين أربعة رجال كانوا في صفّ الحقّ يومئذٍ، لم ينقل لنا التاريخ شئياً يذكر.

بل لم يتحدّث لنا التاريخ ـ حسب فحصنا ـ عن أيّ كلام أو أيّ خطاب، أو أيّ مقال ينسب للمولى الغريب مخاطباً الثابتين معه أو المهزمين عنه؟!

متى بدأ التخذيل؟

يمكن تقسيم فترات التخذيل إلى فترتين :

الفترة الأولى: طويلة الأمد

قد لا يكون التهديد والوعد والوعيد مؤثراً أثراً بليغاً سريعاً إذا كان وليد الساعة ، ولم يكن مسبوقاً بتأكيدات قد جرّبها المهدَّدون من قبل .

إمّا إذا كان التهديد والوعد والوعيد قد جرّبه الناس وذاقوا مرارته واكتووا بناره ، فإنّه قد يؤثّر في النفوس الضعيفة من ذوي الطباع الجبانة الذين أخلدوا إلى ثقل الطين واستحوذ عليهم حبّ الدنيا ، وباعوا

آخرتهم بالحظّ الأحقر والنصيب الأدنى..

ومن البديهي للناظر في مجريات الأحداث التاريخية أنّ يتعرّف بسهولة إلى الأجواء التي كانت تخيّم على المجتمع الكوفي يومذاك، وأن ينظر بوضوح إلى دخائل الصدور الوغرة التي ربّتها السقيفة على نمط خاص من الاستجابة للتهديد والوعد والوعيد.

وقد تأثرت تلك النفوس منذ العصر الأوّل على الاستسلام لحكم الطاغوت بكلّ تبعاته، والخلود إلى الدنيا تحت ضغوط من لبسوا الدين لبس الفرو مقلوباً..

والجيل المتقلّب بين ضفاف الفرات والمسجد الأعظم لم يكن متباعداً عن السقيفة وآثارها وطريقة عملها، وأساليب التخذيل التي اتخذتها لتخذيل الناس عن أهل بيت النبوة، والوسائل القذرة التي وظّفتها لإبعاد الإنسان ـ المنكوس ـ عن الصراط المستقيم والدين القويم

وأمير المؤمنين وذرّيّته المعصومين عليهم السلام.

ونحن لا نريد ذكر النصوص والدخول في تفاصيل هذا البحث، لأنّ التفصيل خارج عن موضوع الكتاب، وقد ألّف العلماء جزاهم الله خيراً أسفاراً وموسوعات استوعبت الحدث بكلّ جزئياته، ويحسن لمن أحبّ الزيادة مراجعتها[1]...

فمنذ اللحظة الأولى لإعلان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بدأ التخذيل عن آل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم اشتدّ جهاراً نهاراً، وصار عملاً يمارس وفق الضوابط والأهداف المرسومة له منذ الساعات الرهيبة التي أعقبت شهادة النبي صلى الله عليه وآله.

واتخذ طابع القسوة والوحشية يوم جمعوا

---

١. انظر: كتاب سليم، والغدير للعلّامة الأميني وغيرها..

الناس على باب بيت الوحي، وانتهكوا حرم الله وحرم رسوله على مرآى ومسمع من الناس لئلا يحدّث أحد أنّ له حرمة بعد حرمة الله ورسوله وآل بيت رسوله صلى الله عليه وآله.

وهكذا تمادى القوم في التخذيل حتّى بلغ الذروة في ملك معاوية الذي قتل أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم وشيعتهم على الظنّة والتهمة وهدم دورهم وتعقّبهم تحت كلّ حجر ومدر في الكوفة نفسها، واستعر السلطان وكلاب السلطان في الأيام التي نسج فيها البيعة لنغله يزيد...

وكانت جرعات التهديد والوعد والوعيد مستمرة منذ أمد بعيد يذيقونها الناس والغوغاء وأتباع الظلمة والعوام، وقد تجذّرت في وجوداتهم الخاوية، ممّا سهّل على الجرو الأموي ابن زياد مهمّة إقناع الناس بتهديداته وبثّ الرعب والخوف في قلوبهم المنخورة تأثرّاً بكلماته.

بهذا نعرف أنّ التخذيل عن سيّد الشهداء وسفيره عليهما السلام بدأ أساساً منذ العصر الأوّل، وكان تخذيل يزيد وأذنابه من أمثال ابن الأمة الفاجرة ابن زياد امتداداً لتخذيل المؤسّسين والحاملين لهم على أكتاف آل محمد صلى الله عليه وآله.

الفترة الثانية: الآنية

إنّ هذه الأمّة المنكوسة قد أعرضت عن آخرتها، وأدبرت عن جدّها، وانقلبت على نفسها وتقهرقرت عن دينها منذ الساعة الأولى لقيام سيّد الشهداء عليه السلام فخذلته وضيّعته.

قال ابن الأعثم في الفتوح:

وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك في

الخلف[١] الذي خلفت على أمّتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني، وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتّى ألقاك، صلّى الله عليك وسلّم.

ثم وثب قائماً وصفّ قدميه ولم يزل راكعاً وساجداً.[٢].

وفي كلام سيّد الشهداء عليه السلام هذا إشارة واضحة أنّ الناس قد خذلوه وهو في المدينة قبل خروجه إلى مكّة.

تخذيل يزيد ـ لعنه الله ـ :

إنّ معاوية بن هند قد بدأ حملات التخذيل عن سيّد الشهداء عليه السلام قبل أن يأخذ الناس بالبيعة لنغله يزيد، كما لا يخفى على المتصفّح لأوراق التاريخ.

كما بدأ يزيد مذ تسلّق أغصان الشجرة

١. وفي نسخة: «الخلق».
٢. الفتوح: ٥ / ١٨.

الشجرة الملعونة ونزى على المنبر بالتهديد والوعيد وتخويف الناس، إذ أمر بقتل أعظم الخلق وأعزّهم وأكبرهم وصاحب القدس النبوي والخلافة الحقّة، فهل تبقى لمن دونه ـ وكلّ الخلق دونه لا شكّ ـ قداسة أو حرمة؟!

وهذا ما يدركه الناس يومئذٍ، وقد فعله من قبله أسلافه الذي مكّنوه من رقاب الناس يوم هتكوا حرمة النبي صلى الله عليه وآله وهجموا على آله في دارهم وأحرقوه عليهم.

روى ابن الأعثم في الفتوح كتاب يزيد إلى الوليد قال فيه:

من عبد الله! يزيد أمير المؤمنين! إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد:

فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير، فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً ما دام حيّاً، وليكن مع جوابك إليّ

رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فـقد جعلت لك أعنّة الخيل ولك عندي الجـائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة والسلام[١]...

وقال في موضع آخر:

ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنهـا أذن فأرة:

أمّا بعد، فخذ الحسين بن علي و.. أخـذاً عنيفاً ليست فـيه رخـصة، فمـن أبى عـليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه[٢]...

هذا من جانب سيّد الشهداء عليه السلام..

أمّا من جانب الطاغية والأقـذار المـتدليّة من ذنبه، فقد كتب إلى ابن زياد:

إنّـه قـد بـلغني أنّ حسـيناً قـد سـار إلى الكوفة، وقـد ابـتلى بـه زمـانك مـن بـين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابـتليت

١. الفتوح: ٥/ ١٨.

٢. الفتوح لابن أعثم: ٥/ ١٠.

أنت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترقّ العبيد وتعبّد، فقتله ابن زيـاد وبعث برأسه إليه[١]....

هذا هـو مـنطق التـخويف والوعـيد مـع ولاتهم والمـقرّبين مـنهم، فما حـال النـاس عندهم، فعندئذٍ سـيدرك النـاس تمـاماً مـا يقوله يزيد البطاش الأرعن في كتابه إلى ابن زياد إذ كتب إليه:

.. قد بلغني أنّ الحسين قد توجّه إلى نحـو العراق، فضع المناظر والمسـالح، واحـترس واحبس على الظنّة وخذ على التهمة...

تخذيل ابن زياد ـ لعنه الله ـ:

مارس ابن زياد عمليات التخذيل ميدانياً على مستويين:

١. البداية والنهاية: ٨/ ١٩٥، تاريخ الإسلام للذهبي: ٥/ ١٠.

المستوى الأوّل: ممارساته الشخصية

قام ابن زياد بمحاصرة الكوفة ونظم الصحراء بالخيل، ونشر العسكر والشرطة في أرجاء الكوفة، وباشر عمليات اعتقال الشيعة.

وأمر شياطينه أن يأخذوا الناس بالظنّة التهمة، والفرق بين هذا العنوان وعنوان اعتقال الشيعة أنّ الأخذ هنا يشمل أي من يتعاطف مع سيّد الشهداء وسفيره عليهما السلام، وإن لم يكن شيعياً، بل قد لا يعرف بالتعاطف أيضاً غير أنّه يتصرّف تصرفاً يتهم من خلاله فيؤخذ..

ومارس التخذيل مباشرة من خلال خطاباته وتهديداته، والمجتمع الكوفي يعرف ابن زياد ويعرف أباه زياد ابن أبيه الذي سمّل عيونهم وسفّرهم وأخرجهم من ديارهم، وغير ذلك ممّا سيأتي في وسائل التخذيل.

ويمكن تقسيم مباشرته التخذيل إلى موقعين من حيث الفترات الزمنية:

الموقع الأول: أوّل ما دخل الكوفة:

يلاحظ أنّ ابن الأمة الفاجرة باشر التخذيل منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها الكوفة، غير أنّه كان محاطاً بحرسه وعسكره قبل أن يختلط الوضع.

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

فنظر ابن زياد من تباشيرهم بالحسين إلى ما ساءه، وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم، ونودي في الناس، فاجتمعوا، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل الكوفة، إنّ أمير المؤمنين! قد ولّاني مصركم، وقسم فيئكم فيكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدّة على عاصيكم ومريبكم،

وأنا منته في ذلك الى أمره، وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق، ولمخالفكم كالسمّ النقيع، فلا يبقين أحد منكم إلّا على نفسه.

ثم نزل، وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام.

وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه[1]....

وقد تضمّن هذا النصّ وعداً ووعيداً وترغيباً وتخويفاً بأمر القرد الأموي يزيد ويكفيهم قوله: «ولمخالفكم كالسمّ النقيع، فلا يبقين أحد منكم إلّا على نفسه»..

وأمّا قوله «وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه» فإنّا نأبى ذلك لمولانا البطل الهاشمي

١. الأخبار الطوال: ٢٣٣ـ٢٣٢.

وسليل أبي طالب عليه‌السلام أن يخاف من خطبة لابن الأمة الفاجرة، ويأتي مناقشة ذلك في محلّه إن شاء الله، غير أنّنا ذكرناه هنا لإفادته أنّ خطبة ابن زياد كان فيها وعيداً وتهديداً، ليس إلّا.. أمّا أن يخاف من وعيده المولى مسلم بن عقيل عليه‌السلام فهذا ما لا يرضاه عاقل.

أجل، قد يكون تغيّر الحاكم وتجدّد الأوضاع جعل المولى يغيّر مكانه لمصلحة يعرفها، كما تفيد عبارة مسكويه في تجارب الأمم: «وانتقل مسلم، حين وافى عبيد الله، إلى منزل هانئ بن عروة المراديّ...»[1].

***

وأصبح ـ ابن زياد ـ فجلس على المنبر فقال:

أيّها الناس، إني لأعلم أنّه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدوّ للحسين

١. تجارب الأمم: ٢ / ٤٣.

ـ حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد وغلب عليه ـ، والله ما عرفت منكم أحداً.

ثم نزل وأخبر أنّ مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة، وأنّه بناحية الكوفة[1]..

وفي تجارب الأمم لمسكويه:

وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة:

«إنّي أعلم أنّه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هـو عـدوّ للـحسين، حـين ظـنّ أنّ الحسين قد دخل البلد، وغلب عليه، ووالله، ما عرفت منكم أحداً» [2].

سواء كان المخاطب هم «الناس» في عبارة الطبري، أو «وجوه أهل الكـوفة!!» كـما في عبارة مسكـويه، فـإنّ في النـصّ غـموض وشيء من الارتباك على مـا يـبدو للـوهلة الأولى، ويحـتمل أن يكـون المـراد أحـدى المعاني التالية:

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٠.
٢. تجارب الأمم: ٢ / ٤٣.

المعنى الأوّل:

يقول لهم: إني لا أعلم في الناس إلّا أحـد فــردين، أمّـا أن يكـون مـعي فـهو عـدوّ للحسين عليه السلام، وإمّا أن لا يكون مـعي، فأنـا أنكره ولا أعرفه، فهو عدوّي، ومـن كـان عدوّاً لابن زياد فالقتل والتنكيل مآله.

المعنى الثاني:

يقول: إني أعلم أنّ من يكون مـعي فـهو عدوّ للحسين عليه السلام، وأنا لا أعرف أحداً منكم يظهر العداوة للحسين عليه السلام.

فمن سار معي وأظهر الطاعة، فإني أعلمه عدوّاً للحسين عليه السلام أمّا أنتم «فوالله ما عرفت منكم أحداً»، أي أنّكم لا تسيرون معي ولا تـظهرون الطـاعة لي، فأنـتم لسـتم أعـداء للحسين عليه السلام، وفي هذا من التهديد والوعـيد ما يكفي لإرعاب تـلك القـلوب الخـاوية، والطباع الخسيسة.

المعنى الثالث :

إذا قـــرأنـا «مـا عـرفت مـنكم أحـداً» بالتشديد، والبناء للمجهول «عُرّفت» أي لم يذكر لي أحد أنّكم على الصفة التي أريد من عداوتكـم للـحسين عليه السلام، ويـرجـع المـعنى للمعنى الثاني حينئذٍ.

المعنى الرابع :

أن نقرأها بالتشديد وفتح الراء «عرَّفت»، أي لم أجعل أحداً منكم عريفاً، سيما إذا كان الخطاب مع من يسمّونهم بالوجهاء.

فهو يقول لهم: إنّكم ما دمـتم لسـتم عـلى الصفة التي أريد من عداوة الحسين عليه السلام فإني لا أعرف فيكم عريفاً، بعبارة تشمل الماضي والمستقبل، فمن كان منكم عريفاً عزلته عن العرافة، ومن كـان يـطمع فـيها للـمستقبل فسوف لن يكون.

وعلى كلّ تقدير فإن كلماته خرجت مخرج

التهديد الشديد.

الموقع الثاني: أثناء الحصار:

مارس الخبيث التخذيل أثناء الحصار غير أنّ جبنه المتأصّل فيه ظهر هنا كما يظهر في كلّ موقف يحتاج فيه الحاكم إلى شيء يسير من الشجاعة، فاستخدم فيه أذنابه وأفراده، كما سيأتي إن شاء الله، ولم يباشر هو بنفسه أيّ مستوى من مستويات التخذيل، إلّا إذا كان يبقي عليه داخل أسوار القصر وبين حمـايته وحرسه.

المستوى الثاني: ممارساته من خلال الآخرين

استخدم ابن زياد أذنـابه السـفلة الذيـن يسمّيهم التاريخ «الأشراف» و«الوجهاء» في تنفيذ عمليات التخذيل والحرب النفسية مع الجـموع المـتكدّسة في الكـوفة، فـباشروا مخاطبة الناس، ورفعوا لهم رايات الأمـان، وغير ذلك ممّا يأتي في وسائل التخذيل.

المخذّلون

وفق ما تقدّم من تقسيم لفترات التخذيل، فإنّ المخذّلين كثر يطول بنا المقام إذا أردنا إحصاءهم فرداً فرداً منذ يوم الغدير وما قبله، والسقيفة وما بعدها، لذا سنقتصر في تعداد أسماء من ساهم مباشرة في الكوفة أيام المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام، وهم:

يزيد بن معاوية لعنهما الله

عبيد الله بن زياد لعنهما الله

محمد بن الأشعث لعنهما الله

شبث بن ربعي لعنه الله

القعقاع بن شور لعنه الله

محمد بن شهاب لعنه الله

شمر بن ذي الجوشن لعنه الله

حجار بن أبجر لعنه الله

العوائل والأسر

وسائل التخذيل وموادّه

نستعرض هنا وسائل التـخذيل ومـوادّه استعراضاً سريـعاً، ونشـير إليهـا مـفهرسة باقتضاب يناسب الكتاب، وهـي نمـاذج لا نـقصد بهـا الحـصر والشـمول، ولا نـريد استقصاء المصادر التي توفّرت لدينا، وكلّ ما تضمّنته، وللقارئ أن يـتأمّل النـصوص إذا أحبّ الاستقراء.

اتّحاد خطاب التخذيل

يلاحظ أنّ الذين باشروا التخذيل لم يكن عملهم ارتجالياً يتصرّف كلّ منهم حسب ما يراه من خطاب، وإنما كـان هـناك خـطاب مركزي يستعمله الجميع:

ففي الأخبار الطوال: وقال عـبيد الله بـن زيـاد لمـن كـان عـنده مـن أشراف! أهـل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في نـاحية من السور، فخوفوا القوم.

فأشرف كثير بـن شهـاب، ومحـمد بـن الأشعث، والقعقاع بن شـور، وشـبث بـن ربعي، وحـجار بـن أبجـر، وشمـر بـن ذي الجوشن، فتنادوا:

يا أهل الكوفة، اتـقوا الله ولا تسـتعجلوا الفتنة، ولا تشـقّوا عـصا هـذه الأمّـة، ولا توردوا على أنـفسكم خـيول الشـام، فـقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم.

قلب المفاهيم وتبديل القيم

روى البلاذري في أنساب الأشراف: قول المخذّلين: «اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقّوا عصا هذه الأمّة».

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس! الحقوا بأهاليكم ولا تـعجلوا الشرّ..

وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

إنّ تقوى الله في نصرة الحقّ والدفاع عـن ريحـانة النـبي صلى الله عليه وآله وسـيّد شـباب أهـل الجـنّة عليه السلام، ورعـاية الحـقوق، والوفـاء بـالعهود، ومحـاربة الظـلم، وردّ المـبطلين والمنتحلين.

والفتنة في مجانبة الحقّ والركون إلى الذين ظلموا.

وشقّ عصا المسلمين في ترك التمسّك بعدل القرآن، وعدم الاعتصام بحبل الله الممدود بين السماء والأرض.

غير أنّ الطغاة أثبتوا الألفاظ وقرّروا المصطلحات، وقلبوا معناها حتّى «لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً».

فصوّروا نصرة سفير الحسين عليه السلام ومبعوث المفترض الطاعة من السماء «شرّاً» و«حرباً» ببعدها السلبي الذي يجرّ الويلات ويدع الديار بلاقع «غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ انصرف فيذهب به فيصرفه»..

نصرة سيّد شباب أهل الجنّة والوفاء بالوعد والميثاق والعهد حرب وشرّ؟! الله أكبر!

وروى الطبري في تاريخه:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا...

وفي الفتوح لابن أعثم في خطبة الدعي بعد اعتقال هاني:

يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرّقوا...

أرأيت كيف تحوّلت طاعة أبناء البغايا الرخيصات وذوات الأعلام ودباغات الأدم النتنات إلى اعتصام بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وتحوّل العهر الأموي إلى عاصم يعتصم به الناس!!

وتحوّل أبناء آكلة الأكباد وأبناء مرجانة وسمّية إلى أئمة!!

صار شارب الخمر الفاسق واللاعب بالقرود ومسابق الحمام وتارك الصلاة والزاني بالعمات والمحارم والساقط الدني السافل وما تعلّق من أقذار في ذيله، صاروا أئمة !!

وصاروا يكذبون على الطهر الطاهر الذي

لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها، ابن الزهراء البتول سيّدة النساء عليها السلام، وريحانة النبي صلى الله عليه وآله أشرف الخلق وسيّد المرسلين والأنبياء، وقرّة عين أمير المؤمنين وسيّد الأوصياء عليه السلام، وخامس أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وافترض طاعتهم على الخلق أجمعين وجعلهم أئمة هادين مهديين..

قلبوا الحقيقة رأساً على عقب، فخاطبوا الناس وجعلوا طاعة الله في طاعة أعدائه، وتمسّك الناس بشراذم الخلق وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار توحيداً للصفّ وابتعاداً عن الفرقة!!!

وقد قالت الزهراء فاطمة عليها السلام: «وطاعتنا نظاماً وإمامتنا أمناً من الفرقة..»[1].

١. بلاغات النساء لابن طيفور: ٢٨.

وقس على هذا ما ورد في كلماتهم ـ لعنهم الله ـ.

التنصّل عن المسؤولية

من العجيب أنهم استعملوا هذا اللون الجبان من الاتكالية والتنصل عن المسؤولية عندما دعاهم المولى مسلم بن عقيل، فكان أحدهم يكتفي أن يأتيه أحد ذويه فيقول له: «انصرف الناس يكفونك»، ليلقي حبله على غارب الآخرين وينصرف مطمئن البال لوجود غيره.

وتوازروا حينما دعاهم ابن الأمة الفاجرة لقتال ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وابن أمة الله البتول الطاهرة عليها السلام...

استعراض القوّة العسكرية

قام ابن الأمة الفاجرة باستعراض عسكري ضخم في الكوفة سيّر فيه القطعان في كلّ اتجاه.

ويبدو ذلك واضحاً من خلال زجّ القطعان التي ذكرناها سابقاً لتدوس جميع الأحياء والأزقة، ونشر قواته في الصحراء، فكانت تملأ الكوفة ضجيجاً، وترتفع زعاقاتهم وتصكّ أسماع الناس أصوات الخيل الصاهلة الضابحة رائحة جائية، كما سلّط كلابه الذين يسمّونهم الشرطة على دور الكوفة، وصعد بعض جلاوزته إلى سطح قصر الخبال، وصاروا يرمون الناس بالنشاب والمدر، كما في الأخبار الطوال:

«وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا».

فخلق بذلك جوّاً من الرعب سيطر على أرجاء الكوفة.

الضبط الاجتماعي عن طريق العرفاء

كان المجتمع الكوفي يومها مضبوطاً بحدود وضوابط تحصي أهل البلد وتحصر من خلال التقسيم الجغرافي والدموغرافي، حيث قسّمت الكوفة إلى مناهج وسكك وانتشرت القبائل والعشائر على رقعة جغرافية محدّدة لكلّ قبيلة لا تتعدّى المنهج المرسوم لها إلّا بإذن من الحاكم أو من يمثّله كالعريف.

فهي مضبوطة باعتبار التقسيم الجغرافي للسكان، كما أنّها مضبوطة من خلال التقسيم القبلي والتركيب الاجتماعي، إضافة إلى ضبطها من خلال الاندرجاج تحت عرافة معلومة تمثّل الواسطة بين الناس والحكومة.

فلا يولد مولود إلّا ويبلّغ عنه العريف وغيره من ذوي المناصب القبلية

والاجتماعية، ولا يموت ميّت إلّا ويبلّغ عـنه ليمـحى من ديـوان العـطاء ويكـون الجـهاز الحاكم والجهاز القبلي على علم به.

والداخل إلى البلد إمّا أن يكون منتمياً إلى قبيلة أو أهل بيت معروفين، أو لا، فإن كان غريباً لابد أن ينزل على عـرافـة بـعينها أو قبيلة أو أهل بيت معروفين في البلد، فيكون في ضيافتهم وجوارهم حتّى يرحل.

أو ينزل في الموضع المخـصّص للـغرباء في رحبة الكوفة[1]..

وبهذا كان من السهل على الحاكم أن يصل إلى طلبته من خلال رؤساء القبائل والعرفاء ومن دونهم في السلّم الإداري والقبلي.

وقـد سـخّر ابـن الأمـة الفـاجرة هـذه التشكيلة الإجتماعية لأغراضه الأمنية فهدد العرفاء والرؤساء وطالبهم أن يكتبوا له كلّ

١. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

غريب وقريب إذا كان على خلاف مـا يحبّ ويهوى، أو كان خارجاً عن طاعته أيّاً كان:

روى الطـبري بـالإسناد عـن أبي وداك، قال:

لمّا نزل القصر نودي: الصلاة جامعة.

قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فـحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ أمـير المـؤمنين!! أصـلحه الله ولّاني مـصركم وثـغركم، وأمـرني بـإنصاف مـظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومـطيعكم، وبـالشدّة عـلى مـريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فـيكم أمـره، ومـنفّذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمـري، وخالف عهدي، فليبق امـرؤ عـلى نـفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد.

ثم نـزل فأخـذ العـرفاء والنـاس أخـذاً شديداً، فقال:

اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم مـن طـلبة أمير المؤمنين، ومـن فـيكم مـن الحـرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافـته ألا يخـالفنا مـنهم مخالف، ولا يبغي علينا مـنهم بـاغ، فمـن لم يفعل برئت منه الذمّـة، وحـلال لنـا مـاله وسفك دمه.

وأيما عريف وجد في عرافته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على بـاب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة[1].

وبهذا جعل العريف ومن تحت عرافـته في دائرة التهديد، إذ لم يقف عند صلب العريف على باب داره وهدر دمه وإباحة ماله، وإنما هدد بإسقاط العرافة كلّها من العطاء...

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

توظيف ما يسمّون بالأشراف!

جمـع ابن زياد الرؤوس العفنة التي كـانت تسمّى «الأشراف» وسخّرهم في التـخذيل، وكان لهؤلاء الأقزام تبع وذيـول ومسـاحة واسعة مـن التأثـير بـدوافـع تـتباين عـند الأتباع، فربما أطاعهم البعض بدافع التعصّب القبلي، أو الخوف من الأتـباع الآخـرين أو الخوف من السلطان باعتبار أنّ الشـخصية التي يعدّها حصناً له فـيلجأ إليهـا إذا دهمـه خطر أو يستجير بـه قـد خـضع للسـلطان وأطاع، فكيف يتمرّد الفرد العادي المـتقلّب في قبضة زعيمه؟!

وربما كان لهـم نـفوذ اجـتماعي ووجـاهة مــزيّفة عـند البـعض الذيـن يـعتقدون أنّ كـبراءهـم مـن ذوي الرأي والحـصافة ولا يعرف لجهله أو تعصّبه أو عماه أنّهـم أشـباه رجال ليس فيهم مسحة رجولة إلّا في ظاهر

تركيبهم الجسدي لا أكثر..

ففي أنساب الأشراف للبلاذري: «وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة»..

وفي الإرشاد للمفيد: فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس...

وفي الأخبار الطوال للدينوري: وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحيه من السور، فخوفوا القوم.

توظيف أفراد الأسر

لا يخفى ما لأفراد الأسرة من أثر بليغ في التأثير العاطفي والضغط الاجتماعي على الهمم والعزائم تثبيتاً أو تثبيطاً.

فللأب والأم والابن والبنت والزوج والزوجة دور فاعل ومباشر على بعضهم

البعض، بيد أنّ هذا الدور يكون إيجابياً حينما يكون في أهل بيت مؤمنين، ولا يمكنه أن يؤثر سلباً على المجاهد في سبيل الله حينما يكون من موقفه على يقين.

أمّا إذا كان الدور في بيوت العنكبوت، فإنّ القلوب الخاوية والنفوس الضعيفة المتثاقلة سرعان ما تهوي أمام العواطف الخادعة، والمواقف البشعة.

ولا يعدّ من ينسحب من جبهة الحقّ ويخرج عن الصراط المستقيم إلى السبل المؤدية إلى النار لمجرّد دعوة زوجة أو أم أو أخ أو أخت... رجل حرب ولا إنسان صاحب موقف، ولا مؤمن يتّقي الله في مخالفة العهد والميثاق.

﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾[١].

وقد ورد في المصادر أنّ «المرأة كانت تأتي ابنها أو أخـاها فـتقول: انـصرف، النـاس يكـفونك، ويجـئ الرجـل إلى ابـنه وأخـيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشـام، فمـا تـصنع بـالحرب والشرّ؟ انـصرف، فـيذهب بـه فينصرف».

كيف يميل الإنسـان عـن طـريق الجـنّة، ويهوي في منزلقات الجحيم لمجرد أن يقول له أحد أقربائه «انصرف».

وهــل يسـمّى هـذا المـوجود الضـعيف المتهرئ مبايعاً.. مقاتلاً.. ثم يحسب إذا عـدّ العسكر؟!

١. التوبة: ٢٤.

التخويف والتهويل لأهل المعصية

التــخويف والتهـويل وسـيلة فـاعلة في الإنسان، غير أنّها مؤثرة في المؤمن المستقيم والناظر في عواقب الأمور فيما إذا كان الأمر يستحقّ التهويل، والمآل يستحقّ التـخويف منه، فهو يخاف من نذر الله، ويهوّل المعصية وعاقبتها على نفسه حينما يكون عاصياً لمـن لا يسمح الشرع والعقل بمـعصيته، ويكـون قادراً على العقاب الأبـدي السرمـدي، ولا يخاف المؤمن غير الله ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تهديد مهدّد، ولا تلويح بعقاب، بل ولا يعبأ بما يسميه الطاغوت عقاباً مادام فيه رضا الله ولا يجرّ سخطه.

أمّا النفوس الضعيفة المـتشبّثة بسـفاسف الدنيا، من الذين حليت الدنـيا في أعـينهم، وأبهرهم زبرجها وزيـفها، فـإنّهم يحسـبون لهذا التهويل والتخويف حساباً، خوفاً على

الداني من العيش الرخيص، وتـعلقاً بـقشة الأيام المتكسّرة المنصرمة على الرغم مـنه، فلا يرى نعيم الله ولا عقابه، وإنمـا يـفكّر في العقاب الفاني الزائل الصـادر في حـقّه مـن ضعيف زائل.

وقد وظّف ابن الأمة الفاجرة هـذا النـوع من التخذيل وأثّر في المذبذبين والمـنحرفين الذين عمشت عيونهم، وأصيبت بصائرهم، وختم الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، ومـا أكثرهم.

روى البـــلاذري في أنســـاب الأشراف: «وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عـنده مـن أشراف أهل الكـوفة: ليـشرف كـلّ رجـل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم»..

وقال الشيخ المــفيد في الإرشـاد: فـبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفـوا على الناس.. وخوّفوا أهل العصيان..

وروى الديـنوري في الأخـبار الطـوال:

وقال عبيد الله بن زياد لمن كـان عـنده مـن أشراف أهل الكـوفة: ليـشرف كـلّ رجـل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم.

وفي الفتوح لابن أعثم: ـ قول ابن زياد: ـ ولا تختلفوا ولا تـفرّقوا فـتهلكوا وتـندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلن أحد على نـفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

التخويف بالحرب

ذكرنا أكثر من مرّة أنّ كوفة الجـند كانت حاضنة عسكرية وثكـنة يـقطنها الجـيش الجاهز للقتال في أيّ صقع أو ثغر يؤمر به.

وقد خـاضت الكـوفة مـنذ أن تمـصّرت عسكرياً حروباً طويلة الأمد، وأفرادها في حالة حركة دائمة بين الثغور يرجع أحـدهم ليســتريح ثم يــعود حـيث يـوجهه الآمـر العسكري والحـاكم المتسلّط من قبل الملك.

والكوفة يـومها كـانت تكـتظّ بـعوائـل

الشهداء والقتلى جراء الحروب والصدامات حقّاً كانت أو باطلاً.

والفرد المقاتل المنهزم نفسياً والخاوي عقائدياً يعرف ما تعني كلمة الحرب وقد ذاق ويلاتها واكتوى بنيرآنها..

وابن الأمة الفاجرة عاش الكوفة ورأى وسمع ما جرى على أهلها من جراء الحروب، فضرب على هذا الوتر الرجراج المتأرجح في القلوب المتهرئة، فأمر أذنابه أن يخرجوا إلى الناس ويخوّفهم الحرب

«ودعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم الحرب»[1]...

فانصاع له النكرات انصياعاً أعمى

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥١٨، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٠٣، الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣١.

يكشف عن سوء السرائر وكذب النوايا، فأيّ حرب كان يخوّفهم منها؟

ألم يزج بهم في حرب أتت عليهم دنيا وآخرة؟

هل خافوا مغبّة الحرب فانصرفوا إلى رحالهم آمنين مطمئنين وادعين؟

ألم يخرجوا بعد حين لحرب ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنة عليه السلام!

الجفاء والإذلال

جفاء السلطان يعني أن يترك الصلة والبرّ، ويقسو قلبه ويغلظ طبعه عليهم.

والجفاء والاحساس بالحقارة وحبّ إذلال الآخرين طبع في الدعي وابن الزنا، وطبع متأصّل وله جذور ضاربة في أعماق الدعي ابن الدعي، ابن الأمة الفاجرة، فإذا انضمّ إليه عزم منه على الجفاء والإذلال، وكان بقصد الانتقام والتهديد، فإنه سيتفنّن

في ذلك ويـري النـاس صـوراً مـن الجـفاء والإذلال لم يألفوها من قبل.

وقد صرّح ابن زياد في خطبته مـهدّداً إذ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطـاعة أئمـتكم!، ولا تخـتلفوا ولا تـفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا[1]..

التهديد بيزيد وجنوده

كان ممّا هدّد به ابن زيـاد أهـل الكـوفة، وخوفهم منه مواجـهة يـزيد بـن مـعاوية! وخيول أهل الشام!

روى البلاذري في أنساب الأشراف قال:

ويتوعّدونهـم بيزيد بن مـعاوية وخـيول أهل الشام..

١. تـاريخ الطـبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشـاد للـمفيد: ٢ / ٥١.

وروى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فـقال: أيّهـا النـاس الحـقوا بأهـاليكم ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للـقتل، فإنّ هذه جـنود أمـير المـؤمنين! يـزيد قـد أقبلت... وتكلّم الأشراف بنحو من ذلك.

أمّا خيول أهل الشام، فربما كانت تهديداً لأهل الكوفة، لأنهـم قد التـحموا مـعهم في معارك ضارية، كما سيأتي بعد قليل.

أمّا التهديد بيزيد! فمن أعجب العجب أن يكون مؤثراً في القوم مـهما كـانت نـفوسهم ضعيفة وصدورهم خاوية.

ولا ندري كيف استسلم هـؤلاء الجـبناء لمثل هذا التهديد الفارغ وهم يخـيّرون بـين محاربة سـليل الأنـبياء والأوصـياء، ومـن شاهدوا بأمّ أعينهم شجاعته وشجاعة أبـيه وأخيه وأهل بـيته وبـين الرعـديد الجـبان سليل الجبناء!

التهديد بجيش الشام

لقد فرّقنا بين العنوان السابق وهذا العنوان لما في العنوان السابق من إشارة تهديد بشخص يزيد الرعديد، وقد نسب الجند هنالك ليزيد.

أمّا هنا فالتهديد بخيول أهل الشام وجنود الشام.

روى البلاذري في أنساب الأشراف والطبري في التاريخ: «ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم»!!

وروى الطبري أيضاً:

أشرفوا على الناس... وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد:

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس.. وأعلموهم وصول

الجند من الشام إليهم.

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف:

وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام..

عسكر الكوفة بعد لم ينس الحرب الضروس التي خاضها مع جند الشام، وإنما كان في عسكر الكوفة شيء من ثبات لوجود أمير المؤمنين عليه السلام وأمثال مالك الأشتر من الشجعان البواسل الذين حرّضوا على قتال القاسطين بمقالهم وفعالهم.

ويبقى السؤال من هؤلاء الأوباش الذين خذلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم انفعلوا بتهديد ابن زياد بخيول الشام، وزحفوا بجموعهم يوم ساقهم لحرب أشجع من خلق الله؟!

عقوبة السلطان

ورد التهديد بعقوبة السلطان، في المصادر بألفاظ شتّى، وهو تهديد يـفهمه الكـوفيون جـيّداً، ويـعلمون أنّ الكـوفة في حـصار مطبق، وضبط يحصي الأنفاس والنـسمات، والسلطان الذي يشيرون إليه وغـد فـاجر، ووحش كاسر، لا ذمّـة له ولا ضـمير، ولا حدود لتنكيله، ولا يعترف بشيء إلّا شريعة آل أبي سفيان.

فقد روى الطبري في التاريخ:

ويخذل الناس عن ابـن عـقيل ويخـوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان..

وروى الطبري أيضاً:

أشرفوا على النـاس فـمنّوا أهـل الطـاعة الزيادة والكرامة، وخـوفوا أهـل المـعصية الحرمان والعقوبة..

وروى الشـيخ المـفيد في الإرشـاد:

«ويحذّرهم عقوبة السلطان»..

وروى أيضاً:

وجعل محمد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربـعي يردون الناس عن اللحوق بمسلم ويخوّفونهم السلطان..

وقال الشـيخ المـفيد في مـوضع آخـر:.. وخوّفوا أهل العصيان الحرمان والعقوبة..

وذكـر لهـم بـعض النمـاذج مـن عـقوبة السلطان، وأنّه قد اتخـذ عهداً أن ينزل بهـم عقوبته إن هم تمرّدوا عليه، كما روى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهـاليكم... وقـد أعطى الله الأمير عهداً: لئن تمّمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم... وتكلّم الأشراف بنحو من ذلك...

لقد ذكر زهير بن القـين صـاحب مـيمنة

معسكر التوحيد، والعلوي الذي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام[١] بعض عقوبات السلطان في خطبته يوم عاشوراء حينما دعاهم إلى نصر آل محمد صلى الله عليه وآله وخذلان الطاغية، وذكّرهم بما ذاقوه في ظلّ الحكم الأموي الغاشم على أيدي الأدعياء من أمثال زياد وابنه...

فقال: وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد فإنّكم لا تدركون منهما بسوء عمر سلطانهما كلّه ليسملان[٢] أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه»[٣].

---

١. للمزيد أنظر كتاب زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام للمؤلّف.

٢. يسملان: يقال: سمل عينه أي فقأها بميل محمي.

٣. انظر: دلالات خطبة زهير مفصّلاً في كتاب زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام للمؤلّف.

ذكّرهم زهير بمشاهد عاصروها ورأوها ملء العين، واكتووا بنارها الحامية ولا يزالون يئنون من لظاها، وذكّرهم بشخصياتهم ورؤوسهم الشامخة وجماجمهم العالية التي اقتطفتها أحقاد الأمويين وأذنابهم من أمثال حجر بن عدي وهاني بن عروة وميثم التمار ورشيد الهجري، وغيرهم الذين قتلوا وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على جذوع النخل...

وقد اقتبس زهير هذا المشهد من كتاب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية حيث يقول في كلام له بعد أن يذكر قتل حجر والمصلّين العابدين وعمرو بن الحمق الخزاعي العبد الصالح صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإدعاء زياد ابن سمية:

ثم سلّطته ـ أي زياداً ـ على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل

أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل[١]...

هذه نماذج سريعة من عقوبات السـلطان التي عاشها الكوفيون وشاهدوها وذاقـوها بأنفسهم، ولكـنّهم نسـوا أنّ الله أَشَـدّ بَأْساً وَأَشَدّ تَـنْكيلاً، وأنّ عَـذاب الْآخِـرَةِ أَشَـدّ وَأَبْقى.

١. زهير بن القين علوي خـرج يـتلق الحسـين عليه السلام: ١٠٦، عــن اخــتيار مـعرفة الرجـال للـطوسي: ١/ ٢٥٦، الدرّ النظيم لابن حـاتم العـاملي: ٥٣٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤/ ٢١٣.

نفي الحرمة وإسقاط حصانة الإسلام

براءة الذمّة من أحد يعني أنّه خارج عـن ربقة الإسلام، فلا حصانة له من قوله «لا إله إلّا الله»، ولا حـرمة لدمـه ولا لعـرضه ولا لماله، بل تسلب منه حتّى حـصانة الذمّـي، لأنّ الذمّي داخل في الذمّة.

قد استعمل ابن الأمة الفاجرة هذا التهديد لغرض استقصاء الناس وإحضارهم جمـيعاً بين يديه.

روى الدينوري في الأخبار الطوال:

وأمر منادياً فنادى بـالكوفة: ألا بـرئت الذمّـــة مـن رجـل مـن العـرفاء والشرط والحـــرس لم يحــضر المســجد، فـاجتمع الناس...

وكذا في تـاريخ الطـبري والكـامل لابـن الأثير:

ألا برئت الذمّة من رجـل مـن الشرطـة

والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى العـتمة إلّا في المسجد، فلم يكن له إلّا سـاعة حـتّى امتلأ المسجد من الناس...

وفي تجـارب الأمـم لمسكـويه: ونـادى: برئت الذمّـة مـن رجـل مـن الشرطـة، أو العرفاء، أو المناكب والمقاتلة، صلّى العـتمة إلّا فى المسجد! فلم تكن إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد..

وفي مقاتل الطالبيين: ونـادى في النـاس: برئت الذمّة من رجـل صـلّى العـتمة إلّا في المسجد، فاجتمع الناس في ساعة..

واستعمل هذا التهـديد أيضاً في مـواضـع أخرى من قبيل ما رواه في الفتوح لابن أعثم والكـامل لابـن الأثـير وتجـارب الأمـم لمسكويه نقلاً عن ابن زياد:

وقد بـرئت الذمّـة مـن رجـل أصـبنا في داره...

التهديد بالقتل

التهديد بالقتل هو عند هؤلاء الناس مـن أعظم ما يخافونه، لأنّه يعني الموت الأحمـر، ومـفارقة الدنـيا التي بـاعوا آخـرتهم مـن أجلها. وهو عند ابن الأمة الفاجرة والأقذار المتدلّية من ذنبه أهون ما يفعلونه، وديـدن يألفونه، بل هو لذّة يمارسونها بغلمة ونهم.

روى الطبري في التاريخ خطبة ابن زيـاد، وفيها:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطـاعة أئمّـتكم، ولا تخـتلفوا ولا تـفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا..

وروى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فـقال: أيّهـا النـاس الحـقوا بأهـاليكم ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل...

هدّدهم أن يلتزموا طاعته التي فيها سخط

الرحمن لئلا يـقتلوا، فـخافوا القـتل بسـيف الدعي ابن الدعي الذي كان جـوازهـم إلى جنات النعيم، ثم سـاقهم إلى القـتل بسـيف سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، الذي يهوي بهم في طبقات الجحيم.

قتل كبار القوم والأشراف

كان من أهمّ الوسائل التي اتخذها بنو أمية وأذنابهم في تخـويف النـاس وتجـبينهم هـو اقتطاف الجماجم، وقطع الرؤوس الضخمة، وتقصير الهامات العالية بالاجتزاز، وإقـناع الناس أن لا مكان للكبار في غابة الأقـزام، فإذا كان عليّة القوم وجماجمهم معرضة للقتل والتنكيل فكيف بالصغار؟!

ولهذا كانوا يقتلون العـظماء بـين ظـهراني أقوامهم، كما فعل بميثم ورشيد وعـمارة بـن صلخب «صلحب» وغيرهم:

روى البـلاذري في أنســاب الأشراف،

قال:

وخرج عمارة بن صلحب الأزدي (كـذا) وكـان ممّـن أراد نـصرة مسـلم، فأخـذه أصحاب ابـن زيـاد، فأتـوه بـه فأمـر بـه فضربت عنقه في الأزد[1]..

وقال ابن زياد مخاطباً العرفاء:

«وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على بـاب داره[2]..».

١. أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

أخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب

في أنســاب الأشراف: «وأخـــذ البريء بالسّقيم والشاهد بالغائب»...

وفي الإرشاد: وتكلّم كـثير حـتّى كـادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحـقوا بأهــاليكم... وأن يأخـــذ البرئ بـالسقيم والشاهد بالغائب.. وتكلّم الأشراف! بـنحو من ذلك.

وهذا يعني تجريم المجتمع كملاً، والتـعامل بـــالهمجية وســـلب الأمــان والاســتقرار، وإشاعة الخوف عند الجميع، فلا يسلم مـن يد البطش أحد بتاتاً..

الإبادة الجماعية والهلاك والقهر

تجد في كلام «كثير» مشهداً مروّعاً للإبادة الجماعية والهلاك والقهر بكلّ وسائله المتاحة يومذاك.

فقد روى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس! الحقوا بأهاليكم.. وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن تـمتم عـلى حـربه ولم تنصرفوا مـن عشـيتكم أن يحـرم ذرّيّـتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشـام، وأن يأخذ البرئ بالسقيم والشاهد بالغائب، حتّى لا تبق له بـقية مـن أهـل المـعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت أيديها.

وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

ويعدّ ما ذكره في كلامه مـن أهـمّ وأنـفذ وسائل الإبادة الجماعية من قبيل التـعريض للقتل والحـرمان مـن العـطاء والإقـحام في الحـروب، وغيرها من الوسائل والأساليب المذكورة في النصّ التي تقضي عليهم ولا تبقي لهم أثراً، ولا تبق بقية من أهل المـعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت أيديها..

وكذا هي الصورة في خـطاب ابـن الأمـة الفاجرة الذي رواه الطبري، وقد نـصّ فـيه على الهلاك، فقال:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطـــاعة أئمّـتكم، ولا تخـتلفوا ولا تـفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا...

وفي نصّ الفتوح لابن أعثم تصريح بالقهر: ولا تختلفوا ولا تـفرّقوا فـتهلكوا وتـندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلن أحد على نـفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

وهنا جعل نفسه في حلّ، وحمّـل الأفـراد جميعاً مسؤولية القضاء على أنفسهم، لأنّهم جـعلوا السـبيل عـلى أنـفسهم، ولم تـغنهم النذر..

منع العطاء والحرمان

هدّدهم اللعين بمنع الأعطية كما في أنساب الأشراف، والحرمان كما في الإرشاد للمفيد،

قال:

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس.. وخوّفوا أهل العصيان الحرمان...

وفي تاريخ الطبري: أمّا بعد، أيّها النـاس، فاعتصموا بـطاعة الله وطـاعة أئمـتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتـقتلوا وتجفوا وتحرموا..

وفي تاريخ الطبري أيـضاً: أشرفـوا عـلى الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامـة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان...

ولم يــقتصر في التهــديد عـلى حـرمان المباشرين للتمرّد عليه، وإنمـا ضرب عـلى وتر حساس يهمّ كلّ إنسان، حيث توعّدهم بحرمان ذريّاتهم ومن سيتركون من خلفهم، لأنّهم حسب فرضه سيقتلون ويهلكون ولا يبقى منهم أحد، فحرمان الآباء مـن العـطاء ســيكون بــقتلهم وحـرمانهم مـن الدنـيا

بأسرها، أمّا العطاء فستحرم منه الذرّيّة من بعدهم.

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم.. وقد أعطى الله الأمير عهداً:

لئن تمّتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء... وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

تفريق المقاتلة في الثغور ومغازي الشام

من لم يقتل في الكوفة فإنّه سيحكم بالإعدام بطريقة أخرى حيث يفرّق بينه وبين أهله، ويحرم من عشيرته وقومه، وينفى في الأرض إلى حيث سيقتله العدو في أرض غربة...

روى الشيخ في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم.. ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام.. وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

محو العرافات

خطب الدعي فهدّد وأرعد، ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

اكتبوا الى الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيمّا عريف وجد في عرافته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من

العطاء، وسيّر الى موضع بعمان الزارة[١].

وهذه تهديدات خاصّة للعرفاء، فيها تشديد ووعيد واستباحة مرعبة للمتخاذلين.

موقف مذحج

كان لموقف مذحج القبيلة الكبيرة في الكوفة دوراً مؤثراً في تخذيل الناس بعد أن تخاذلت عن رأسها وكبيرها وزعيمها والمبرز بالفضل بينها حينما رجعت عن قصر الخبال مكتفية بما زعمه شريح وممتثلة لأمر عمرو بن الحجاج الزبيدي «المتفاني في امتثال أوامر أعداء أهل البيت عليهم السلام مع أنّ هانئاً كان صهراً له»[٢].

تقول الرواية التاريخية: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.
٢. مع الركب الحسيني: ٣ / ١٠٥.

حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى:

أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قتل فأعظموا بذلك!

فقيل لعبيد الله بن زياد: هذه مذحج بالباب!

فقال لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم أخرج وأعلمهم أنّه حيّ لم يقتل!

فدخل شريح فنظر إليه، فقال هاني لمّا رأى شريحاً: يالله! ويا لمسلمين! أهلكت عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل المصر؟! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر، فقال: إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني!

فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهـم، فـقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم في صـاحبكم أمـرني بـالدخول إليـه، فأتـيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أمّا إذا لم يقتل فالحمد لله! ثم انصرفوا!![1]

وفي رواية الدينوري:

فقال لهم سيّدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حـيّاً فـما يـعجلكم الفـتنة؟! انصرفوا فانصرفوا[2]!!

انصرفوا وخذلوا هانياً بقيادة عـمرو بـن الحجاج الذي قادهم من قـصر الخـبال إلى قصر الخـبال مـرّة أخـرى، وانـقلبوا عـلى

١. مـع الركب الحسـيني: ٣/١٠٨، عـن الإرشـاد للمفيد: ١٩٢.

٢. مع الركب الحسيني: ٣/١٠٩ عن الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

أنفسهم ودخلوا في طاعة ابن الأمة الفاجرة وسيّده القرد الأموي إذ أعلنوا أنّهم لم يخلعوا طاعة ولم يفارقوا جماعة.

وكانوا قـد خـرجـوا تحت عـنوان كـبير «فرسان مذحج ووجوهها»، وفي نصّ ابـن أعثم: «.. فركبوا جميعهم عن آخرهم حـتّى وافـوا بـاب القـصر فـضجوا وارتـفعت أصواتهم..»[1].

ولم تكن مذحج يومها في الكـوفة قـليلة العدد ولا العـدّة، فـرجـوعها واسـتسلامها لأعداء سيّد الشهداء عليه السلام وانـصرافـها عـن الحقّ يعني انسلاخ كـم هـائل مـن النـاس وهروبهم بـاتجاه العـدوّ، وهـذا النمـط مـن الخيانة يعدّ من المخذّلات المؤثرة في المنهزمين والمتذبذبين!

***

١. الفتوح لابن أعثم: ٥/٤٨.

هذا باختصار ما يتعلّق بجانب الوعيد والتهديد، أمّا الوعد والترغيب:

الوعد والترغيب

قد جعل لمن سمّاهم أهل الطاعة ممّن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم الزيادة والكرامة! وتوفير العطاء، ورفع لهم رايات الأمان ليفرج لهم الطريق إلى جحور الوشم بالعبودية، ومصانع الطرق والسحب والتشكيل وفق مرادات الشياطين، والانصهار التام في عفن التبعية للقرود الأموية.

وقد ورد التصريح بذلك في تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد والكامل لابن الأثير والمناقب لابن شهرآشوب وتجارب الأمم لمسكويه وغيرها من المصادر.

الطمع

الترغيب والطمع هو أحد أركان التخذيل، وقد بان واضحاً في تصريحات المخذّلين، وأوّلهم ابن زياد في خطابه الأوّل في الكوفة حينما قال:

«..يا أهل الكوفة، إنّ أمير المؤمنين! قد ولاني مصركم، وقسم فيئكم فيكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدّة على عاصيكم ومريبكم، وأنا منته في ذلك الى أمره، وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق..».

وروى الطبري في تاريخه عن ابن زياد قال: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة...

وجعل لعوامهم جعلاً، ولكبرائهم جوائز وقطائع وعطايا، فسالت أودية بلعابهم العفن.

المتأثّرون بالتخذيل

ينقسم الناس حسب تأثرّهم بالتخذيل وانفعالهم به إلى أقسام:

القسم الأوّل: العوام

وهم يمثّلون الأكثرية التي تغطّي الأغلب، وربما أمكن التعبير بالجميع إلّا ما ندر من المجتمع الكوفي يومها، من الذين كانوا في خدمة الوالي وتحت تأثيراته، وهم من أتباع العجعل والسامري.

وهؤلاء كانوا هم المخاطب المستهدف في حملات التخذيل، ويبدو من لحن الخطاب ونوع التهديد أنهم المقصودون بالخصوص،

إذ أنّ التهــديد بـإنفاذ رجـالهم إلى الثـغور البعيدة وحرمانهم من العطاء يشير إلى أنّـه تهديد لأفراد العسكر المسـجّل في الديـوان حيث يمكن للوالي وهو قائدهم العسكـري والآمر والناهي فيهم أن يتّخذ فيهم قراراً.

وكذا تهديدهم بجند الشام، وأنهم قد ذاقوا سيوفهم وعـرفوا صـولاتهم، فـهو تهـديد لشريحة كانت تباشر القتال ولعوائلهم...

وكذا النداء بـبراءة الذمّـة مـن الشرطـة والحرس والعسكر إن لم يحضروا المسجد...

فهم المخذّلون المتأثرون، قُصدوا بحملات التخذيل، فاستجابوا ورضخوا..

القسم الثاني: الشيعة

لم نجـد ـ حسب فـحصنا ـ نـصّاً صريحاً يشير إلى تهديد يسـتهدف الشـيعي حسب ولائــــه واعــــتقاده الخــاص بــالإمام المعصوم عليه السلام.

وقد مرّ معنا أنّ الشيعة كانوا أقليّة قـليلة جدّاً في المجتمع الكـوفي يـومذاك، مـع ذلك يمكــن تــقسيمهم إلى كـواكب لأهمـيتهم ولتمييزهم:

الكوكبة الأولى:

إن كــان هـذا الشـيعي المـفترض فـرداً عسكرياً مـنضوياً تحت أغـصان الشـجرة الملعونة، ولم تغيّره دعوة سيّد الشهـداء ولا ســفيره عليهما السلام، وبـقي بـالرغم مـن مجـريات الأحداث الجارية أيام قيام سيّد الشهداء عليه السلام لم يتزحزح عن مكانه، ولم ينقل موقفه مـن جيش الضـلال إلى مـعسكر الهـدى، فـهو والحال هذه مصنّف ضمن القسم الأول، وقد انسلخت عنه هويّة التشيع، فلا موقع له هنا ضمن هذه الكوكبة، ويعود ليـعدّ في القـسم الأوّل من العوام.

الكوكبة الثانية:

من كان من الشيعة في عداد العسكر الذي كان يسمّى يومها بالجيش الإسلامي غـير أنّه قد نقل موقفه، أو أنّه لم يكن مـن رأس منضوياً تحت رايات الضـلال، ولا مـتعلّقاً بأغصان الشجرة التي ما لها من قرار، وابتلي في تلك الأيام بالحبس أو السفر البعيد أو أيّ عذر آخر.

فـهؤلاء جمـيعاً لم يـتأثّروا ولم يـنفعلوا، والمفروض أنهم ثبتوا، وإن لم يبلغوا الفتح...

الكوكبة الثالثة: الخواصّ

وهؤلاء هم الكوكبة الخالصة الخاصّة من أنصار سيّد الشهداء عليه السلام التي طـلعت شهـباً أحرقت جذور الشجرة المـلعونة، وطـلعت نجوماً زواهر أنارت الدنيا والآخرة بنورها الوهاج الذي امتزج بأنوار الإمـام عليه السلام التي لن تطفأ أبداً.

وهؤلاء لم يعبأوا بالتهـديد والتخذيل، بل ما زادهم إلّا عزيمة وإيماناً وثباتاً ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيـماناً وَقـالُوا حَسْـبُنَا اللَّـهُ وَنِـعْمَ الْوَكيلُ﴾.

الكوكبة الرابعة:

وهـــم الذيـن أعـدّوا واسـتعدّوا لنـصر سيّد الشهـداء عليه السلام ولم يلحقوا الفتح، ونـذكر لذلك نموذجين:

النموذج الأوّل:

روى السيّد ابن طاووس في اللهوف وابن نما في مثير الأحزان والمجلسي في البحار:

.. وكان الحسين عليه السلام قد كـتب إلى جمـاعة من أشراف البصرة كتاباً مع مـولى له اسمـه «سليمان» ويكنّى «أبا رزين» يـدعوهم فـيه إلى نصرته ولزوم طاعته، مـنهم يـزيد بـن مسـعود النهشـلي، والمـنذر بـن الجـارود العبدي.

فــجمع يــزيد بـــن مسعود بـني تمـيم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا قال: يا بني تميم! كيف ترون فيكم موضعي وحسبي منكم؟!

فـقالوا: بـخ بـخ! أنت والله فـقرة الظـهر ورأس الفـــخر حـللت في الشرف وسـطاً، وتقدّمت فيه فرطاً.

قال: فـإنّي قـد جمـعتكم لأمـر أريـد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه.

فقالوا: إنّا والله نمنحك النـصيحة، ونجـهد لك الرأي، فقل حتّى نسمع.

فقال: إنّ معاوية مـات، فأهـون بـه والله هالكاً ومفقوداً، إلّا وأنّه قـد انكـسر بـاب الجور والإثم، وتـضعضعت أركـان الظـلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنّه قد أحكمه، وهيهـات والذي أراد! اجـتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابـنه يـزيد شـــارب الخـمور، ورأس الفـجور يـدّعي

الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بـغير رضى منهـم مع قصر حـلم وقـلّة عـلم، لا يعرف من الحقّ موطئ قدميه، فأقسم بـالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل مـن جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابـن بـنت رسـول الله ﷺ ذو الشرف الأصـيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسـنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحـنو على الكبير، فأكرم به راعي رعـية، وإمـام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحـقّ، ولا تسكـعوا في وهدة الباطل، فقد كـان صـخر بـن قـيس انخــذل بكـــم يـــوم الجـمل، فـاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونـصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلّا أورثه الله الذلّ في ولده، والقلّة في عشيرته.

وها أنـا ذا قـد لبست للـحرب لامـتها،

وادرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلّا خضناها، ولا تلق والله شدّة إلّا لقيناها، ننصرك والله بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فافعل.

وتكلّمت بنو سعيد بن يزيد، فقالوا: يا أبا خالد! إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا!! فأمهلنا نراجع المشورة، ونأتيك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد! نحن بنو أبيك وخلفائك، لا نرضى إن غضبت، ولا نوطن إن ظعنت، والأمر

إليك، فادعنا نجبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد! لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم،

أمّا بعد: فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لا يخل الأرض قطّ من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وكظّها، وقد ذلّلت لك بني سعد،

وغسلت درن صدروها بماء سحابة مزن
حين استهمل برقها فلمع .

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال : ما لك آمنك الله يوم الخوف ، أعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر .

فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير ، فجزع من انقطاعه عنه[1] .

النموذج الثاني:

روى الشيخ ابن قولويه في كامل الزيارات مسنداً :

عن أحمد بن عمرو بن مسلم عن الميثمي قال :

خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليهما السلام ، فمرّوا بقرية يقال لها

١ . اللهوف لابن طاووس: ٣٨ وما بعدها، مثير الأحزان لابن نما: ٢٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٩.

«شاهي» ، إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب ، فسلّما عليهم .

قال : فقال الشيخ : أنا رجل من الجنّ ، وهذا ابن أخي أردنا نصر هذا الرجل المظلوم .

قال : فقال لهم الشيخ الجنّي : قد رأيت رأياً .

فقال الفتية الإنسيون : وما هذا الرأي الذي رأيت؟

قال : رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم ، فتذهبون على بصيرة .

فقالوا له : نعم ما رأيت .

قال : فغاب يومه وليلته ، فلمّا كان من الغد إذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص وهو يقول :

والله ما جئتكم حتى بصرت به
بالطفّ منعفر الخدّين منحورا

وحـــوله فـــتية تـدمى نحـورهم
مثل المصابيح يملون الدجـى نـورا
وقد حثثت قلوصي كي أصادفهم
من قبل ما أن يلاقوا الخرد الحوراء
كان الحسين سراجاً يسـتضاء بـه
الله يـــــعلم أنّي لم أقـــــل زورا
مجـــاوراً لرســول الله في غـــرف
وللـــبتول وللــطيّار مــسرورا

فأجابه بعض الفتية من الإنسيين يقول:

اذهب فـلا زال قـبر أنت سـاكـنه
إلى القـيامة يسـقي الغـيث ممـطورا
وقـد سـلكت سـبيلاً أنت سـالكه
وقـد شربت بكأس كـان مـغرورا
وفـــتية فـــرغوا لله أنــفسهم
وفارقوا المال والأحباب والدورا[1]

١. كامل الزيارات: ٩٤ باب ٢٩.

الكوكبة الخامسة:

وهم طائفة ممّـن انـتحل التشـيع وادّعـى نصرة أهل البيت عليهم السلام غـير أنهـم تـقاعسوا ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وأخـلدوا إلى الدنيا، ومن طبع هذا النمط من المخلوقات التأثّر والانفعال بالتهديد، والطمع بالدنيا.

غير أنّنا لم نجد نصّاً تاريخياً موثّقاً يذكر لنا شيعة من هذا القـبيل، وإنمـا اسـتفدناه مـن حديث ورد عن أهل البيت عليهم السلام ربما يفهم منه الإشارة إلى هذا النوع ممّـن يسمّون شـيعة، بنفس الدواعي التي تسمح بـتسمية الأمـة التي حرّفت دين النبي صلى الله عليه وآله وأعـرضت عـن كتابه وتركته وراء ظـهورها وعـدت عـلى عترته فقتلتهم وشرّدتهم بـ«أمّة النبي»، فهم يحسبون أنفسهم على النبي صلى الله عليه وآله رغـماً عـنه وعتواً وطغياناً عليه.

روى العـــياشي في تـــفسيره عـــن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير هذه الآية ﴿أَلَم تَرَ

إِلَى الَّذِينَ قِـيلَ لَـهُم كُـفُّوا أَيـدِيَكُم﴾ مـع الحسن عليه السلام ﴿وَأَقِيمُوا الصَّـلاةَ﴾ .. ﴿فَـلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالَ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبتَ عَلَينَا القِتَالَ لَولاَ أَخَّـرتَنَا إِلَـى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى خروج القائم عليه السلام ، فإنّ معه النصر والظفر ، قال الله : ﴿قُل مَـتَاعُ الدُّنـيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الآية[1] .

وروى العيّاشي أيضاً عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال :

والله الذي صنعه الحسن بن علي عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عـليه الشـمس ، والله لفيه نزلت هذه الآية ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُم كُفُّوا أَيدِيَكُم وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ إنّما هي طاعة الإمـام عليه السلام ، فـطلبوا القـتال ﴿فَـلَمَّا كُـتِبَ عَـلَيهِمُ القِـتَالُ﴾ مـع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبتَ عَلَينَا القِتَالَ

١ . تفسير العياشي:١ / ٨٥٢، سورة النساء: ٧٧.

لَولاَ أَخَّرتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ .

وقوله ﴿رَبَّنَا أَخِّرنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُـجِب دَعوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ أرادوا تأخـير ذلك إلى القائم عليه السلام .

الحلبي عنه عليه السلام : ﴿كُفُّوا أَيـدِيَكُم﴾ قـال : يعني ألسنتكم ..

ربما أمكن الاستفادة من مجمل جـوّ هـذه الأحـــاديث ، ومـــن انـــتظارهم القـــائم المنتقم عليه السلام ، وطلبهم تأجيل القتال معه أنّهم كانوا يزعمون الاعتقاد بالإمامة .

إنّ صحّ هذا الفهم ، فهو إشارة صريحة إلى نمط خاصّ من المنتحلين للتشيع والمنتسبين له ، فـهم بـزعمهم راضـون وعـلى التشـيع محسوبون ، وغاب عنهم أنّهم قد امتازوا عن الشيعة ، لأنّهم لم يكونوا للإمام عليه السلام في مـثل هذا الموقف سامعون مطيعون .

وقد ميّزتهم الدعوة الحسينية التي بلغتهم عن الشيعة حينما تخاذلوا وأعـرضوا عـنها ،

وأخرجتهم من دائرة التشيّع لمّا تركوا نصرة ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله من دون عذر يذكر، فلا يصنّفون في الشيعة بعد يوم الحسين عليه السلام، وإن أطلق عليهم الاسم باعتبارات عرفية وخارجية، إلّا أنّهم ممّن تأثروا وانفعلوا بحملات التخذيل، طلباً للدعة والاسترخاء في ظلال الشجرة الملعونة الزائلة.

آثار التخذيل

﴿الَّذينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ﴾ ..

التهديد والتخذيل إنما يؤثّر في النفوس الضعيفة والعزائم المهزوزة والإرادات المتذبذبة، إمّا المؤمن الواثق الثابت الجنان المطمئن بما وعده به الرحمن فهو كالجبل لا تزلزله القواصف، ولا تستفلّ منه المعاول، ولا تزحزحه العواصف، يقول لمن هدّده بالموت ما قاله سيّد الشهداء عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلماً

ويجيب كما أجاب زهير بن القين إذ قال له شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

قال: أفبالموت تخوفني؟! فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم.

وقد عبّر أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام كلّ منهم بطريقته عمّا عبّر عنه زهير بن القين صلوات الله عليهم أجمعين..

والذين ثبتوا مع المولى مسلم بن عقيل لم يعمل فيهم التخذيل، بل شدّ عزمهم، ورسّخ مواقفهم، وثبّت أقدامهم، غير أنّهم كانوا ذلك اليوم أقلّ القليل!

أمّا سيلانات الزبد الطافح في الكوفة يومذاك التي كانت تجري من كلّ مناهجها وسككها ودورها، فإنّ التخذيل عمل فيها عمله، فكانت النتيجة:

الفتور

لمّا سمع من يسمّونهم بأصحاب مسلم عليه السلام، وهو تعبير استخدمه المؤرّخ، ويعني بهم من خرجوا في تلك الزحمة وكأنهم في صفّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام مستجيبين لندائه، فإنّ التخذيل بان فيهم على حدّ تعبير البلاذري في أنساب الأشراف بهيئة الفتور، قال:

«فلمّا سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور»..

فراح الحماس المتوهّج يخبو، والحمية الكاذبة تبرد، والمواقف المزيّفة تنكشف، والبهرج ينجلي، والطين النتن يغزو الآفاق بعفنه، بعد أن خمد دخان النار المشتعلة من الدمن في نفوس الانتهازيين والمتربصين.. لأنهم كانوا أصغر وأحقر من أن يباشروا الصيد بذواتهم، فأرادوا أن يأكلوا الجيف،

فاستسلموا لابن الأمـة الفـاجرة، فأكـلوا جيفهم أذلاء خاسئين.

التفرّق

ربما كان تعبير البلاذري لبيان حالة مرّ بها الناس يومذاك من دون ترتب بـين عـبارته وعبارة غيره من المؤرّخين، غير أنّ النتيجة الطـبيعية للـفتور وخمـود الروح والتزلزل والعودة إلى المتبنيات الأصلية والمـنطلقات الأساسية التي ينطلق منها الإنسان في حراكه دائماً.

وكيف كان، فإنّ عبّاد الطـاغوت الذيـن اتخـذوا أهـواءهـم آلهـة انـفعلوا وراحـوا يتفرّقون عن المولى الغريب عليه السلام، ويـبتعدون عن الصراط المستقيم، ويـدلفون في السـبل المتفرّقة التي تودي بهم إلى جـهنم وسـاءت مصيراً.

تجمهروا حول حبل الله الممدود لهـم مـن

السماء بيد أنهم لم يمسكوه ولم يتعلّقوا به، ولم يشدّدوا قـبضاتهم عـليه ويـفتلوا أنـاملهم بخيوطه، ولو كانوا قد تمسّكوا به لمـا أفـلتوا منه...

قال الشيخ المفيد في الإرشاد وغيره:

فلمّا سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرّقون...

الانصراف

إذا انصرف الإنسان عن وجـه الله فأيـن سيولّي وجهه؟

انصرفوا عن سيّد الشهداء وسفيره المولى الغريب مسلم بـن عـقيل عليهما السلام اسـتجابة إلى أهليهم، وإن كان المحرّك لذلك الانصراف هو تخذيل السلطان وحبّ الدنيا:

﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْـتَرَفْتُمُوها وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقين﴾ ..

ف«كـانت المـرأة تأتي ابـنها أو أخـاها فتقول: انـصرف .. ويجـئ الرجـل إلى ابـنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشـام، فما تصنع بالحرب والشرّ ؟ انصرف، فيذهب به فينصرف».

«فما زالوا يتفرّقون ويـنصرفون ..» حـتّى بقي المولى في ثلّة قليلة معه.

المعركة!!

اختلف العلماء والمؤرّخون في بيان أحداث الحركة نحو القصر، ويمكن تقسيم أقوالهم إلى عدّة مشاهد:

المشهد الأوّل:

تفرّق الجمع دون قتال

قال البلاذري: وقد أغـلق عـبيد الله بـن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلّا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط.

فوجّه محمد بن الأشعث بن قيس وكـثير بن شهـاب الحـارثي، وعـدّة مـن الوجـوه ليـخذّلوا النـاس عـن مسـلم بـن عـقيل

والحسين بن علي، ويتوعّدونهم بـيزيد بـن معاوية وخيول أهل الشام وبمـنع الأعـطية وأخذ البريء بالسّقيم والشاهد بالغائب.

فتفرّق أصحاب ابـن عـقيل عـنه، حـتّى أمسى وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً[1].

وروى الطبري في خبر الدهني قال:

فأتى مسـلماً الخـبر، فـنادى بشـعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكـوفة، فقدّم مـقدّمته، وعـبى مـيمنته ومـيسرته، وسار في القلب الى عبيد الله، وبعث عبيد الله الى وجوه أهل الكـوفة فـجمعهم عـنده في القصر.

فلمّا سار إليه مسلم فانتهى الى باب القصر أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكـلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظـلام

١. أنساب الأشراف (ت ٢٧٩): ٢ / ٨١.

ذهب أولئك أيضاً[1].

وروى الطبري أيضاً:

... قال أبو مخنف: وحـدّثني يـونس بـن أبي إسحاق، عن عباس الجدلي قال:

خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسـير في النـاس مـن مـراد حـتّى أحـاط بـالقصر، ثم إنّ النـاس تداعوا إلينا واجتمعوا، فـو الله مـا لبـثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتّى المساء، فضاق بـعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسّك بـباب القصر، وليس معه إلّا ثـلاثون رجـلاً مـن الشرط وعشرون رجلاً من أشراف النـاس وأهل بيته ومواليه، وأقـبل أشراف النـاس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتّقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه.

ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس.

وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يخذّل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردتك!

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به الى ابن زياد فحبسه.

فبعث ابن عقيل الى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريح الشبامي، فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه،

فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله.

وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبّرون ويثوبون حتّى المساء، وأمرهم شديد.

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن خازم الكثيري من

الأزد، من بني كثير، قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين!! يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً:

لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلّم الأشراف بنحو من كلام هذا.

فلمّا سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد،

إنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف، فيذهب به.

فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً.[1]

وهذا الخبر على طوله وتفصيله وتعدّد رواته يدخل في المشهد الأوّل، لأنّه ينتهي بتفرّق الجمع دون أيّ قتال.

بل حتّى الشامي الذي أرسله المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام لم يتشبك مع ابن الأشعث ولم يحصل بينهم قتال يذكر، إضافة إلى ما قد يناقش ويلاحظ في تفاصيله.

وروى المسعودي في المروج قال:

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٥.

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور»، وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل.

فسار الى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصروه في القصر فلم يُمْسِ مسلم ومعه غير مائة رجل.

فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة[1].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

فلمّا انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهدّدوهم وتوعّدوهم.

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٨.

وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذّلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك.

فجعلت المـرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنّك غداً بجنود الشام قد أقبلت فما ذا تصنع معهم؟

فتخاذل النـاس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثم تقالّوا حتّى بقي في ثلاثمائة ثم تقالّوا حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب، وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه[1]

وقال ابن الجوزي في المنتظم:

... فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف، فمضى بهم إلى

١. البداية والنهاية: ٨/ ١٥٥.

القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتيكم جنود الشام. فتسلّلوا، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة[1]..

وقال ابن شهرآشوب في المناقب:

.. ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه، فتحرز عبيد الله وغلق الأبواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر.

فبعث عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها فدخلوا القصر.

فقال لهم عبيد الله: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة وخوّفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرّقون حتّى أمسى مسلم وما

١. المنتظم: ٥/ ٣٢٦.

معه إلّا ثلاثون نفساً، فلمّا صلّى المغرب ما رأى أحداً[١]..

وقال ابن حجر في الإصابة:

ونادى مسلم بن عقيل لمّا بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة، فركب.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كلّ واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم، فكلّموهم فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم.

فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا بقي وحده تردّد في الطرق بالليل، فأتى باب امرأة[٢]....

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧.
٢. الإصابة: ٢ / ٧٠.

الأصفهاني:.. وتكلّم الأشراف بنحو من كلام كثير، فلمّا سمع الناس مقالتهم تفرّقوا.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد:

إنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف.

فما زالوا يتفرّقون وينصرفون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه إلّا ثلاثون نفساً، حتّى صلّيت المغرب، فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان فمضى متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها طوعة[١]...

١. مقاتل الطالبيين: ١٠٤.

وفي روضة الواعظين للفتال النيسابوري:

فاجتمع لابن عقيل أربـعة آلاف رجـل، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عـمله أن يمسك بـاب القصر، وليس مـعه في القـصر إلّا ثـلاثون رجلاً من الشرطة، وعـشرون رجـلاً مـن أشراف الناس وأهل بـيته وخـاصّته حـتّى كادت الشمس أن تغيب.

فكانت المرأة تأتي ابنها وأخـاها فـتقول: انصرف الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ، انصرف، فيذهب به فيصرفه، فما زالوا يتفرّقون عن ابـن عـقيل حتّى أمـسى وصـلّى المـغرب ومـا مـعه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلمّا رأى أنّـه قـد أمـسى وليس مـعه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كـندة فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة.

ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان، فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسـيه بـنفسه إن عرض له عدوّ.

فمضى على وجهه متردّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فمشى حتّى انـتهى إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»[١]...

المحصّل:

المحصّل من هذه الأخبار أنّ الجمع المحتشد والزخم المتراكم قد انفعل بحملات التخذيل وتسـلّل وانخـرم وتـفرّق وانـصرم دون أيّ حرب وقتال واشتباك وتلاحم لا من قريب ولا من بعيد.

ولم تذكر هذه النصوص صـور اصـطفاف عسكري ولا حرب منظمة، كما لم تذكر أيّ احتكاك ومـناوشات ولا حـرب «شـوارع

١. روضة الواعظين: ١٧٣ وما بعدها.

وعصابات»!!

وكلّ ما تفيده أنّ ثمّة جمـهور مخـتلط كـان يتقلّب في تلك الساحة، اختلط فيه الحـابل بالنابل، لم تحدّد فيه الجبهات ولا الصفوف، وإنما هو تجمّع ضخم على اختلاف الأرقام، لا يميّز فـيه رجـال صـفّ الحـقّ عـن زبـد الباطل، غير أنّه كان تجمّعاً تلى نداء المـولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فأخـرج ابـن الأمة الفاجرة عسكره ورايـاته، وشرعـوا بالتخذيل مـن فـوق سـور القـصر وعـلى الأرض، وانـفلت النـاس وتـبدّد الجـمع منحسراً لئـلا يحسب عـند السـلطة ضـمن المتعاطفين مع الحقّ ورجاله.

ولا يخفى ما في هذه النصوص من قوّة من حيث ورودها في مـصادر مـهمّة في التـقييم عند المحقّقين من قبيل البـلاذري والطـبري والمسعودي وابن كثير وابـن شهـرآشـوب والفتال النيسابوري وغيرهم ممّن ذكرناهم.

المشهد الثاني:
وقوع القتال الشديد

روى ابن سعد في الطبقات: ... وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهـو في نحـو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحـبة، ثم دخـلوا المسـجد وكـثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد[١]...

وروى ابن أعثم في الفتوح قال:

وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه، وبين يـديه ثمـانية عـشر ألفاً أو يـزيدون، وبـين يـديه الأعـلام وشـاكـوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه.

قال: وركب أصحاب عبيد الله واخـتلط

١. الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعـبيد الله بـن زياد وجماعة من أهل الكوفة قـد أشرفـوا عــلى جـدار القـصر يـنظرون إلى محـاربة الناس...

قال: وجعل رجل من أصحاب عـبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته:

ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شـيعة الحسـين بـن عـلي! الله الله في أنـفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإنّ جنود أهل الشام قد أقبلت، وأنّ الأمير عبيد الله بـن زيـاد قـد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنّكم العطاء، وليفرقنّ مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخـذنّ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حـتّى لا يبقى منكم بقيّة من أهل المـعصية إلّا أذاقـها وبال أمرها.

قال: فلمّا سمع الناس! ذلك تفرّقوا وتحادوا

عن مسلم بـن عـقيل ـ رحـمه الله ـ، ويـقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نـفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم.

قال: ثم جـعل القـوم يـتسلّلون والنهـار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقـلّ ولا أكثر واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة.

ملاحظة في الخبر

نسـمع في هـذا الخـبر وغـيره خـطابات أوباش ابن زياد من «أعـلى القـصر» وهـو ينادي بأعلى صوته كما في خبر ابن أعثم!

ولا نـدري كـيف كـان يـوصل «كـثير» وأمثاله أصـواتهـم إلى النـاس، ويمكـن أن

يلاحظ على ذلك عدّة معوّقات تعيق وصول الصوت إلى الناس بسهولة، وبالتالي تـعيق تصديق الخبر ببساطة:

العائق الأوّل: ارتفاع الجدران

كانت أسوار القصر عالية شاهقة مترامية الأطراف في اتجـاهاته الأربعة، ممّـا يـصعّب وصول الصوت واضحاً مسموعاً إلى شريحة كبيرة من الواقـفين عـلى الأرض في تـلك الساعة.

والمــفروض أنّ أخــلاط النــاس ومـا يسمّونهم بعسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام لم يسمح لهم بالدنو من أسوار القصر، فلابد أنّهم يقفون على بعد مسافة من أسوار القصر وأبوابه، لأنّ مـن كـان فـوق القـصر كـان يرميهم بالمدر والنشـاب لئـلا يـقتربوا مـن القصر!

هذا لو لم نفرض أنّ القـصر كـان محــاطاً

بالحرس والشرطة وغيرهم من القوّات التي كانت تحمي ابن زياد وقصره، وهو فـرض بعيد!

العائق الثاني: أصوات العسكر وتجهيزاته

كان الناس قد خرجوا إلى حرب ـ حسب الفرض ـ والخارج إلى قـتال يخـرج بـعدّته وعلى حدّ تعبير ابن أعثم «شاكوا السلاح»، فيهم الفـارس والراجـل، فـصهيل الخـيل، وقعقعة السلاح، وجلبة الرجال، وارتـطام السـيوف بـالدروع، وخشـخشة حـلقات المغافر، وغير ذلك ممّا يلزم اجتماع العساكـر من ضجيج وجلبة وصـخب وصراخ، يمـنع ويجعل سماع المتكلّم القريب صعباً عسـيراً، فكيف بمن ينادي من أعلى القصر؟!

العائق الثالث: أصوات الناس وتحركاتهم

اجتماع الناس في مكان واحد وتكأكأهـم على موضع بذاتـه، وهـم أمـواج مـتحركة

متداخلة متشابكة تغدو وتروح، وتـتسلّل وترجع، وتدخل وتخـرج، ويمـوج بـعضها على بعض، ممّا يـؤدّي إلى حـركة يـصحبها لغط وأصوات متداخلة.

فبين أصوات حوافر الخـيل، واحـتكاك النـعل بـالأرض، وبـين اصـطدام الرجـال بعضهم بـبعض وهـم يـتحرّكـون ذاهـبين راجعين داخلين خارجـين تـصطك آلاتهـم الحربية بعضها ببعض، وبين صهلة فـرس، أو سعلة رجل، ونداء صاحب لصاحبه، أو أب لابنه، أو أم لولدها، أو زوجة لزوجها، وغير ذلك ممّا يصدر من الناس إذا اجتمعوا في موضع واحد، فإنّها جميعاً تحدث ضجيجاً وصخباً يمنع من وصول الصوت إلى المخاطب من أعلى القصر مهما كـان صـوته جـهورياً مرتفعاً!

العائق الرابع: ضخامة العدد

مرّ معنا الحديث عـن الأعـداد المـذكورة حسب الفرض، وهي أعداد ضخمة تحتاج إلى مســاحة شـاسعة تسـتوعبها حـوالي القصر، وتمنع من أن يكون الجميع متراكماً في مكان محصور محدود.

وانتشار العدد على أرض واسعة يـعرقل وصول الصوت إليها بين كـلّ تـلك الجـلبة والصخب والضجيج، فإذا سمع قوم ولنفرض أنهم كانوا قريبين من صـوت المـنادي مـن أعلى القصر، فإنّ ذلك يحتاج إلى مـدّة مـن الزمن تكون كافية للتواصل بين المتواجدين على الأرض حتّى يبلّغ القريب منهم البعيد.

عودة إلى النصوص

قال السيّد ابن طاووس في اللهوف:

وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد، فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منه ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام، فلم يزالوا كذلك حتّى جاء الليل.

فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب...

وقال ابن نما الحلّي في مثير الأحزان:

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره خرج بجماعة ممّن بايعه إلى حرب عبيد الله بعد أن

رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصّن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل[١]..

وفي تاريخ الطبري:

قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

١. مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم.

فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة[1]...

مناقشة الخبر

وهذا الخبر فيه مناقشات كثيرة:

منها:

إنّ الخروج كان في الليل «لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار... فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة..».

ومنها:

إنّ ابن زياد نزل إلى المسجد وحصل القتال

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

بحضوره، والحال أنّه كان يخاف النزول، وأمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون..

ومنها:

إنّهم دخلوا على مسلم بن عقيل عليه السلام نفس الليلة وأخذوه إلى ابن الأمة الفاجرة فأمر بقتله: «فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فساره، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان!

فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إنّ مسلماً في دار فلان.

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فاتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار... ثم أمر به فضربت عنقه»[1]...

١. يفيد الخبر استمرار القتال إلى الليل، واستمرار المجموعة الباقية مع مسلم عليه السلام بالقتال دفاعاً عنه.

النتيجة:

نصّ ابن سعد أنّ القوة المقاتلة كانت زهاء ستّين قال: «فما بلغ القصر إلّا وهـو في نحـو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة..».

وهم في روايـة الطـبري زهـاء خمسـين: «فـجعلوا يـنظرون، فـإذا قـريب خمسـين رجلاً..».

وعبارة ابن نمـا قـريبة جـدّاً مـن عـبارة السيّد، وعبارة السيّد قريبة من عبارة ابـن أعثم، وهو الأقدم، وكـلّهم أجمـلوا ونـصّوا على أصل القتال ولم يتعرّضوا لذكـر العـدد المقاتل، فـيمكن أن تحـمل عـبارتهم عـلى وقوع القتال بين العـدد الذي لا يـزيد عـن ستّين على كلّ الاحتمالات.

فيكون الذين قاتلوا قتالاً شديداً هم العدد الذي نصّ عـليه ابـن سـعد أو الطـبري في إحدى رواياته.

المشهد الثالث:

مناوشات السور دفاعاً عن القصر

قال الدينوري في الأخبار الطوال: بعد أن ذكر تقسيم الرايات:

فتقدّموا جمـيعاً حـتّى أحـاطوا بـالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس.

وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف! أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكـانوا مـقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر[1] والنشاب[2]، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فـلم يـزالوا بـذلك حـتّى أمسوا.

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده مـن

١. المَدَرُ: قِطَعُ الطينِ اليـابِس. انـظر: لسـان العـرب، مجمع البحرين، العين.

٢. النُّشَّابُ: النَّبْل والسهام. انظر: لسان العرب.

أشراف! أهل الكوفة: ليـشرف كـلّ رجـل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم....

فلمّا سمع أصحاب مسـلم مـقالتهم فـتروا بعض الفتور.

وكان الرجل من أهل الكـوفة يأتي ابـنه، وأخاه، وابن عمّه فـيقول: انـصرف، فـإنّ النـاس يكـفونك، وتجـيء المـرأة إلى ابـنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع.

فصلّى مسلم العشاء في المسجد، وما مـعه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً...

وأمّا ما رواه الشيخ المـفيد مـن حـصول الرشق بالحجارة، فإنّه نفس خبر عبد الله بن حازم الذي رواه الطبري غير أنّه قال:

«وجـعل مـن في القـصر مـع ابـن زيـاد يـشرفون عـليهم فـينظرون إليهـم وهـم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويـفترون!! على عبيد الله وعلى أبيه....».

وعبارة الطبري:

«وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يـرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهـم لا يـفترون على عبيد الله وعلى أبيه..».

ويلاحظ التفاوت الشـديد بـين النـصّين بالرغم من أنّهـما روايـة واحـدة، وعـبارة الشيخ المفيد فيها ارتـباك واضـح، وعـبارة الطبري تـفيد الخـوف مـن وقـوع الرمـي بالحجارة والشتم، لا أكثر...

النتيجة:

حصيلة عبارة الدينوري أنّ كلّ من كـان في القصر «كانوا مقدار مائتي رجل» وكـذا محصل عبارتي الشيخ والطبري.

ولم يكن الاشتباك بين من كان على سـور القصر ومن كـان في الخـارج مـباشراً، ولم يتحقّق بينهم قتال والتلحام.

ورمي الحجارة من الأرض إلى أعالي سور القصر على ارتفاعه وتحصّنه لا أثر له ألبتة.

ورمي الحجارة والنشاب من أعلى السور باتجاه المتواجدين على الأرض لم يكن قتالاً، وإنما كانوا «على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا».

فهم لم يشتبكوا مع القوم، وإنما كان الخوف يدفعهم لاتخاذ إجراء يمنع القوم من الدنو من القصر، ليس إلّا.

على أنّ ما يسمّى «المواجهة» كانت بين شرذمة على السور وجماعة على الأرض لو اعتمدنا رواية ابن سعد والطبري لا يتجاوز عددهم الستّين...

ولو اعتمدنا النصوص المتعلّقة بهذا المشهد، فهم خليط من الزبد الذي تدفعه التهديدات الفارغة، وتفتته دعوات الأقرباء الواهية...

المشهد الرابع:

قتال مسلمعليه السلام حتّى الأسر

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر[1]..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

ووجّه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه[2]..

---

١. الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٩.

٢. تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣.

النتيجة:

إنّ هذا المشهد يختلف تماماً عـن المشـاهد السابقة حيث أنّه لا يروي تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنما يصوّر تقدّم جرذان القصر نحو المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أنّه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً، ولا يخفى مـا لهذين المصدرين من ثقل وقدم..

ويلاحظ أنّ عبارتي ابن قتيبة واليـعقوبي كـلاهما تـرويان القـتال بـصيغة المـفرد، وتنسبان القتال للمولى الغريب وحده.

وسيأتي الكلام في هذا المشهد في دراسـة لاحقة إن شاء الله.

المشهد الخامس:

مشهد خاصّ

قال لسان الملك سبهر في نـاسخ التـواريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام:

نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة الفكرة، وكـتاب اللـهوف، وكـتب الشـيخ المفيد، وكتاب ابـن شهـرآشـوب، وكـتاب اعــلام الورى، وبحـر اللـئالي، والفي، والطبري، وكتاب مـروج الذهب، وكـتاب الفصول المـهمة، وكـتاب تـذكرة خـواص الأمّة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمّة، وكتاب اليافعي، وكـتاب الطـريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبو مخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مـئات الكـتب والمجـلدات العـربية

والفارسية التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام ، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي .

ولما كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة ، وله إحاطة ودراية في جمع السير ، وهو يروي في الغالب عن ابن اسحاق وابن هشام ، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار ، فهو يقول :

لما تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج من الكوفة وهو لا يعرف الطريق فمضى يطوف في بعض الأزقة فرآه سعيد بن الأحنف فعرفه فقال له : الى أين يا سيّدي ومولاي في مثل هذا الوقت ؟

فقال : أريد أن أخرج من هذا البلد إلى مأمن ، حتى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصرونني .

فقال سعيد بن الأحنف : لا أدعك تذهب أبداً ، فقد جعلوا المدينة عليك سجناً مقفلاً ، وأحاطوا بك ، وملاؤا الأزقة والسكك بالجنود والحرس ، فأين ذهبت قبضوا عليك وأسروك .

فقال مسلم : فماذا ترى؟

قال : تعال معي حتى أدلّك على الطريق وأهديك الى مكان تأمن فيه .

فجاء به حتّى وقف على باب دار محمد بن كثير ، فنادى : يا محمد بن كثير أسرع واستقبل مسلماً .

فخرج محمد من الدار مسرعاً واستقبل مسلماً استقبالاً مبجّلاً ، وحمد الله على ما أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم ، وأدخله إلى بيته وجعله في موضع لا يدخله أحد غيره ، وهيّأ له ما يلزمه .

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأزقة والمحلات ويدخلون كلّ موضع

ومكان بحثاً عن مسلم بن عـقيل، فكأنهـم أحسّـوا بمـوضعه فأرسـلوا الى ابـن زيـاد يخـبرونه بـذلك، فـفرح ابـن زيـاد فـرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مـع فـوج من الجنود ويحاصروا دار محمد بـن كـثير، ويهجموا عليه مغافصة وعـلى حـين غـرّة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا أنـصار، فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا سيفاً ولا سفكوا دماً، فأرسلوا بهـما الى ابن زياد، وفتّشوا البيت فلم يجدوا عيناً ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلمّا سمع بذلك سليمان بن صرد الخـزاعـي والمختار بن أبي عـبيدة الثـقفي وورقـاء بـن عازب وجماعة آخرون من أشراف الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد لانقاذ محمد وابنه، والخـروج بـعد ذلك خـارج الكـوفة يـتلقون الحسـين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا مـعه أعـداءه، فـتعاقدوا

على ذلك وتـعاهدوا وأرسـلوا إلى قـبائلهم ليستعدّوا ويخرجوا غـداة الغـد لقـتال ابـن زياد.

فلمّا أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة الآف رجـل مـن جـند الشـام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد واستقوى بهم، فأرسل الى محمد بن كثير.

فلمّا حضر عنده سبّه وشتمه، وتكلّم معه كلاماً غليظاً.

فقال محمد: يا ابن زياد! اعـرف قـدرك، والزم حدّك، ولا تقل ما لا يليق بك، فـإني أعرف حسبك ونسـبك وأعـلم اسـتلحاق معاوية لزياد، وما فـعله في ذلك مـن فـتنة وفساد.

فبينا كان محمد يتكلّم ارتـفعت أصـوات طبول الحرب تصمّ الآذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل ـ أو ما يـقرب مـن ذلك ـ قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا

حوله صفوفاً.

فاشتدّ غضب ابن زياد وقال: يا بن كـثير أقسم بيزيد أن ليس عـلى كـلامي مـزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربن عنقك.

فقال له: أنت أحـقر مـن أن تمسّ شـعرة مني.

فسكت ابن زيـاد، وأطـرق بـرأسـه الى الأرض، وكتم غـضبه، وفكـر في عـواقب فعله، وإن كانت تلك الكلمات ثقيلة عـليه، وهو لا يطيق سماعها.

ثم رفع رأسه وقال: يا بن كثير! أيّهما أحبّ إليك أهلك وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟

فقال: يا بن زياد إنّ الله حافظ ابن عـقيل وناصره ومعينه، وأنا لي ثلاثون ألف سيف متعطّشة للدماء تحيط الآن بقصر الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يـعد يحـتمل الصـبر عليه، فأخذ دواة كانت أمـامه فـرمى بهـا محمد، فأصابته في جبهته فشـجّته، وسـال

الدم على وجهه.

فوثب محمد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابــن زيـاد، فأحـاط بـه أشراف! الكـوفة ومنعوه من الوصول اليه.

فلمّا رأى معقل! ذلك، وكان من قـبل قـد جرحه هاني كما ذكـرنا، حمـل عـلى محـمد فوثب عليه محمد كالليث الغضبان وضربـه بسيفه فقطّه نصفين.

فلمّا رأى ابن زياد إقدام محمد وشـجاعته تنحّى جـانباً ونـادى بـغلمانه: اقـتلوه ولا تبقوه. فأحاطوا به من كلّ جانب وتكاثروا عليه ومحمد يقاتلهم يميناً وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنّه عثر بوتد، فسقط إلى الأرض، فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أمّا ابن محمد فقد سلّ سيفاً وقـاتل وهـو يريد الوصول الى باب القصر، فقاتل قـتال الأبطال، فقتل عشرين حتّى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط

شهيداً.

وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجّبون ويتأهّبون لصبر الكوفيين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنّما يقاتل أهل الكوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسيهما وارموا بها إلى الناس ليرونهم، فيفتّ في عضد المقاتلين، ويخمد حماسهم، فقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعلى الشرف بين الناس، فعلموا أنّ محمداً وابنه قد قتلا.

ولكنهم استمروا في القتال حتّى انتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كلّ واحد إلى أهله، ولم يبق منهم ولا رجل واحد في الميدان.

فلمّا سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكمنه في دار محمد بن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على وجل من

أهل الكوفة وانقلابهم عليه! وفي نفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسلم بن عقيل غاية الجدّ، ولهذا فرق جنده وهم إثنا عشر ألفاً في شوارع الكوفة وأزقّتها ومناطقها، فلم يترك محلّة إلاّ وجعل فيها جماعة من عسكره، سيما في الليل، فأخذوا كلّ المعابر والسبل.

فلمّا خرج مسلم لقته جماعة من الحراس فسألوه: من أنت ؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بني فزارة!!! أريد الرجوع إلى قومي!!

فقالوا له: ارجع فليس هذا طريقك، فرجع مسلم ومشى في طريق آخر حتى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله بن زياد في اثني عشر ألفاً حراساً على تلك المحلّة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأزقة حتّى وصل إلى الكناسة، وكان هناك خادم الشامي في ألفي رجل، فمرّ

مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعبر إلى سوق الحدادين، فرآه رجل يقال له الحارث، فقال في نفسه: لا يكون هذا الفارس المتعجّل! الذي مرّ من هنا إلاّ مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدادين ويتّجه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنّهم في طلبه، فنزل عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فاتبع الفرسان الجواد حتّى لحقوه في محلّة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن

ويشدّدوا على المخارج والمداخل، وأمر مناديه فنادى في الكوفة: من دلنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير.

فطمع بذلك المتهافتين على الذهب والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترون ليلاً ونهاراً.

أمّا مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأزقة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أثّر فيه الجوع والعطش، حتّى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يميناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتّى غربت الشمس، وهبط الظلام فلفع الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمرّ من زقاق إلى زقاق حتّى عبر على دور بني جبلة، وهم جماعة من كندة، فالتفت

فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فنائه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها «طوعة»[١]....

***

كذا هي القصّة بتفاصيل فريدة رواها سبهر عن ابن الأعثم، غير أنّ الطبعات المتوفّرة لفتوح ابن الأعثم لا تفيد أيّ إشارة إلى هذا الخبر بحيث يحتمل المراجع أنّ حذفاً ما وقع في النسخ المطبوعة، وهو حسب المطبوع يروي الخبر مسترسلاً متواصلاً ضمن مجريات الأحداث التي يرويها كما نقلناها عنه في ثنايا البحث، ولسان الملك سبهر نفسه يذكر كتاب ابن أعثم ضمن الكتب التي راجعها فلم يجد القصّة فيها، فيقول: «نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه

١. ناسخ التواريخ / حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة السيّد علي أشرف: ١ / ٢٨٤.

الصفحات في كتاب بحار الأنوار... وكتاب أعثم الكوفي... وفي مئات الكتب والمجلّدات العربية والفارسية التي ألّفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ثم يستدرك ويقول: «ولمّا كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن إسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسّف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار..».

ومن يعرف منهج لسان الملك سبهر في الكتابة تكاد المسألة تكون واضحة عنده، فإنّي قد ترجمت له ـ بحمد الله ـ كتاب حياة الإمام الحسن عليه السلام وكتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام من الناسخ وهو أربعة أجزاء في مجلّدين، وتعقّبت منهجه وطريقة نقله من

المـصادر حيث يعتمد مصدراً مـعيّناً فـينقل عنه، ولكنّه ينسب ما ينقله عـنه للـمصدر الأصلي الذي يـنقل عـنه الكـتاب المـعتمد لديه .. فهو ينقل من البحار وينسب ما ينقله لمـصدر البـحار مـباشرة دون الإشـارة إلى البحار اعتماداً منه على العلّامة المجلسي وثقة به .. فتجد مصادره مـتنوّعة إذ يـروي عـن الأمـالي والخـصال وشرح نهـج البـلاغة وهكذا، وهو في الحـقيقة لم يـراجـع سـوى البحار وينقل ما فيه فقط ..

وربما كان هذا هو السبب في نسبة ما يرويه في هذه القصّة إلى ابن أعثم، حيث أنّه راجع «روضـة الشهـداء»[1] للـواعـظ حسـين الكـاشفي (ت ٩١٠) المـتفرّد بـنقلها بجـذافـيرها، وهـو يـرويها مـرسلة دون الإرجاع إلى مصدر أو إسناد، ويروي قبلها

١. روضة الشهداء للكاشفي ترجمة السيّد محمد شعاع فاخر: ٤٤٢.

خبراً عن ابن الأعثم ثم يقول: «قال الراوي» ويأخذ بسرد هذه القصّة، فظنّ لسان الملك سـپهر أنّ هـذه القـصّة وقـول هـذا الراوي استمرار لما رواه الكاشفي عـن ابـن الأعـثم فنسبه إليه ...

ويبدو أنّ ما في القصّة يغني عـن نـقدها، وقد ترى في ما مرّ من البحث من المناقشات ما يجري هنا أيضاً.

ونحن إنّما نقلناها هنا لنكون قد استوعبنا كلّ المشاهد التي ظـفرنا بهـا خـلال تـتبّعنا لمعركة القصر، فربمـا رسمت صورة للـقارئ يمكنه أن يستفيد منها.

نهاية الحصار[1]

كيف كان! فقد انتهى الحصار ليلاً، وتفرّق الجمع وولّى الدبر، وانحسر المدّ بعد حين ولم يدم طويلاً، إذ جرى كلّ ما جرى من تحشيد وتفريق في ساعات معدودة لا تزيد عن يوم أو بعض يوم.

ويبدو لنا من خلال التأمّل في النصوص التاريخية أنّ القتال الدائر في المسجد الأعظم أو في أطرافه إنما كان قتالاً يستهدف شخص المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بالقتل أو الأسر.

---

١. لا نقصد بالحصار محاصرة القصر للحرب وإنّما نقصد تجمع الناس في رحبة المسجد والقصر.

وبهذا يمكن الجمع بين المصادر التي نصّت على وقوع القتال «المحدود»، والمصادر التي نصّت على تفرّق الجمع دون أيّ قتال يذكر، والله العالم.

وهنا سنترك الجموع ونتابع ـ في الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى ـ من لا تساوي كلّ تلك الجموع شسع نعله، نعني المولى الغريب سفير الحسين مسلم بن عقيل عليهما السلام.

ولكن نشير هنا إلى موقف ابن زياد في المعركة...

موقف ابن زياد أثناء الحصار

إنّنا نعرف ابن زياد ـ كما عرّفه التاريخ ورسمه لنا ـ فهو جبان متناهٍ في الجبن.

قال عنه الحسن البصري:

وكان عبيد الله جباناً[١]..

وهذا لا يمنع أن يكون سفيهاً بطاشاً لا يتورّع عن دم، فهو جبان في حال ضعفه، وجبان إذا انفرد، لكنّه كان شرساً متوحّشاً سفّاكاً للدماء إذا تمكّن وأمن.

قال فيه الحسن البصري: أمّره معاوية غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً

١. سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٥٤٥.

شديداً[١]..

وسنراه بعد قليل يمتنع عن الخروج إلى المسجد، ويأمر بإنزال المشاعل لاستكشاف ما تحت الظلال!! هذا والحرس يحيطون به من كلّ مكان...

ويمكن أن نستعرض موقف ابن زياد وطريقة تعامله مع التجمّع أو الحصار أو المعركة، وذلك في عدّة مشاهد:

١. سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٥٤٥.

المشهد الأوّل:

موقفه قبل الحصار

كان ابن زياد قد تسلّق الأعواد في المسجد الأعظم محفوفاً بأفراده عن اليمين وعن الشمال يحملون الأعمدّة والسيوف المسلّلة، وكان يزبد ويرعد، إذ جاءت النظارة فحذّرته من قدوم الأسد الطالبي، فتزلّقت أقدامه عن الأعواد، وأسرع يسابق قدميه إلى جحره في قصر الخبال وأغلق الأبواب!

فرّ بمجرد أن أخبره النظارة أنّ ابن عقيل قد أقبل، ولم يسعه جبنه أن يتحقّق الخبر.

قال ابن أعثم في الفتوح:

وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتّى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدّة والسيوف المسلّلة، فقال: أمّا بعد يا أهل الكوفة...

قال: فما أتمّ عبيد الله بن زياد الخطبة حتّى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟

فقيل له: أيّها الأمير! الحذر! الحذر! هـذا مسلم بن عقيل قد أقبل!...

قال: فنزل عبيد الله بن زيـاد عـن المـنبر مسرعاً، وبـادر فـدخل القـصر، وأغـلق الأبواب[1]..

وروى الطبري في التاريخ وأبو الفـرج في المقاتل[2]:

عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجاج بـن علي الهمداني قال:

لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه، خـشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال...

فذهب لينزل، فما نزل حتّى دخلت النظارة

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، مقاتل الطالبيين: ١٠٣.

المســجد مــن قــبل التمـارين يشـتدّون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، قد جـاء ابـن عـقيل، فـدخل عـبيد الله القـصر مـسرعاً وأغلق بابه.

***

المفروض أنّ الدعي المدعو بالأمير! كـان يخطب في الناس، يهدّدهم ويتوعّدهم محاطاً بالحرس والسيوف تلمع عـن يمـينه وشماله، وقد دخل الكوفة ليلقي القبض على البـطل الهاشمي فيقتله أو ينفيه، فما باله انسلخ مـن تلك الأعواد بسرعة ودخل القصر وأغـلق عليه بابه؟!!

وما باله أدبـر وولى فـاراً خـائفاً وجـلاً مذعوراً إذ أقبل إليه المـولى؟! وهـو يـطلبه ومأمور بالقبض عليه؟!

وإنّه فرّ لخبر إقبال الليث العقيلي، فماذا كان يصنع لو واجـهه، ولو كـان مسـلم عليه السلام قـد وصل بالفعل إلى المسجد؟!

المشهد الثاني:
موقفه أثناء الحصار

دخل القصر وترك الناس الذين كان يخطب فيهم ويتوعّدهم وراءه! واختلط هنا الناس اختلاطاً حسب مجريات الأحداث، إذ كان أتباع ابن الأمة الفاجرة يستمعون إليه، فدخل عليهم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

دخل القصر وكان غاية همّه وهمّته أن يستمسك بالقصر، وأجبر بعض الناس على البقاء معه استيحاشاً، وكلّما أصرّوا عليه وقالوا له: إنّ الذين معه كثير، فليخرج بهم رفض وأبى، وخاف من الخروج.

والحال أنّ فارس الكوفة وبطلها انطلق إلى الميدان بنفسه يواجه جموع العساكر رغم خذلان الناصر وفرار الحاضر.

روى الشيخ المفيد في الإرشاد وغيره قال:

وجعل محمد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي يردّون الناس عن اللحوق بمسلم، ويخوّفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الروميين ودخل القوم معهم.

فقال له كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله؟!!

وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه...

المشهد الثالث:

بعد انتهاء الحصار مباشرة

سمعنا قبل قليل كيف يشجّعه أصحابه ليخرجوه من جحره، فيقولون له: «معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم» فيأبى الجبان دون أيّ خجل!

فهو يخاف من الخروج بالرغم من وجود الشرطة والحرس وكثير من وجوه أهل الكوفة وقادة العسكر وأفرادهم معه، وأبى أن يخرج إلّا أن يستكشف المسجد، وتدلّى شعل النيران خوفاً من الكمين.

روى الدينوري في الأخبار الطوال قال:

ثم إنّ ابن زياد لمّا فقد الأصوات ظنّ أنّ القوم دخلوا المسجد، فقال: انظروا، هل ترون في المسجد أحداً؟ وكان المسجد مع القصر.

فنظروا فلم يروا أحداً، وجعلوا يشعلون أطناب القصب، ثم يقذفون بها في رحبة المسجد ليضيء لهم، فتبيّنوا، فلم يروا أحداً...

فخرج فيمن كان معه، وجلس في المسجد[١]...

وروى الطبري والشيخ المفيد وغيرهما، واللفظ للأوّل:

ولمّا طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً!

فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلّهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!

ففرعوا بحابح المسجد[٢]، وجعلوا

١. الأخبار الطوال: ٢٣٨.

٢. في الإرشاد: «فنزعوا تخاتج المسجد».

يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان[1] تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلّى، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلّة التي فيها المنبر.

فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدّة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه[2]..

١. في الإرشاد: «وأطناب القصب».

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٦.

المشهد الرابع:

بعد أن اجتمع الناس عنده

بعد أن خرج إلى المسجد وأمر المنادي أن ينادي في الكوفة أن برئت الذمّة من العرفاء والشرطة والناس أجمعين!! إن لم يحضروا العتمة في المسجد.

فحضروا واجتمع إليه شياطينه من كلّ مكان، وهو مع ذلك يخاف من ظلّه، ويأبى أن يصلّي بالناس إلّا أن يوقف الحرس وراءه..

قال الطبري: ... فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة ...

ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صلّيت بالناس، أو يصلّي بهم غيرك، ودخلت أنت فصلّيت في القصر، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك!

فقال: مر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا

يقفون، ودر فيهم...[1]

والحال أنّ فارس آل عقيل صلّى وحده واثقاً مطمئناً والأعداء يحيطونه من كلّ مكان، كما تذكر الرواية.

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

عوامل الخذلان

ظاهرة انهيار المجتمع الكوفي وخذلان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، ثم تخاذلهم عن نصرة ريحانة النبي صلى الله عليه وآله تركت فجوة كبيرة صعب على الكتاب والمحلّلون ردمها واكتشاف أسبابها، لأنها تبدو للوهلة الأولى مفاجأة غير متوقّعة، وانقلاب سبق التصوّرات، وقفز على الزمن، واختزل الموقف.

وغالب ما نقرأ في تحليله التأكيد على ازدواجية الشخصية والشلل النفسي وحالات النفاق التي امتاز بها المجتمع الكوفي يومذاك، ولا ريب أنّ لهذه العوامل دور

فاعل ومؤثر جدّاً في رسم المشهد.

وربما جرّ الكلام للتأكيد عـلى أنّ المـولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد استعجل القيام تحت قـهر الضرورة أو خـرج بـالقوم قـبل أن يستكمل تربيتهم وتأديبهم وتعميق إيمانهم، وتصفية قلوبهم، وما شاكل من التحليلات التي تؤدّي بالمآل إلى التجاسر عـلى قـدس المولى وتترك خدوشاً في ساحته المطهّرة.

ويمكـن أن نـقرأ المـوقف قـراءة جـديدة نحاول من خلالها بيان أن ما جرى لم يكـن مفاجأة، وإنما كان نتيجة واضحة ومعروفة، وأمراً لا يعد حادثاً خـلقته ظـروف القـهر والاسـتبداد والخـوف والرهـبة وتـقلّبات الأحداث وحدها فقط.

والفرق بين أن يكون الإنسان عازماً على الحقّ ومنقلباً عـليه شـاسع لا تسـعه تـلك الفترة الزمنية الوجـيزة التي ربمـا حـصرت بالساعات.

وفرق أيضاً بين أن يكون الإنسان قاصداً للـحقّ ثم يـنحرف عـنه، وبـين أن يكـون منحرفاً لا يقصد الحقّ بـتاتاً، وإنمـا يـدخل دائرته لتحقيق باطله والوصول إلى مآربه.

ولعلّنا سوف نرى من خـلال البـحث أنّ بعض الشرائح لم تكـن تـعاني مـن الشـلل النفسي، ولا مـن ضـعف الإرادة، بـل هـي مصرّة ثابتة على الباطل، وقاصدة عامدّة قد بيّتت عزمها على سلوك طريق الحقّ لتـصل إلى باطلها.

فلا مفاجأة في انتقالها من اليمين إلى الشمال إذا عرفنا أنها كانت منذ البدايـة مـن تـلك الزمرة.

وربما كانت بـعض الشرائـح قـد تأثّـرت بالظروف ومجريات الأحداث.

ولكـنّنا سـنرى أنّ هـذه الظـروف التي يسمّونها «الظـروف المـؤثرة» لم تك وليـدة الساعة ـ أي ساعة التخاذل ـ بل كانت لهـا

خلفيات وسوابق وامتدادات[١].

وربما كانت بعض الظروف قسرية لم يعبأ بها البعض واضطر للاستسلام لها «من قبيل هـبوط الظـلام»، لعـدم وجـود مـندوحة أخرى، بيد أنّه أصيب فيما بـعد بـالأمراض التي ابتلي بها المجتمع، كما ذكرها المحلّلون من قـبيل الشـلل النـفسي وضـعف الإرادة وغيرها...

أو أنّه رجّح أن ينحاز إلى جبهة الحـقّ في ركب الفتح الحسيني.

ولكي نتعرّف إلى تفاصيل الحدث يـنبغي أن نعرف أوّلاً حقيقة البيعة التي بايعوا بها، إذ يتبيّن أنّ المشكلة كـانت كـامنة فـيهم مـنذ اللحظة الأولى، ثم دوافع البيعة، والمثبّطات.

١. انظر: ما سبق بيانه «متى بدأ التخذيل؟».

أوّلاً:

حقيقة البيـعة

لا نريد هنا الدخول في التـفاصيل وذكـر الشواهد والأدلة والأقـاويل، وإنمـا نكـتفي بالإشارة السريـعة، وربمـا تجـد في فـقرات دوافع البيعة بعض ما يشرح ما نقصده بهذا العنوان.

وخلاصة القـول في حـقيقة بـيعة الذيـن غدروا المولى مسلم بن عـقيل عليهما السلام وتـركوه وانصرفوا إلى جهنم وبئس المصير:

أنّهـم لم يـبايعوا بـيعة عـقائدية للإمـام المعصوم عليه السلام اعتقاداً منهم بإمامته، وأنّه إمام مفترض الطاعة صدّيق، أمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وأنّه منصوب من قبل الله منصوص على إمامته.

فإنّ أكثر من بايعوا ـ كما مرّ معنا في البحث سابقاً ـ كانوا من أتباع العـجل والسـامري

وغيرهم من الرعاع.

وهؤلاء لم يعرفوا الإمامة، ولا الإمام، ولذا بيّن لهم سيّد الشهداء عليه السلام باقتضاب فصيح من هو الإمام كما سنسمع بعد قليل.

فهم يبايعون البيعة التي يعرفونها هم باعتبارهم عسكر وجنود يعيشون في ثكنة تلزمهم بإظهار الطاعة لمن يؤمّر عليهم، كأيّ عسكري يعيش حالة الطاعة المطلقة للآمر، وبالخصوص إذا كان يوفّر لهم الغزو والغنائم التي اعتادوا عليها في حياة البداوة من قبل.

وهم قد بايعوا في فترات متقاربة سليل الأنبياء الإمام الحسين عليه السلام، ثم بايعوا ابن الأمة الفاجرة، ثم بايعوا المختار، ثم بايعوا مصعب بن الزبير، وهكذا دواليك...

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالمومسة تريد كلّ يوم بعلاً[1].

١. مقتل الحسين عليه السلام للسيّد المقرّم: ١٧٩.

ثانياً:

دوافع البيعة

لا يشكّ من يطالع التاريخ أنّ المجتمع الكوفي كان مزيجاً غير متجانس، وخليطاً عجيباً ينطوي على شرائح وطبقات وطوائف وجماعات اجتماعية تنتشر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في الديانات والمذاهب والطوائف والانفلات والاعتدال والتطرّف... وتتشكّل الأكثرية الغالبة فيه من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام من قبيل الخوارج وأتباع العجل والسامري والجمل وصاحبته.

وقد أشبع الكتّاب والمحقّقون والمحلّلون هذه النقطة بحثاً وتنقيباً ولفّاً ونشراً...

بيد أنّنا نريد أن نوظّف هذه الظاهرة لاكتشاف الدوافع التي حركّت هذه المجموعة بكلّ أطيافها ومكوناتها وتشعباتها

وتشابكاتها وتقاطعاتها باتجاه سفينة النجاة ورحمة الله الواسعة عليه‌السلام، وجعلتهم يـطوفون بشكل يثير الاستغراب والتعجّب حول ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليهما‌السلام.

والمـفروض أن يكـون هـذا الانسـجام الظاهري المزيّف خارجاً عن المألوف، وهذا الالتفاف حول سيّد شباب أهـل الجـنّة عليه‌السلام من قبل سكان طبقات جهنم والنيران غريباً يثير العجب والاستغراب.

قال الإمام الحسن عليه‌السلام مجـيباً سـفيان بـن أبي ليلى الخارجي حينما دخل عـليه وتكـلّم بمحضر الإمام عليه‌السلام بكـلمات تـنمّ عـن كـفره ونفاقه والعفن الذي طفح من قلبه، وأبـدى جـفاءه وجـهله وعـناده ونـصبه بحـجّة التحريض على قتال معاوية ورفض الصلح، فأجابه الإمام عليه‌السلام قائلاً:

ويحك أيّها الخارجي، لا تعنّفني فإنّ الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أبي وطـعنكم

إيّاي وانتهابكم متاعي...

ويحكم أيّهـا الخـارجـي! إني رأيت أهـل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اغترّ بهم إلّا من ذلّ ليس أحد منهم يوافق رأي الآخـر، ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة وشدائد مرّة، وهي أسرع البلاد خراباً وأهلها هم الذيـن فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً[1]...

فهم قوم لا يوثق بهم، ولا يعتمد عليهم، وليس لهم موقف يحسب عليه، وقد فـرّقوا دينهم وكانوا شيعاً.

***

ولابد أن يكون لكلّ فرد أو جماعة دوافع تحركه نحو الإقدام عـلى عـمل مـا، واتخـاذ موقف مهما كان بسـيطاً، فكـيف بمـوقف له علاقة مباشرة بالدنيا والآخرة.

والبيعة ـ بأيّ مـعنى كـانت ـ أمـر غـير

---

١. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٨١.

عادي ولا بسيط، والناس أفراد وجماعات يتعاملون معها قديماً وحديثاً كعقد مقدّس وموقف له تبعاته وآثاره وامتداداته.

فإذا نظرنا في دوافع البيعة التي أعلنها الكوفيون لسيّد الشهداء الحسين عليه السلام مباشرة أو على يدي سفيره الشهيد مسلم بن قيل عليهما السلام. نجد أنها تختلف من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة..

وعلى أساس هذه الدوافع سوف ندرس المواقف، لنرى أنّ بعض المبايعين نكثوا البيعة على علم وسبق إصرار، أو أنهم نكثوها وفق المنهج المقرّر عندهم، أي أنهم انطلقوا إلى البيعة بتأثير دافع أو دوافع معينة تحقّقت لهم عند أعداء الحسين عليه السلام فانحرفوا لها ومالوا معها...

وسوف نذكر الدوافع ونرتّبها تحت أرقام لا نقصد بذلك الترتيب حسب الأهمية، ولا نريد أن نستقصي، ولا أن نطيل في ذكر

الأدلة والشواهد، وإنما نجمل إجمالاً، ونقدّم نموذجاً يكفي لبيان المقصود:

الدافع الأوّل: الانتهازيون وطلّاب العيش الرغيد

وهم أكثرية بين الرؤوس وكبار الشخصيات وغيرهم من الديدان التي كانت تنتشر في المجتمع الكوفي يومئذٍ، وهم إنّما كاتبوا الحسين عليه السلام طمعاً في الدنيا وحبّاً للدعة، وانتهازاً للفرص، وركوباً للموجة التي كانوا يستشرفون منها جني قطاف العيش الرغيد الذي استروحوه يوم ماجت الكوفة بذكر الحسين عليه السلام، واللجوء إليه فراراً من الحكم الأموي الذي اهتزّت أركانه بهلاك معاوية.

ويمكن استكشاف ذلك من نصّ الكتاب الذي أمضاه جماعة الانتهازيين من أمثال شبث بن ربعي وحجار بن أبجر وعزرة بن

قيس وأمثالهم.

روي أنّه كتب شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعزرة ابن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن عمير التميمي:

أمّا بعد، فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، وطمّت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند، والسلام عليك.

فكلام هؤلاء الأوغاد يتركّز على جنّات خضراء، وثمار يانعة، وآبار طامية، وزروع باسقة، تنتظر القطاف، وجني الثمار، وهم في رفاهية من العيش ودعة من الحياة، فإن شاء الحسين عليه السلام فليقدم لأنّ الناس ينتظرونه.. الناس ينتظرونه، أمّا هم أنفسهم فإنّهم ينتظرون القطاف، فإذا جاء كانوا هم معه، وقد قدّموا لذلك مع من قدّم، وسجّلوا موقفاً مع من سجّل، وإن لم يأتي الحسين عليه السلام فليأتي غيره، ولا خطر عليهم في ظلّ الغير

لأنّهم منه.

ثم إنّهم قالوا: إذا شئت أقدم على جند لك مجندة، فكأنّهم يريدون إخباره عليه السلام بما يجري من بيعة الناس له، ولا يريدون أن يعلنوا له عن استعداد البتة، فلا يريدونه أن يقدم عليهم إماماً وأميراً يحاربون تحت لوائه، فهم يقولون: أقدم على جند لك، ولا يقولون: أقدم علينا فإنّنا جند لك!

وهكذا هم .أصحاب هذا الفريق.. متقلّبون، متزلّفون، انتهازيون، يميلون مع كلّ ريح ترحل بهم الى مآربهم وأطماعهم، فإذا كانت الدنيا مع الأدعياء ركعوا لهم، وتزلّفوا إليهم، وتخندقوا في خنادقهم.

الدافع الثاني: طلّاب الحقّ

ثمة فريق آخر ـ وهم الأقلّية القليلة ـ كتب يخاطب الإمام الحسين عليه السلام معتقداً بإمامته وقيادته، ومتذمّراً من الحكم

الأمــوي المــنحرف، وهــارباً مـن ظـلم المــتمرّدين عــلى الله وعـلى رسـوله صلى الله عليه وآله، ومـلتجأ إلى العـدل المـطلق، ومـعلناً عـن استعداده للموت بين يدي الحـقّ، ونـلحظ ذلك في نموذج آخر من الكتب التي وصلت الى الحسين عليه السلام من شيعته:

روى الطبري وغيره عن محمد بـن بـشر الهمداني قال:

اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك مـعاوية، فـحمدنا الله عـليه، فقال لنا سليمان بن صرد:

إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكـم ناصروه ومجـاهدو عدوّه فاكتبوا إليـه، وإن خفتم الوهن والفشل، فلا تغرّوا الرجل مـن نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنـفسنا

دونه.

قال: فاكتبوا إليه. فكتبوا إليه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، لحسين بن عـلي من سليمان بن صرد، والمسـيب بـن نجـبة، ورفاعة ابن شداد، وحـبيب بـن مـظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسـلمين مـن أهـل الكوفة:

سلام عليك، فإنّا نحـمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد:

فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمـر عـليها بـغير رضى منها، ثم قتل خـيارها، واسـتبقى شرارهـا، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا إمـام، فأقـبل لعـلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشـير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمـعة، ولا

نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.

مقارنة بين الفريقين

قارن بين الكتابين تعرف الفريقين:

فريق يمدّ عينيه الى زهرة الحياة الدنيا، والجنان المخضرّة، والثمار اليانعة، والمياه الجارية.

وفريق يتضوّر من الكفر والظلم والجور، ويتوق إلى الإيمان والعدل والشهادة والحور...

الفريق الأوّل لا يعاني من مضايقات، ولا مطاردات في ظلّ الحكم القائم، ويرى ازدهار مسيرة العمران الدنيوي، وكلّ ما يراه هو نعيم وحدائق ذات بهجة، ونخيل باسقات حان اقتطافها، وأكل دائم يخشون انقطاعه.

والفريق الآخر يشكو العدوّ الجبار العنيد الذي تسلّط على الأمّة فابتزها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها...

فريق لا يذكر السلطان الحاكم بسوء. وفريق يذكره بمساويء أفعاله وتجبّره وطغيانه، ويدعو عليه بالانتقام واللعنة فيقول: فبعداً له كما بعدت ثمود.

فريق لا يشعر بفراغ الإمامة لأنّه لا يميّز بين إمامة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وملك أولاد البغايا والأدعياء والطلقاء.

وفريق لا يقرّ للأوغاد بالطاعة، ويستغيث ويتوسّل بالمعصوم قائلاً: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ.

فريق يتكلّم بضمير الغائب، وفريق ينطق

بضمير المتكلّم..

فريق يتحدّث عن استعداد الغير، وفريق يعد النصرة بالنفس..

فريق يعد عن جند لا يـعدّ نـفسه مـنهم، وفريق يعد المبادرة..

فريق يكتب بالكناية والتلويح، ويستعمل العبارات التي لا تدخل السرور عـلى قـلب الحسين عليه السلام ولا تحزن أعداءه، تماماً كما يعبّر القــرآن الكــريم: ﴿لَا إِلى هـؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ﴾.

ولو وقع الكتاب بيد أعـداء الحسـين عليه السلام فإنّ فيه مـتّسعاً، ومجـال اعـتذار، ومـدحاً مبطناً يكشف بعد شرح ما بين السطور من كلماتهم، وهم لا يذكرون هلاك الطاغية، ولم يبدوا فرحاً بضعف الدولة الحاكمة في الشام، ولم يتعرّضوا للوالي الممثّل له في الكوفة.

وفريق يـصرّح بـالبراءة مـن أعـداء الله وأعداء الحسين عليه السلام ويحمد الله عـلى هـلاك

الطاغية، ويعلن استعداده لمـواجـهة الوالي الممثّل له في الكوفة.

«والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسـنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخـرجـناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله».

ولا يخــاف هــؤلاء في الله لومــة لائم، ويعرضوا الدنـيا خـراباً تـنتظر يـد الرأفـة الحسينية لتمسح عـليها، وتـنفخ فـيها روح الحياة والعمران.

الدافع الثالث: الأكثرية التائهة

هذا الفريق كان يمثل الشريحة الأكـبر في المجتمع الكوفي يومذاك، لأنّ الشـيعة كـانت أقلّية، وغالبية المجـتمع الذين شكّلوا سـواد الجيش الأموي الذي حارب سـيّد شـباب أهل الجنّة عليه السلام، كانوا ممّن تربى على مـوائـد السلطان، وحلت دنياهم الهزيلة في أعينهم،

واتبعوا العجل والسامري، واشربوا حبّهم في قلوبهم، وذاقوا وبال ما قدّمته أيديهم، فهم في زيغهم وضلالهم يتردّدون، وقد أحسّوا بضعف أركان مساكن الظالمين التي سكنوها، وشعروا بفراغ القائد والإمام، وماجت الكوفة يومها بأهلها، وارتفعت الصرخات، وعلا الضجيج، وشقّ أجواء المدينة التائهة الحائرة يهتف بالإمام، فهتفوا مع من هتف، وهم لا يفرّقون بين أن يكون إمامهم الحسين عليه السلام سليل الإنبياء وسيّد شباب أهل الجنّة، أو يزيد بن معاوية البغي ابن البغي، ولكنّهم يطلبون الإمام ويريدون الراية التي تجمعهم وتوحّد كلمتهم، على هدى الله ضمن المقاسات المرسومة في قلوبهم.

فهم يريدون الإمام ويهتفون بذلك لا إعتقاداً بإمامة سيّد الشهداء عليه السلام المنصوصة من قبل الله التي نزل بها الروح الأمين من

عند ربّ العالمين على لسان سيّد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله.

ولهذا شرح لهم ريحانة النبي صلى الله عليه وآله معنى الإمام باختصار في جواب رسائلهم، ليكونوا على علم من دعوتهم له، فالإمام كما يرسمه الحسين عليه السلام:

فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله[1].

فهؤلاء كما يتّضح من دينهم وعقيدتهم وتربيتهم ومواقفهم ليسوا مع الإمام الحسين عليه السلام، ولكنّهم اضطرّوا له بانتظار الإمام الذي يعتقدون به، ويرضونه!

١. انظر للمزيد: كتاب «مسلم بن عوسجة أوّل شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام» للمؤلّف.

الدافع الرابع: طلّاب العافية والدعة

وهم الذين كانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه، حسب تقييم بعض الشخصيات من قبيل الفرزدق وغيره، فهم يريدون أن يخادعوا الله وهو خادعهم، وهم يخدعون أنفسهم وهم يشعرون، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، فيقنعوا أنفسهم أنهم قاموا بواجبهم مع ريحانة النبي صلى الله عليه وآله فبايعوه، ووعدوه النصر، ما دام في قدومه عليهم ظفر وعافية، أمّا إذا لزم من قدومه التعرّض للخطر، فهو خروج عن بغيتهم ومخالفة لسنّتهم، فترى الدين لعق ـ لغو ـ على ألسنتهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون...

وهؤلاء لا يعدّون في الشيعة، والشيعة والتشيّع منهم براء، ولم نسمع في التاريخ ولا في حديث أهل البيت عليهم السلام ـ حسب فحصنا وعلمنا ـ عذراً لهؤلاء ولا تصويباً لفعلهم، ولا حشراً لهم في شيعتهم.

وهؤلاء بايعوا طلباً للراحة والدعة، فلمّا لم يجدوها بالمعنى الذي تهواه نفوسهم في صفّ الأنبياء والأوصياء وحامل رايتهم سيّد الشهداء عليه السلام انحازوا إلى حيث بغيتهم كما يزعمون!

الدافع الخامس: البعد القبلي

كانت القبيلة والعشيرة والعلاقات النسبية وامتداد الدم من المؤثرات، بل من الأسباب القويّة جدّاً في البناء العقلي والاجتماعي والتخندق والتموضع يومذاك.

وربما كانت القبيلة تفعل فعلها في تحديد مواقف الأفراد، وتزجّهم في الحروب، أو معاهدات الصلح، وتجعلهم في صفوف من المـــولاة والبراءة للأفـراد والجـماعات والقبائل، فيرضخون لكبرائهم تعصّباً جاهلياً ممقوتاً لا يحكمه دين ولا يهذبه خلق.

وكم رأينا وسمعنا في التاريخ جماعات تسارع إلى الجحيم انجراراً وراء رأس ممسوخ من رؤوس القبيلة، وربما كان أقرب مثال يشهد لنا ما مرّ معنا من موقف مذحج حينما رضخت ذليلة خاسئة لعمرو بن الحجاج الزبيدي، وانصرفت بكلمة واحدة قالها الخائن:

قال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حيّاً فما يعجلكم الفتنة؟ انصرفوا. فانصرفوا[1].

الدافع السادس: العداوة مع الأمويين

عموماً ويزيد خصوصاً وبغض أهل البيتعليهم السلام مثل الخوارج، فإنهم يعادون الأمويين ويبغضون أهل البيتعليهم السلام وينصبون لهم العداء، وليس لهم رأس ولا مدد ينهض بهم في ميادين الحرب والقتال،

١. الأخبار الطوال: ٢٣٨.

ولكنّهم همج عتاة، وفتّاكين طغاة، أسفك الناس دماءاً، وأجرأهم على الموت في الباطل.

يبحثون عن أيّ راية ينضوون تحتها لقتال العلويين أو الأمويين، فإذا قامت راية للعلويين لقتال الأمويين قاموا معها، وإذا نعق ناعق الأمويين لحرب العلويين تبعوا الناعق، حالهم حال مروان في حرب الجمل إذ كان يرمي سهامه إلى جهة العسكرين معاً ويقول إنّه ظفر من أيّ العسكرين قتل..

المهم عندهم أن ينتقموا ممّن يضمرون له العداوة حقّاً كانت أو باطلاً.

فلمّا قام داعي الله يدعوهم لقتال أعداء الله اغتنموها فرصة، فأعلنوا البيعة لعلّهم يبلغون البغية في قتال عدوّهم، ولا يهمّهم أمر الحسينعليه السلام من قريب ولا من بعيد.

حتّى إذا دارت الأيام ورأوا الأحداث العسكرية والسياسية الظاهرية تسري

لصالح الأمويين، وقد لاحت بوادر ذلك منذ دخول الدعي ابن الدعي ابن الأمّة الفاجرة إلى الكوفة، فاغتنموها فرصة لا بديل لها، بل لا يحلمون بها أبداً أن تعينهم الظروف على أبناء واترهم ومبيدهم وباتر رؤوس كبرائهم العفنة قاتل المارقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقتال الأمويين ممكن وظلمهم كافٍ لرفع الرايات ضدّهم في كلّ حين، أمّا آل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فليس كذلك.

وهذا النمط من الجرذان الوحشية يمكنها أن تتنقل من معسكر إلى معسكر بلحظات، بل إنها لا ترتاح ولا تستطيع أن تعيش في الجنان وتراها تسرع كلحظ البصر إلى المستنقعات والقذر...

قال الإمام الحسن عليه السلام مجيباً عبد الله بن الزبير يوم اعترض على صلح الإمام عليه السلام مع معاوية في كلام طويل:

... نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا المشرق الثاقب والكرم الغالب، ثم تزعم إني سلّمت الأمر لمعاوية فكيف يكون؟ ويحك كذلك! وأنا ابن أشجع العرب ولدتني فاطمة سيّدة النساء وخيرة الأمهات لم أفعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقاً، ولكنّه بايعني مثلك وهو يطلب بترة ويداجيني المودّة، فلم أثق بنصرته، لأنّكم بيت غدر وأهل إحن ووتر[1]...

الدافع السابع: حبّ الدنيا

قال الإمام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام: الناس عبيد الدنيا والدين لعق «لغو» على ألسنتهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون..

وهؤلاء الناس عبيد الدنيا، والعبد لا حول له ولا طول ولا إرادة مقابل إرادة

---

١. المحاسن والأضداد للجاحظ: ١٣٦، حياة الإمام الحسن عليه السلام: ٢ / ٢٧٧.

سيّده، إمّا الدين فهو عندهم شيء يـلعقونه بألسنتهم، يتذوّقونه ما دام فـيه طـعم ولذة تغيّر ذائقتهم وتغذي شهواتهـم، فـإذا جـدّ الجدّ، وأزفة الآزفة، قلّ الديّانون..

والعبد يتبع مولاه، ويكـون حـيثما كـان، فحسب هؤلاء العبيد ذوي الأثمان الرخيصة والأسعار الزهيدة أنّ سيّدهم ـ الدنيا ـ مـع سيّد الشهداءعليه السلام حيث أعـلن قـيامه، وأنّ ريـــاح التـغيير سـتقتلع أغـصان الشـجرة المـــلعونة في نـفس ذلك اليـوم، وإن بـقيت الجذور، فمالوا مع سيّدهم، فـلمّا رأوا الدنـيا المنتنة التي يذوبون فيها ويستسيغونها عـند ابن الأمة الفـاجرة رحـلوا إلى حـيث أقـام سيّدهم.

الحصيلة

تبيّن أنّ جملة الدواعي والدوافع التي بايع بناءاً عليها هؤلاء القوم كانت عـائمة تـتنقل

حيث يدفعها الموج من جهة إلى جهة، ومن جبهة إلى جبهة.

وأنّهم كانوا ينتمون إلى قـاعدة ويـطفون على سطح يتحرّكون بـتحرّكـه، ويـتنقلون بتنقل تـلك القـاعدة، فـالانتهازي يـطلب العيش الرغيد ولا يبال أين كان ومـع مـن كان.

والأكـثرية التـائهة قـد نـبت أصـلها في السقيفة، فإذا مالت الريح بعيداً عنها سرعان ما تعود إلى الأصل، وهي تثوب مع الجـمع الكبير، وتسـير بـالعقل الجـمعي الحـقير، وتـنحدر إلى القـاع، وهـي لا تـقرّ لغـصن الرسالة وشجرة النبوة ومعدن الطهارة إلّا إذا فقدت من يحميها من أسـيادها، فـإذا قـام ناعقها تبعته تبعية الفرع للأصل.

وطلّاب العافية والدعة، يسافرون حيث تتحقّق بغيتهم، وتتوفّر لهـم وسـائل الدعـة والراحـــة التي تمكّـــنهم مـن الاسـترخـاء

والتبذّل، ويتقلّبون على وسائد النوم الهاني، فإذا قامت الحرب كان الوقوف عـلى التـلّ أسلم لها، توزّع العواطف وتنثر القلوب من داخل الصدور عـلى هـذا الفـريق أو ذاك، وليس للحقّ عند هؤلاء القوم منزل ولا مقام ولا قيمة إلّا إذا وفّر لها الدعة والراحـة التي جعلوها هدفاً يتوقون إليه، وأمنية يحلمون بها.

أمّا المسيّرون بأمـر زعـيم القـوم ورأس القبيلة، فلا يمكن أن يحزر لهم موقف، ويبنى عـــلى اجـتماعهم وكـلمتهم، تـقيمهم كـلمة وتقعدهم كلمة، وتدفعهم صرخـة وتمـنعهم زجـرة، وتجـدهم يـتجمهرون تحت أقـدام الزعيم، وقد رأينا الزعيم داخلاً في الفـئات الأخـرى سـوى طـلّاب الحـقّ، فـهو إمـا انتهازي، أو طالب دعة، أو عبد للدنيا وما شاكل، فلمّا وجد ما يحبّ تحت أقـدام ابـن الأمة الفاجرة سارع إلى هناك يخبّ ويحـــبو

بمن تحت قدميه.

والخوارج وأمثالهم لا دين لهم ولا اعتقاد، ولا يحكمهم ذوق ولا آداب، يبتغون الفتنة، إين وجودوها ألقحوها، وقد التحقوا بالمولى مسلم بن عـقيل عليه السلام طـمعاً في قـتال أبـناء البغايا، فلمّا رأوا ابن الأمة الفاجرة قد رفـع راياته وجدوها فرصة لا يجود بها الدهر إلّا قليلاً، فـالتحقوا بـه مـتوثّبين عـلى ذرّيّـة الرسول صلى الله عليه وآله وأبناء فاطمة البتول عليها السلام ، وقـد دلعوا ألسنتهم ليلغوا في الدماء الزاكية، أمّـا الأمويون فإنّهم سيجدون من يجمعهم عـلى محاربتهم في كلّ حين.

وعبيد الدنيا قد اتخذوها إلهاً يحـبّونها، لا يفكرون في فـراقـها أبـداً، وقـد تكشّـفت الأمور عن الشهادة وفراق الدنيا الدنية مـع سيّد الشهداء عليه السلام ، وشمّوا رائـحة بـقيّة مـن عيش وبيل مع أبـناء الدنـيا، فـانساقوا إلى صفّ إلههم ومعبودهم.

وهذه الأصناف المنقلبة كلّها كان انقلابها طبيعياً متوقّعاً، بل منتظراً في أيّ لحظة، لأنّ تحرّكها كان بداعٍ ودافع وسبب مبتنٍ على قواعد لهم مرسومة، لا يخفونها ولا يتنصّلون عنها، ولم يكن انقلابهم اعتباطاً، وقراراً آنياً يخالف المقرّرات وموقفاً تغيّر نتيجة تغيّر العقائد والفهوم والمبادئ والمنطلقات.

فهم أصحاب سوابق ومتبنّيات ثابتة من قبل، ولم يؤمنوا بالحسين (عليه السلام) طرفة عين أبداً لا قبل البيعة ولا بعد الخذلان.

وهذا ما تؤكّده كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلمات الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، وكلمات الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه.

وهذه الحقيقة لم تكن بعيدة عن العالم العارف الخبير بالمجتمع الكوفة ثقة الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل (عليهما السلام).

أمّا طلّاب الحقّ، وذووا المنابت الطيبة،

والأصول الطاهرة، والنطف الزكية، فإنّهم كانوا مع الحقّ يتبعونه ويثبتون عليه ومعه، أقدامهم ثابتة، ومواقفهم راسخة، تزول الجبال وهم لا تزلزلهم القواصف، ولا تستفلّ منهم المعاول، ولا يزيدهم فراق الدنيا إلّا شوقاً للقاء المحبوب، يرون الحقّ في إمامهم، لا فرق عندهم بين أن يكونوا في الدنيا أو غيرها.

فنعيمهم الحسين (عليه السلام)..

ودنياهم الحسين (عليه السلام)..

ودينهم الحسين (عليه السلام)..

وأهلهم وعشيرتهم الحسين (عليه السلام)..

وجنّتهم ونعيمهم، وروحهم وريحانهم الحسين (عليه السلام).

وقد رأوا في الذات المسلمية المقدّسة سيماء الحسين (عليه السلام)، فثبتوا...

ثالثاً:

الشيعة أقلّية في المجتمع الكوفي

مرّ الكلام مفصلاً في بيان هذه الحقيقة، فلا نعيد، والذي نريد الإشارة إليه هـنا هـو أنّ الشيعة الأطائب الذيـن نـرى في مـواقـفهم الشموخ، وفي أقدامـهم الصـدق والثـبات، أقلّية في ذلك الكمّ الهائل الهـائج يـومذاك، فإنّهـم ثبتوا، ولكنّه كان ثبات الأقـلّ، أمّـا الأكثر فلا ينتظر منهم الثبات إلّا على المصالح والدنيا المعبودة.

رابعاً:

الانطلاق المبكّر لحملات التخذيل والتهديد

كان لانطلاق حملات التخذيل المبكّر منذ عهد السقيفة وقبلها وبـعدها، وقـوّة مـواد التخذيل ووسـائله التي وظّـفها ابـن الأمـة الفاجرة دور فاعل في تثبيط العزائم الخائرة،

وتفتيت المواقف المتزلزلة، وهزيمة النـفوس الخاوية التائهة.

خامساً:

وجود جيش بعدّة وعدد عند الأعداء

مرّ معنا أنّ ابن زياد كان في عدّة وعـدد، وكان له جيش مـنظّم وشرطـة وحـرس، وأعـداد غـفيرة مـن الأوبـاش والغـوغاء والرعاع، وهذه الصورة تختلف تماماً عمّا أراد المؤرّخ رسمها في ظاهر عبارته، وقد فـصّلنا الكلام في ذلك فيما مضى من هذه الدراسة.

ومن الطبيعي أن يكون تخويف صـاحب هذه العساكر مؤثراً، ويكون الناس ـ ونعني بهـم الهـمج الرعـاع لا رجـال العـقيدة والثبات ـ يخافون هذه العساكـر الشرسـة الوحشية.

سادساً:

هبوط الظلام ودخول الليل

كانت الحروب يومها تعتمد على الرؤية المباشرة، وتقوم على المصاولة والاستهداف المباشر والمواجهة، ولهذا كانت الحروب لا تقوم ساقها إلّا في ضوء النهار، فإذا جنّ الليل انسحبت الصفوف، وتأجل القتال إلى صباح اليوم التالي.

ولم يكن القتال في الليل معهوداً إلّا نادراً، بل أندر من النادر، ولو قد قاتل القوم ليلاً صار ذاك القتال تاريخاً وحديثاً تجول به الركبان، كما حدث في ليلة الهرير.

وقد اتفقت المصادر على أنّ التجمع قد امتدّ إلى الليل.

وأفاد نصّ ابن الأثير أنّ الأعداء كانوا يناورون ويجرّون الحدث إلى الليل ليتفرّق الناس، قال:

وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا..

فلمّا هبط الليل، واكتسح الظلام الساحات حان الوقت لتفرّق الجموع.

ولا يخفى أنّ الجموع كانت تتحرّك في ثكنتها، بمعنى أنّ كلّ فرد منهم إذا أراد أن يقضي ليلته تلك وينتظر الصباح ليعود ـ على فرض وجود حرب ـ عليه أن يرجع إلى مكان يكنّه، ويطوي فيه ليله، ولمّا كان التحرّك في الكوفة نفسها، عاد كلّ رجل منهم إلى بيته وأهل وعشيرته.

المهمّ كان هبوط الظلام عاملاً طبيعياً ساعد على تفرّق الجمع.

ولا يغيب عنّا أنّ هذا العامل الطبيعي لا يكون عذراً للغدر، والتخلّي عن البيعة والأخلاق والاستسلام للخذلان.

غير أنّه كان سبباً لانسحاب الجموع من الساحة باعتبارها جموع محـاربة! أمّا مطلق التجمع فإنّه كان بالإمكان حصوله، بل قـد حصل، كما في النصوص حيث أمر ابن زياد أن يجتمع الناس بعد العتمة فاجتموا!

سابعاً:

وجود العساكر داخل المدينة

كان لوجـود الأسر والعـوائـل والأولاد والأزواج والآبــاء والأمــهات والأمـلاك والدور وزهرة الحياة الدنـيا دور فـاعل في التخذيل، وتـثبيط العـزائم، وجـرّ الأفـراد بعيداً عن الساحة والرحبة!

مواد البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احـتوت عـلى نصوص تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحـاظات شـتّى مختلفة.

وثمّة نصوص أخرى استفدنا مـنها مـرّة واحدة، بحكم الحاجة إليها.

وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف مـا فـاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فـلم نثبته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من

مواضع البحث أن نرجع إلى المـصدر، فـإنّه سيجده هنا إن شاء الله.

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠):

خ ١ / ٤٦١:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القـصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فـغربت الشـمس واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد.

وجاء الليل فهرب!!! مسلم حـتّى دخـل على امـرأة مـن كـندة يـقال لهـا: طـوعة. فاستجار بها...

الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦):

٢ / ٨:

قال: فبعث الحسين بن عـلي مسـلم بـن عقيل إلى الكـوفة يـبايعهم له، وكـان عـلى الكوفة النعمان بن بشير.

فقال النعمان: لابـن بـنت رسـول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إلينا من ابن بحدل!

قال: فـبلغ ذلك يـزيد، فأراد أن يـعزله، فقال لأهل الشام: أشيروا عليّ، من أستعمل على الكوفة؟

فقالوا: أترضى برأي معاوية؟ قال: نعم.

قالوا: فإنّ الصكّ بإمرة عبيد الله بن زيـاد على العراقين قد كتبه في الديوان.

قال: فاستعمله على الكوفة، فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين، وبـايع له مسـلم بـن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة، فنهضوا معه يـريدون عـبيد الله بـن زيـاد، فجعلوا كلّما أشرفوا على زقاق، انسلّ عـنه منهم نـاس، حـتّى بـقي مسـلم في شرذمـة قليلة..

قال: فجعل أناس يرمونه بالآجرّ من فوق البيوت، فلمّا رأى ذلك دخل دار هـانئ بـن عروة المرادي...

الإمامة والسياسة: ٢ / ٩:

.. فضرب بها وجهه حتّى كسرها، ثم قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر.

أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٢ / ٨١:

... قال: فأتني به لتتلافى الذي فرط من سوء رأيك، فأبى فقال: والله لئن لم تأتني به لأضربن عنقك.

قال: والله لئن ضربت عنقي لتكثرن البارقة حول دارك.

فأمر به فأدني منه فضرب وجهه بقضيب أو محجن كان معه، فكسر أنفه وشقّ حاجبه، ثم أمر به فحبس في بعض بيوت الدار.

وأتى مسلماً خبر هانئ فأمر أن ينادي في أصحابه، وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله.

فلم يجتمع إليه إلّا أربعة آلاف رجل.

فعبأهم ثم زحف نحو القصر.

وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلّا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط.

فوجّه محمد بن الأشعث بن قيس وكثير بن شهاب الحارثي، وعدّة من الوجوه ليخذّلوا الناس عن مسلم بن عقيل والحسين بن علي، ويتوعّدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام، وبمنع الأعطية، وأخذ البريء بالسّقيم والشاهد بالغائب.

فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه، حتّى أمسى وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده

يتلدّد في أزقة الكوفة ليس معه أحد!!!.

أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤:

حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا عباد بـن العوام، عن حصين:

أنّ أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين: إنّا معك ومعنا مائة ألف سيف.

فبعث (الحسين) إليهم مسلم بـن عـقيل، فنزل بـالكوفة (في) دار هـانئ بـن عـروة، فبعث إليه ابن زياد فأتي به، فضربه بقضيب كان معه، ثم أمر به فكتف وضربت عـنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أنـاس كثير.

قال حصين: فحدّثني هـلال بـن اسـاف قال: (ثم إنهم) لقد تفرّقوا عـنه، فـلمّا قـلّت الأصوات، فقيل لابن زياد: مـا نـرى مـعه كبير أحد.

فأمر فـرفعت جـرادي فـيها النـار حـتّى

نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين.

فقال ابن زيـاد للـناس: تمـيّزوا أربـاعاً، فانطلق كلّ قـوم إلى رأس ربـعهم، فـنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فـجرح مسـلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه.

ولجأ! (مسلم) إلى دار من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث، وهـو جـالس عند ابن زياد فأخبره بذلك.

فقال (ابن الأشعث) لابن زياد: إنّـه قـال لي: إنّ مسلماً في دار فلان.

فقال: ائتوني به.

فدخل (ابن الأشعث) عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً، فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.

فقال: عفواً!!!

قالوا: ما نملك ذلك، فانطلق معهم! فلمّا رآه أمر به فكتف وقال: أجئت ــ يا ابـن حـلية ــ لتنزع سلطاني؟ وأمر به فضربت عنقه.

قال: و«حلية» أمّ مسلم بن عقيل، وهـي أم ولد[١].

أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥:

قالوا: وخرج عمارة بن صـلحب الأزدي (كذا)، وكان ممّن أراد نصرة مسلم، فأخذه أصحاب ابن زيـاد، فأتـوه بـه، فأمـر بـه فضربت عنقه في الأزد، وبعث بـرأسـه مـع رأس مسلم وهانئ (بن عروة) إلى يزيد بـن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانئ بن أبي حية الوادعي من همدان...

الأخـــبارالطـوال للـدينوري (ت ٢٨٢): ٢٣٨ ـ ٢٤٠:

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروة نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا، فعقد لعبد

١. انظر: «مسلم بن عقيل عليه‌السلام قـصّة شراء والدتـه»، للمؤلّف.

الرحمن بن كريز الكندي على كندة وربيعة، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وعـــقد لأبي ثمـــامة الصـيداوي عـلى تمـيم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار، فتقدّموا جميعاً حـتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس.

وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف! أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكـانوا مـقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنـو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى امسوا.

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده مـن أشراف! أهل الكوفة: ليـشرف كـلّ رجـل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم.

فأشرف كثير بـن شهـــاب، ومحـمد بـن الأشعث، والقعقاع بن شـور، وشـبث ابـن ربعي، وحـجّار بـن أبجـر، وشمـر بـن ذي

الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقّوا عصا هـذه الأمة، ولا تـوردوا عـلى أنـفسكم خـيول الشام، فقد ذقتموهم، وجرّبتم شوكتهم.

فلمّا سمع أصحاب مسـلم مـقالتهم فـتروا بعض الفتور.

وكان الرجل من أهل الكـوفة يأتي ابـنه، وأخاه، وابن عمّه فـيقول: انـصرف، فـإنّ النـاس يكـفونك. وتجـيء المـرأة إلى ابـنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع.

فصلّى مسلم العشاء في المسجد، وما مـعه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً.

فـلمّا رأى ذلك مـضى مـنصرفاً مـاشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كـندة، فـلمّا مـضى قليلاً التفت فلم ير منهم أحـداً، ولم يـصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هـائماً عـلى وجهه في ظلمة اللّيل حتّى دخل على كندة.

فإذا امرأة قائمة عـلى بـاب دارهـا تـنتظر

ابنها، وكانت ممّن خفّ مـع مسـلم، فآوتـه وأدخلته بيتها، وجاء ابنها، فقال: من هـذا في الدار؟

فاعلمته، وأمرته بالكتمان.

ثم إنّ ابن زياد لما فقد الأصـوات ظـنّ أنّ القوم دخلوا المسجد، فـقال: انـظروا، هـل ترون في المسجد أحداً؟ وكان المسـجد مـع القصر.

فنظروا فلم يروا أحداً، وجعلوا يشعلون أطناب القصب، ثم يـقذفون بهـا في رحـبة المسجد ليضيء لهم، فتبينوا، فلم يروا أحداً.

فقال ابـن زيـاد: إنّ القـوم قـد خـذلوا، وأسلموا مسلماً.

وانصرفوا.

فخرج فيمن كان معه، وجلس في المسجد، ووضعت الشموع والقـناديل، وأمـر مـنادياً فنادى بالكوفة ألا برئت الذمّة من رجل مـن العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

فاجتمع الناس، ثم قال: يا حصين بن نمير وكان على الشرطة ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، فإذا أصبحت فاستقرء الدور، داراً، داراً، حتّى تقع عليه.

وصلّى ابن زياد العشاء في المسجد، ثم دخل القصر.

فلمّا أصبح جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعده معه على سريره.

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسرّ إليه الخبر.

فقال ابن زياد: ما سارّ به ابنك؟

قال: أخبرني أنّ مسلم بن عقيل في بعض

دورنا.

فقال: انطلق، فاتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع.

فأقبلوا حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم، فرمى، فكسر فوه، وأخذ، فأتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلى ابن زياد.

تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣:

قال بعد أن نقل قصّة التخطيط لاغتيال ابن زياد[١] في بيت هاني بن عروة:

.. ففهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجّه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم،

١. انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة محاولة اغتيال ابن زياد»، للمؤلّف.

وصحّة نياتهم، فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه..

تاريخ الطبري (ت ٣١٠): ٥ / ٣٥٠ وما بعدها سنة ٦٠:

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

فبينا هو كذلك، إذ خرج الخبر إلى مذحج، فإذا على باب القصر جلبة سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج.

فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم إني إنما حبسته لأسأله، وبعث عينا عليه من مواليه يسمع ما يقول.

فمرّ بهانئ بن عروة، فقال له هانئ: اتق الله يا شريح، فإنّه قاتلي، فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنما

حبسه الأمير ليسأله.

فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا...

فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعبئ ميمنته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده في القصر. فلمّا سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة..

فقال أبو مخنف: فحدّثني الصقعب بن

زهير، عن عـبد الرحمـن بـن شريح، قـال: سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة، قال:

دخلت على هانئ، فلمّا رآنيي قال: يا لله يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ فأيـن أهـل الدين! وأين أهل المصر! تفاقدوا! يخـلّوني، وعدوّهم وابن عدوّهم! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمـع الرجّـة عـلى بـاب القـصر، وخـرجت واتـبعني، فـقال: يـا شريح، إني لأظـنّها أصـوات مـذحج وشـيعتي مـن المسلمين، إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

قال: فخرجت إليهم ومعي حميد بن بكير الأحمري، أرسله معي ابن زياد، وكان مـن شرطه ممّن يقوم عـلى رأسـه، وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به.

فلمّا خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لمّا بلغه مكـانكم ومـقالتكم في صـاحبكم أمـرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمـرني

أن ألقاكم، وأن أعلمكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قـتله كـان بـاطلاً! فـقال عـمرو وأصحابه: فأمّـا إذ لم يـقتل فـالحمد لله، ثم انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدّثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال:

لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فـصعد المـنبر ومـعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطـاعة أئمّـتكم، ولا تخـتلفوا ولا تـفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثم ذهب لينزل، فما نزل عـن المـنبر حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل التّمارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عـقيل! قـد جاء ابن عـقيل! فـدخل عـبيد الله القـصر

مسرعاً، وأغلق أبوابه.

قال أبو مخنف: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال:

أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ، قال:

فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي، وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه!

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت.

وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي

على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر، وغلق الأبواب.

قال أبو مخنف: وحدّثني يونس بن أبي إسحاق، عن عباس الجدلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فو الله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسّك بباب القصر، وليس معه إلّا ثلاثون رجلاً من

الشرط وعشرون رجلاً من أشراف النـاس وأهل بيته ومواليه، وأقـبل أشراف النـاس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذى يلي دار الروميين، وجعل من بالقصر مع ابـن زيـاد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهـم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه، ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابـن الحـصين الحـارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه مـن مـذحج، فيسير بالكوفة، ويخـذل النـاس عـن ابـن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحـذرهم عـقوبة السلطان.

وأمر محـمد بن الأشعث أن يخـرج فـيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع رايـه أمان لمن جاءه من الناس، وقال مـثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بـن ربـعي التميمى وحجّار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العـامري، وحـبس سـائر وجـوه

الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد مـن معه من الناس، وخـرج كـثير بـن شهـاب يخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو جناب الكلبي أنّ كـثيراً ألفى رجـلاً مـن كـلب يـقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قـد لبس سـلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخـذه حـتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فـقال لابن زياد: إنّما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بـن صـلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه.

فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريح الشبامي، فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخـذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بـن شـور

الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فـتأخّر عـن مـوقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهـاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قـومهم، قال له كثير، وكانوا مناصحين لابن زيـاد: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف! الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه.

وأقام النـاس مـع ابـن عـقيل يكـبرون ويثوبون حتّى المساء، وأمرهم شديد.

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخـوّفوا أهـل المـعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخـنف: حـدّثني سـليمان بـن أبي راشد عن عبد الله بن خـازم الكـثيري مـن الأزد، من بني كثير، قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كـثير بـن شهاب أوّل الناس حتّى كادت الشـمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين! يزيد قد أقبلت، وقـد أعطى الله الأمير عهداً: لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّـتكم العطاء، ويفرّق مـقاتلتكم في مـغازي أهـل الشام على غـير طـمع، وأن يأخـذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرت أيديهـا، وتكلّم الأشراف! بنحو مـن كلام هذا، فلمّا سمع مقالتهم النـاس أخـذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد: أنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف فيذهب به، فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلدّد في أزقة الكوفة لا يدري اين يذهب!

ولمّا طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا

هل ترون منهم أحداً؟!

فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!!

ففرعوا بحابح المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون.

فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلى، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلّة التي فيها المنبر.

فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدّة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمّة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى

العتمة إلّا في المسجد .

فلم يكن له إلّا ساعة حتّى امتلأ المسـجد من الناس ، ثم أمر مـناديه فأقـام الصـلاة ، فقال الحـصين بـن تمـيم : إن شـئت صـلّيت بالناس ، أو يصلّي بهم غيرك ، ودخلت أنت فصلّيت في القصر ، فأني لا آمن أن يـغتالك بعض أعدائك!

فقال : مر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون ، ودر فيهم فإني لست بداخل إذاً .

فصلّى بالناس ، ثم قـام فـحمد الله وأثـنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ ابن عقيل السفيه الجاهل!! قد أتى ما قد رأيـتم مـن الخـلاف والشـقاق ، فـبرئت ذمّـة الله!!! مـن رجـل وجدناه في داره ، ومن جاء به فله ديّته ، اتقوا الله عباد الله ، والزموا طاعتكم وبيعتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً .

يا حصين ابن تمـيم ، ثكلتك أمّك إن صاح باب سكّة من سكك الكوفة ، أو خرج هذا

الرجل ولم تأتني به ، وقد سلّطتك عـلى دور أهل الكوفة ، فابعث مـراصـده عـلى أفـواه السكك ، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلالها حـتّى تأتـيني بهـذا الرجـل ، وكـان الحصين على شرطه ، وهو من بني تميم .

ثم نزل ابن زياد فدخل ، وقد عقد لعـمرو بن حريث راية وأمّـره عـلى النـاس ، فـلمّا أصبح جلس مجلسه ، وأذن للناس فدخلوا عليه .

وحدّثنا محـمد بـن عـمار الرازي ، قـال : حدّثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدّثنا عـباد بن العوام قال : حدّثنا حصين :

إنّ الحسين بن علي عليهما السلام كـتب إليـه أهـل الكوفة : أنّه معك مـائة ألف ، فـبعث إليهـم مسلم بن عقيل ، فقدم الكـوفة ، فـنزل دار هانئ بن عروة ، فاجتمع إليه الناس ، فأخبر ابن زياد بذلك .

زاد الحسين بن نصر في حديثه : فأرسـل

إلى هانئ فأتاه، فقال: ألم أوقّرك! ألم أكرمك! ألم أفعل بك! قال: بلى.

قـال: فمـا جـزاء ذلك؟ قـال: جـزاؤه أن أمنعك، قال: تمنعني!

قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكتف، ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير.

فبلغ ابن زياد ذلك، فأمـر بـباب القـصر فأغلق، وأمر منادياً فـنادى: يـا خـيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنّه في ملأ مـن الناس!!!

قال حصين: فحدّثني هـلال بـن يسـاف قال: لقـيتهم تـلك اللـيلة في الطـريق عـند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يمـيناً ولا شمالاً إلّا وذهـبت مـنهم طـائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مـظلمة! ودخلوا المسجد، قيل لابن زيـاد: والله مـا

نرى كثير أحد، ولا نسـمع أصـوات كـثير أحد، فأمر بسقف المسـجد فـقلع، ثم أمـر بحرادى فيهـا النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المـنبر وقـال للـناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كـلّ قـوم إلى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يـقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا.

فخرج مسلم فدخل داراً من دور كـندة، فجاء رجـل إلى محـمد بـن الأشـعث وهـو جالس إلى ابن زياد، فسـارّه، فـقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إنّ مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فاتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فـهو يـغسل عـنه الدمـاء، فـقالا له: انـطلق، الأمـير

يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك.

فانطلق معهما!! حتّى أتاه فأمر به فكتف ثم قال: هيه هيه يا بن خلية ـ قال الحسين في حديثه: يا بن كذا ـ جئت لتنزع سلطاني! ثم أمر به فضربت عنقه..

الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤): ٥ / ٤٨ وما بعدها:

.. قال: فغضب ابن زياد وقال: والله! لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال: إذاً والله تكثر البارقة حول دارك.

فقال له ابن زياد: أبالبارقة تخوفني؟ ثم أخذ قضيباً كان بين يديه فضرب به وجه هانئ، فكسر به وجهه وأنفه وشقّ حاجبه.

قال: فضرب هانئ بيده إلى قائم سيف من سيوف أصحاب ابن زياد، فجاذبه ذلك الرجل ومنعه من السيف، وصاح عبيد الله

بن زياد: خذوه! فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب.

قال: ثم وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيّها الأمير! أمرتنا أن نأتيك بالرجل فلمّا جئناك به وأدخلناه إليك هشمت وجهه وأسلت دمه وزعمت أنّك تقتله.

قال: فغضب ابن زياد وقال: وأنت هاهنا أيضاً؟ ثم أمر بأسماء بن خارجة فضرب حتّى وقع لجنبه.

قال: فحبس أسماء ناحية من القصر وهو يقول: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾، إلى نفسي أنعاك يا هانئ.

قال: وبلغ ذلك بني مذحج، فركبوا جميعهم عن آخرهم حتّى وافوا باب القصر فضجوا وارتفعت أصواتهم، فقال عبيد الله بن زياد: ما هذا؟ فقيل له: أيّها الأمير هؤلاء عشيرة هانئ بن عروة يظنّون أنّه قد قتل.

فقال ابن زياد للقاضي شريح: قم فادخل إليه وانظر حاله واخرج إليهم وأعلمهم أنّه لم يقتل.

قال: فدخل شريح إلى هانئ فنظر إليه، ثم خرج إلى القوم فقال: يا هؤلاء! لا تعجلوا بالفتنة، فإنّ صاحبكم لم يقتل، والذي أبلغكم فإنّه أبلغكم باطلاً!

قال: فرجع القوم وانصرفوا.

قال: وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتّى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدّة والسيوف المسلّلة، فقال:

أمّا بعد يا أهل الكوفة! فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد ﷺ وطاعة أئمّتكم ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

قال: فما أتمّ عبد الله بن زياد الخطبة حتّى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيّها الأمير! الحذر الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه!

قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب.

ذكر مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ وخروجه على عبيد الله ابن زياد!!!

قال: وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه.

قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس.

قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعـلى القصر بأعلى صوته:

ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شـيعة الحسـين بـن عـلي! الله الله في أنـفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإنّ جنود أهل الشام قد أقبلت، وأنّ الأمير عبيد الله بـن زيـاد قـد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنّكم العطاء وليـفرقنّ مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخـذنّ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حـتّى لا يبقي منكم بقيّة من أهل المـعصية إلّا أذاقـها وبال أمرها.

قال: فلمّا سمع الناس ذلك تفرّقوا وتحادوا عن مسلم بـن عـقيل ـ رحـمه الله ـ، ويـقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نـفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله

ذات بينهم.

قال: ثم جـعل القـوم يـتسلّلون والنهـار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقـلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة.

فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومـضى في بـعض أزقـة الكـوفة، وقـد أثـخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها طوعة، فلمّا كان من الغد نادى عبيد الله بـن زياد في الناس أن يجـتمعوا، ثم خـرج مـن القصر وأتى إلى المسـجد الأعـظم، فـصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس! إنّ مسلم بن عـقيل أتى هـذا البلاد، وأظهر العناد، وشـقّ العـصا، وقـد برئت الذمّة من رجل أصبناه في داره، ومن جاء به فله ديّته، اتقوا الله عباد الله والزمـوا

طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يـزيد بـن معاوية، وله في كـلّ يـوم حـاجة مـقضية، والسلام.

ثم نزل عن المنبر ودعا الحصين بـن نمـير السكوني فقال: ثكلتك أمّك إن فاتتك سكّة من سكك الكوفة لم تـطبق عـلى أهـلها أو يأتوك بمسلم بن عقيل! فو الله لئن خرج من الكـوفة سـالماً لنزيـقنّ أنـفسنا في طـلبه، فانطلق الآن فقد سلّطتك على دور الكـوفة وسككها، فانصب المراصـد وجـدّ الطـلب حتّى تأتيني بهذا الرجل...

مــروج الذهب لـلمسعودي (ت ٣٤٦): ٥٨/٣:

.. ولمّا اتّصل خبر ابن زياد بمسلم تحوّل إلى هانئ بن عروة المرادي، ووضـع ابـن زيـاد

الرَّصَدَ على مسلم حتّى علم بموضعه، فوجّه محمد بن الأشعث ابن قيس إلى هانئ، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكـره فأغـلظ له ابـن زياد القول، فـقال هـانئ: إنّ لزيـاد أبـيك عندي بلاء حسناً، وأنا احِبُّ مكافأته بـه، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟

قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهـل بيتك سالمين بأموالكم، فإنّه قد جاء حقّ من هو أحقّ من حقّك وحقّ صاحبك.

فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنـوه مـنه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتّى كسر أنفه وشقّ حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هـانئ بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجـل، ومـنعه السـيف، وصـاح أصـحاب هـانئ بـالباب: قـتل صـاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بـيت إلى جانب مجـلسه، وأخـرج إليهـم ابـن زيـاد

شريحاً القاضي، فشهد عندهم أنّه حيّ لم يقتل، فانصرفوا.

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل!!

فسار إلى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصروه في القصر، فلم يُمْسِ مسلم ومعه غير مائة رجل، فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب! ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق! فنزل عن فرسه ومشى متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجّه، حتّى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سألته عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته......

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج (ت ٣٥٦): ١٠٣ وما بعدها:

وقال عمر بن سعد: عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجاج بن علي الهمداني قال:

لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس: اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تفرّقوا فتختلفوا وتهلكوا وتذلّوا، وتخافوا وتخرجوا، فإنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

فذهب لينزل، فما نزل حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل التمّارين يشتدون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر وأغلق بابه.

وقال أبو مخنف: فحدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن حازم البكري قال:

أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في أثر هانئ لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابي، وقد ملأ الدور منهم حواليه، فقال: ناد «يا منصور أمت».

فخرجت فناديت، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعة، وقال له: سر أمامي وقدّمه في الخيل.

وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وقال له: انزل فأنت على الرجالة.

وعقد لأبي ثمامة الصائدي على تميم وهمدان.

وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، ثم أقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ عبيد الله إقباله تحرّز في القصر، وغلّق الأبواب، وأقبل مسلم حتّى أحاط بالقصر، فو الله ما لبثنا إلّا قليلا حتّى امتلأ

المسجد من الناس، والسوق، ما زالوا يتوثبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره.

ودعا بعبيد الله ابن كثير بن شهاب الحارثي، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيخذّل الناس عن ابن عقيل، ويخوّفهم الحرب، وعقوبة السلطان، فأقبل أهل الكوفة يفترون على ابن زياد وأبيه.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن حازم البكري، قال:

أشرف علينا الأشراف، وكان أوّل من تكلّم كثير بن شهاب. فقال:

أيّها الناس، ألحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا، انتشروا ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم هذه أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق

مقاتليكم في مغازي الشام على غير طـمع، ويأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى فيكم بقيّة من أهل المـعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت.

وتكلّم الأشراف! بنحو من كـلام كـثير، فلمّا سمع الناس مقالتهم تفرّقوا.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد:

أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجـيء الرجـل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف.

فما زالوا يتفرّقون وينصرفون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه إلّا ثلاثون نـفساً، حـتّى صلّيت المغرب، فخرج متوجّهاً نحـو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسـان فمضى متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أيـن يذهب! حتّى خرج إلى دور بني بجـيلة مـن

كندة، فمضى حتّى أتى باب امـرأة يـقال لهـا «طوعة»..

فلمّا طال على ابن زياد، ولم يسمع أصوات أصحاب ابن عقيل قال لأصحابه: أشرفـوا فانظروا، فأخذوا ينظرون، وأدلوا القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال وتدلي وتلهب فيها النار، حتّى فـعل ذلك بـالأظلّة التي في المسجد كلّها، فلمّا لم يروا شيئاً أعـلموا ابـن زياد، ففتح باب السدّة، وخرج ونـادى في الناس:

برئت الذمّة من رجل صلّى العـتمة إلّا في المسجد، فاجتمع الناس في ساعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد: فإن ابن عقيل السفيه الجاهل!! قد أتى ما قـد رأيـتم مـن الخـلاف والشـقاق، فبرئت ذمّة الله!! من رجـل وجـد في داره، ومن جاء به فله ديّته، اتـقوا الله عـباد الله، والزموا طاعتكم، ولا تجعلوا على أنـفسكم

سبيلاً.

يا حصين بن تميم ثكـلتك أمّك إن ضـاع شيء مـــن سكك الكـوفة، أو خـرج هـذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلّطتك عـلى دور أهل الكوفة، فابعث مراصـدة عـلى أفـواه السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور حـتّى تأتي بهذا الرجل، ثم نزل.

فلمّا أصبح أذن للناس، فدخلوا عليه..

الإرشـــاد للشـــيخ المـفيد (ت ٤١٣):
٢ / ٦٧ وما بعدها:

وكان خروج مسلم بـن عـقيل ـ رحـمة الله عليهما ـ بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحـجّة سنة ستّين، وقتله يوم الأربـعاء لتسع خلون منه يوم عـرفة، وكـان تـوجّه الحسـينعليه السلام مـن مكـة إلى العـراق في يـوم خروج مسلم بالكوفة ـ وهو يوم التروية ـ بعد مقامه بمكة بقيّة شعبان وشهـر رمـضان

وشوالاً وذا القعدة وثماني ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّين، وكان قد اجتمع إليه مدّة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

ولمّا أراد الحسينعليه السلام التوجهّ إلى العـراق، طاف بالبيت وسـعى بـين الصـفا والمـروة، وأحلّ من إحرامه وجـعلها عـمرة، لأنّـه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عـليه بمكة فينفذ إلى يزيد بن معاوية، فـخرجعليه السلام مبادراً بأهله وولده ومـن انـضمّ إليـه مـن شيعته، ولم يكن خبر مسلم قد بلغه لخروجه يوم خروجه على ما ذكرناه..

الإرشاد الشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ـ ٥١:

.. وخرج عبيد الله بن زياد فصعد المـنبر، ومـعه أشراف النـاس وشرطـه وحشـمه، فقال:

أمّا بعد: أيّها الناس فاعتصموا بطاعة الله

وطاعة أئمتكم، ولا تفرّقوا فتهلكوا وتـذلّوا وتـقتلوا وتجـفوا وتحـربوا، إنّ أخـاك مـن صدقك، وقد أعذر من أنذر.

ثم ذهب لينزل فما نـزل عـن المـنبر حـتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل باب التّمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عـقيل! قـد جاء ابن عـقيل! فـدخل عـبيد الله القـصر مسرعاً وأغلق أبوابه.

قال عبد الله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هـانئ، فـلمّا حبس وضرب ركبت فرسي، فكـنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ثكلاه!

فدخلت على مسلم بن عـقيل فأخـبرته فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد مـلأ بهـم الدور حوله، وكانوا فيها أربعة آلاف رجل، فناديت: يا منصور أمت.

فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه، فعقد مسلم لرؤوس الأرباع عـلى القـبائل كـندة ومذحج وأسد وتمـيم وهمـدان، وتـداعـى الناس واجتمعوا، فما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسـجد مـن النـاس والسـوق، ومـا زالوا يتوثبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عـمله أن يمسك بـاب القـصر، وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجـلاً مـن الشرط وعشرون رجلاً من أشراف! الناس وأهل بيته وخاصته، وأقبل من نأى عنه من أشراف الناس يأتونه من قبل البـاب الذي يلي دار الروميين، وجعل من في القصر مـع ابن زياد يشرفون عـليهم فـينظرون إليهـم وهــم يــرمونهم بـالحجارة ويشـتمونهم ويفترون على عبيد الله وعلى أبيه...

... وحـبس بـاقي وجـوه النـاس عـنده استيحاشاً إليهم لقـلّة عـدد مـن مـعه مـن الناس.

تــجارب الأمــم لمسكـويه (ت ٤٢١):

٢ /٤٨ وما بعدها:

وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بـالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمـر أن يـنادى بشعاره: «يا منصور أمت»، وكان قد بـايعه ثمانية عشر ألف رجل.

فاجتمعوا إليه، فعقد لجماعة على الأرباع، وقدّم أمامه صاحب ربع كندة، وأقبل نحـو القصر، فتحرّز عبيد الله، وغلّق الأبـواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر، وتداعـى النـاس، واجـتمعوا، حـتّى امـتلأ المسـجد والسوق، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء.

فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكبر همّه أن يتمسّك بباب القصر، وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجـلاً مـن الشـرط، وعـشرون رجـلاً مـن أشراف النـاس، وأهـل بـيته، وجعل من في القـصر يـشرفون فـيشتمهم الناس، ويـفترون عـلى ابـن زيـاد وأبـيه،

ويتّقون أن يرموهم بالحجارة.

فــفتح عــبيد الله البـاب الذي يـلي دار الروميّين ليدخل إليه من يأتيه، ودعا كـثير بن شهاب، فأمره أن يخرج في من أطاعه من مذحج، فيخذّل الناس عن مسلم بن عقيل، ويخوّفهم عقوبة السلطان، وغائلة أمـرهم، وأمر محمد بـن الأشـعث بمـثل ذلك في مـن أطاعه من كندة، أن يـرفع رايـة أمـان لمـن جاءه من الناس، وقال لمثل هؤلاء من أهل الشرف! مثل ذلك.

فخرجوا، وجاءوا بعدّة، فحبسوا، ورجع إليـه الرؤسـاء مـن نـاحية دار الرومـيّين، فدخلوا القصر، فقال لهم عبيد الله: «أشرفوا على القصر فمنّوا أهل الطاعة، وخوّفوا أهل المعصية».

فتكلّم القوم، وقالوا: أيّها الناس! الحـقوا بأهاليكم، ولا تعجّلوا الشرّ، ولا تـتعرّضوا للقتل، فإنّ أمير المؤمنين، قد بعث جـنوده

من الشام، وقد أعطى الله الأمير عـهداً لئن تمّـمتم عـلى حـربكم، ولم تـنصرفوا مـن عشيّتكم، أن يحرم ذرّيتكم العطاء، ويـفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام على غير طـمع، وأن يأخـذ البريء بـالسقيم، والشـاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية، إلّا أذاقها وبال أمرها.

فأخذ الناس ـ كما سمعوا هذا وأشباهه من رؤسائهم ـ يتفرّقون، فكانت المرأة تأتي إلى ابنها، وأخيها، فتقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابـنه، وأخـيه، فيقول: غداً يأتيك جنود الشام، فما تـصنع بالحرب؟ فينصرف به.

فما زال الناس يتفرّقون، حتّى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلّا ثلاثون رجـلاً حـين صلّيت المغرب، فصلّى بهم مسلم.

فلمّا رأى أنّـه قـد أمـسى وليس مـعه إلّا أولئك، خرج متوجّهاً نحو كـندة، فما بـلغ

الأبواب ومعه منهم عشرة.

ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحـداً يـدلّه عـلى الطريق، ولا على منزل! ولا يواسيه بـنفسه إن عرض له عـدوّ، فـبقي مـتلدّداً في أزقّـة الكوفة، لا يدري أين يذهب.

فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لهـا: «طـوعة»، وأخـذ ابـن زيـاد لا يسـمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً، فقال لأصحابه: أشرفوا، فانظروا ما بالهم؟ فأشرفـوا، فـلم يروا أحداً.

قال: فانظروا، فـلعلّهم تحت الظـلال قـد كمنوا لكم، فجعلوا يخفضون شعل النـار في أيديهم، وينظرون: هل في الظلال أحد؟

فكانت أحياناً تـضيء لهـم، وأحـياناً لا تضيء، كما يريدون، فدلّوا أنصاف الطّـنان تشدّ بالحبال، ثمّ تجعل فيها النيران، ثمّ تدلّى إلى الأرض، ففعلوا ذلك من أقصى الظـلال

وأدناها، فلم يروا شيئاً، فعلموا أنّ القوم انصرفوا نادمين.

فأعلموا ابن زياد، فأمر بفتح باب السدّة التي في المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه، فجلسوا حوله قبل العتمة، ونادى: برئت الذمّة من رجل من الشرطة، أو العرفاء، أو المناكب والمقاتلة، صلّى العتمة إلّا في المسجد!

فلم تكن إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد.

فقال الحصين بن تميم: إن شئت، صلّ غيرك، ودخلت القصر، فإنّي لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك، فقال: مر حرسي أن يقوموا ورائي، وزد فيهم، فإنّي لست بداخل بعد أن آثرت الخروج.

فصلّى بالناس، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ ابن عقيل، السفيه الجاهل!! قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمّة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديّته.

ثمّ توعّد الناس، وحضّهم على الطاعة، وخوّفهم الفرقة والفتنة، نادى حصين بن تميم، فأجابه، وكان على شرطه، فقال: ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل، ولم تأتني به، فابعث مراصد على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبرأ الدور، وجس خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل، ثمّ نزل ابن زياد، ودخل القصر..

البدء والتاريخ للمقدسي (ت ٥٠٧): ٦ / ٨:

فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتّى نزل على هانئ بن عروة واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده، وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد عليه اللعنة وهو بالبصرة،

فهمّ إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقاتلوه حتّى دخل قصره وأغلق بابه.

فلمّا كان عند المساء وتفرّق الناس عن المسلم بن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هانئ، ورفعوا مسلماً بين شرف القصر، وقتل أدنى من العضادة ثم ضربوا عنقه..

المناقب لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧:

.. وبلغ ذلك مذحجاً فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم ويعلمهم أنّه حيّ سالم، فخرج إليهم وصرفهم.

ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه، فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه، فتحرّز عبيد الله وغلق الأبواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر، فبعث

عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها، فدخلوا القصر فقال لهم عبيد الله: أشرفوا على الناس، فمنّوا أهل الطاعة، وخوّفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرّقون حتّى أمسى مسلم وما معه إلّا ثلاثون نفساً.

فلمّا صلّى المغرب ما رأى أحداً، فبقي في أزقة كندة متحيراً! فمشى حتّى أتى إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»..

المنتظم لابن الجوزي (ت ٥٩٧): ٥ / ٣٢٦:

.. قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف،

فمضى بهـم إلى القـصر، فأشرف أصـحاب عبيد الله على أهاليهم يـعدونهم ويـقولون: غداً يأتيكم جـنود الشـام، فـتسلّلوا، فمـا اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة..

الكـامل فـي التـاريخ لابـن الأثـير (ت ٦٣٠): ٤ / ٣٠ وما بعدها:

.. وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانئا قد قتل فأقبل في مذحج حـتّى أحـاطوا بـالقصر، ونادى: أنا عمرو بن الحجّاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نـفارق جماعة.

فـقال عـبيد الله لشريح القـاضي، وكـان حاضراً: ادخل على صاحبهم فانظر إليه ثمّ اخرج إليهم فأعلمهم أنّه حيّ.

ففعل شريح، فلمّا دخل عليه قال له هانئ: يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ أين أهـل

الدين؟ أين أهل النصر؟ أيخلّونني وعدوّهم وابن عدوّهم!

وسمع الضجّة، فقال: يا شريح إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّـه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

فخرج شريح ومعه عين أرسله ابن زياد، قال شريح: لولا مكان العين لأبلغتهم قـول هانئ.

فلمّا خرج شريح إليهم قال: قد نظرت إلى صاحبكم وإنّه حيّ لم يقتل.

فقال عمرو وأصـحابه: فأمّـا إذ لم يـقتل فالحمد لله! ثمّ انصرفوا.

وأتى الخبر مسـلم بـن عـقيل فـنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شـعارهم، وكان قد بايعه ثمـانية عـشر ألفاً وحـوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير، فعقد مسلم لعبد الله بن عزير الكنديّ عـلى ربع كندة وقال: سر أمامي، وعقد لمسلم بن

عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعبّاس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، وأقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر وأغلق الباب، وأحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس، وما زالوا يجتمعون حتّى المساء، وضاق بعبيد الله أمره وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشّرط وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف! الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الّذي يلي دار الروميّين والناس يسبّون ابن زياد وأباه.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع

راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذّهليّ وشبث بن ربعيّ التميميّ وحجّار بن أبجر العجليّ وشمر بن ذي الجوشن الضبابيّ، وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم لقلّة من معه.

وخرج أولئك النفر يخذّلون الناس، وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنّوا أهل الطاعة ويخوّفوا أهل المعصية، ففعلوا.

فلمّا سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرّقون حتّى إنّ المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها

«طوعة»...

وأمّا ابن زياد فلمّا لم يسمع الأصوات قال لأصحابه: انظروا هل تـرون مـنهم أحـداً؟ فنظروا فلم يروا أحداً، فـنزل إلى المسـجد قبيل العتمة وأجلس أصحابه حـول المـنبر وأمر فنودي: ألا برئت الذمّة من رجل من الشّرط والعرفاء والمناكب والمـقاتلة صـلّى العتمة إلّا في المسجد.

فامتلأ المسـجد، فـصلّى بـالناس ثمّ قـام فحمد الله ثمّ قال: أمّا بعد فـإنّ ابـن عـقيل السفيه الجاهل!! قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمّة من رجل وجدناه في داره، ومن أتانا به فله ديّته.

وأمرهم بالطاعة ولزومها، وأمر الحـصين بن تميم أن يمسك أبـواب السكك ثمّ يـفتّش الدّور، وكان على الشّرط، وهو من بني تميم.

ودخل ابن زياد وعقد لعمرو بن حـريث وجعله عـلى النـاس، فـلمّا أصـبح جـلس

للناس.

وقيل: وكان مخرج ابـن عـقيل بـالكوفة لثماني ليال مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقيل: لتسع مضين منه.

قيل: وكان فيمن خرج مـعه المخـتار بـن أبي عبيدة وعبد الله بن الحارث بـن نـوفل، فطلبهما ابن زياد وحبسهما، وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بـن ربـعيّ التميميّ والقعقاع بـن شـور، وجـعل شـبث يقول: انتظروا بهم الليل يـتفرّقوا، فـقال له القعقاع: إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا...

تذكرة الخـواص لسـبط ابـن الجـوزي (ت ٦٥٤): ٢١٨ وما بعدها:

قال علماء السير: ولما قدم مسلم الكـوفة نزل على رجل يقال له «عوسجة» ودبّ إليه أهل الكوفة فبايعه مـنهم إثـني عـشر ألفاً،

وقيل: ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الحسين يخبره بذلك، فقام رجل ممّن يهوى يزيد بن معاوية، فدخل على النعمان بن بشير، وكان والياً على الكوفة، فقال له: إنّك ضعيف مستضعف قد فسدت البلاد، وأخبره بقصّة مسلم!

فقال له النعمان: والله لئن أكون ضعيفاً في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون قويّاً في معصية الله والله لا هتكت ستراً ستره الله!

فكتب إلى يزيد بقوله، وكان يزيد أبغض الناس في عبيد الله بن زياد، وإنما احتاج إليه.

فكتب إليه إني قد ولّيتك الكوفة مع البصرة، وإنّ الحسين قد سار إلى الكوفة فاحترز منه، وإنّ مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله.

فأقبل ابن زياد في وجوه أهل البصرة حتّى قدم الكوفة متلثّماً، فما مرّ على مجلس من مجالسهم فيسلّم إلّا قالوا: وعليك السلام

يا بن بنت رسول الله، وهم يظنّون أنّه الحسين عليه السلام، فلم يزل كذلك حتّى نزل قصر الإمارة...

... فقال: آتيني به، فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه ابن زياد بقضيب فشجّه، ومال هاني إلى سيف شرطي ليأخذ سيفه فدفع عنه، فقال ابن زياد: قد أحلّ الله دمك!

واجتمعت مذحج على باب القصر وصاحوا، فقال ابن زياد للقاضي شريح: اخرج إليهم وقل لهم: إنما حبسه ليسأله، فقال له هاني: يا شريح اتق الله، فإنّه قاتلي، فخرج إليهم شريح فقال لهم ذلك، فتفرّقوا.

وبلغ مسلم بن عقيل الخبر، فخرج من دار هاني ونادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فعبأهم وسار إلى القصر.

وكان عند ابن زياد وجوه أهل الكوفة،

فقال لهم قوموا ففرّقوا عشايركم عن مسلم، وإلا ضربت أعناقكم.

فصعدوا على القصر وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءا فسقته، وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل.

وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث فعرفه ابنها فانطلق فأخبر ابن الأشعث، فأخبر ابن زياد، فبعث إليه عمرو بن حريث المخزومي، وكان على شرطته، ومعه محمد بن الأشعث، فأحاطوا بالدار فخرج إليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الأشعث، وجاء به إلى ابن زياد، فأمر به، فاصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه وألقى رأسه إلى الناس، وصلبت جثته بالكناسة، ثم فعل

بهاني بن عروة كذلك فقال الشاعر:

فإن كنت لا تدرين بالموت فانظري
إلى هانئ بالسوق وابن عقيل
أصابهما ريب المنون فأصبحا
أحاديث من يسعى بكلّ سبيل

وقال آخر في ممالاة ابن الأشعث على مسلم بن عقيل:

وتركت عمّك لم تقاتل دونه
فشلاً ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد حزب آل محمد
وسلبت أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الأشعث قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد، وكان قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجّة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم وقيل: يوم رحيله، ولم يعلم الحسين بما جرى في الكوفة.

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق إلى يزيد، وهو أوّل رأس حمـل مـن رؤوس بني هاشم وجـثّة مسـلم أوّل جـثّة صلبت منهم.

كان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سـنة سـتّين، ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مـضين مـن شعبان، فأقام بمكة شهر شـعبان ورمـضان وشوال وذي القعدة، وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء، وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسـلم بـن عقيل بالكوفة.

اللهوف للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤): ٤٧:

.. قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانياً قد قتل، وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة، فأقبل عمرو في مذحج كافة حتّى أحاط بالقصر، ونادى:

أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جمـاعة، وقد بلغنا أنّ صاحبنا هانياً قد قتل.

فعلم عبيد الله باجتماعهم وكلامهم، فأمـر شريحاً القــاضي أن يــدخل عــلى هـاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته مـن القـتل، فــفعل ذلك وأخــبرهم، فــرضوا بـقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخـبر إلى مسـلم بـن عـقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد، فـتحصّن مـنه بـقصر دار الإمـارة واقـتتل أصحابه وأصحاب المسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه، ويحـذّرون أصـحاب مسـلم ويـتوعّدونهم بأجناد الشام، فلم يزالوا كذلك حـتّى جـاء الليل فجعل أصحاب مسلم يـتفرّقون عـنه ويقول بعضهم لبعض: مـا نـصنع بـتعجيل الفتنة وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء

القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم، فـلم يـبق معه سـوى عـشرة أنـفس فـدخل مسـلم المسجد ليصلّي المغرب

تـاريخ مـختصر الدول لابـن العـبرى (ت ٦٨٥): ١١٠:

فأرسل الحسـين مسـلم بـن عـقيل بـن أبي طالب إلى الكوفة ليأخـذ بـيعة أهـلها، فجاء واجتمع إليه خلق كـثير مـن الشـيعة يبايعون الحسين.

وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة فتمّ إلى الكوفة. فسار إليه الشيعة وقـاتلوه حتّى دخل القصر وأغلق بابه.

فلمّا كان عند المساء وتـفرّق النـاس عـن مسلم بعث ابن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا عليه ورفعوه بين شرف القصر، ثم ضربـوا عنقه..

البداية والنهاية لابـن كـثير (ت ٧٧٤): ٦ / ٢٣١:

.. وكان سبب قتل الحسين أنّه كتب إليـه أهل العـراق يـطلبون مـنه أن يـقدم إليهـم ليبايعوه بالخلافة، وكثر تواتر الكتب عـليه من العامّة، ومن ابن عمّه مسلّم بن عقيل.

فلمّا ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية، فبعث إلى مسلّم بن عقيل يضرب عنقه، ورماه مـن القـصر إلى العامّة، فتفرّق ملؤهم وتبددت كلمتهم..

البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣ وما بعدها:

ثم كتب يـزيد إلى ابـن زيـاد: إذا قـدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه.

وبعث الكتاب مع العـهد مـع مسـلم بـن عمرو الباهلي، فسار ابن زياد من البـصرة إلى...

فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة وأمر منادياً فنادى: إنّ الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، فإن أمير المؤمنين قد ولّاني أمركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدّة على مريبكم وعاصيكم، وإنما أنا ممتثل فيكم أمره ومنفذ عهده، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية! وأهل الريب والخلاف والشقاق، وأيما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نفي وأسقطت عرافته من الديوان...

فجاء الأمراء إلى هانئ بن عروة فلم يزالوا به حتّى أدخلوه على عبيد الله بن زياد..

ثم نقل دخول هاني على ابن زياد ما دار بينهما من حوار إلى أن قال:

ثم أمر به فحبسه في جانب الدار وجاء قومه من بنى مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل، فسمع عبيد الله لهم جلبة، فقال شريح القاضي وهو عنده: أخرج إليهم فقل لهم: إنّ الأمير لم يحبسه إلّا ليسأله عن مسلم بن عقيل، فقال لهم: إنّ صاحبكم حيّ، وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم، فتفرّقوا إلى منازلهم.

وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت» فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله، وهو يخطب الناس في أمر هانئ ويحذّرهم من الاختلاف، وأشراف الناس وأمراؤهم تحت

منبره، فبينما هو كذلك، إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب.

فلمّا انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهدّدوهم وتوعّدوهم، وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنّك غدا بجنود الشام قد أقبلت فما ذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثم تقالّوا حتّى بقي في

ثلاثمائة ثم تقالّوا حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردّد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها «طوعة» ....

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن جحيفة قال:

كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجّة، وذلك يوم عرفة سنة ستّين، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم واحد، وكان خروج الحسين من المدينة

إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال والقعدة، وخرج من مكة لثمان مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء يوم التروية.......

فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد فإنّ مسلماً قتل يوم عرفة.

إمتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥): ٥ / ٣٦٣:

ثم ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرّقوا عنه حتّى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل.

الإصابة لابن حجر (ت ٨٥٢) ٢ / ٧٠:

فتلكأ فاستدناه، فأدنوه منه، فضربه بالقضيب وأمر بحبسه. فبلغ الخبر قومه، فاجتمعوا على باب القصر، فسمع عبيد الله الجلبة، فقال لشريح القاضي: اخرج إليهم فأعلمهم أنّني ما حبسته إلّا لأستخبره عن خبر مسلم، ولا بأس عليه منّي.

فبلغهم ذلك فتفرّقوا، ونادى مسلم بن عقيل لمّا بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً من أهل الكوفة، فركب وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كلّ واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم، فكلّموهم فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم.

فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا بقي وحده تردّد في الطرق بالليل، فأتي باب امرأة...

الفهرست

معركة القصر

المدخل

المقدّمة

دواعي النداء بالشعار

يوم الحصار

جيش العسكرين

ميدان القتال

وقت التجمّع والقتال

تخذيل الناس عن مسلم بن عقيل‌عليه السلام

متى بدأ التخذيل؟

المخذّلون

وسائل التخذيل وموادّه

المتأثّرون بالتخذيل

آثار التخذيل

المعركة!!

نهاية الحصار

موقف ابن زياد أثناء الحصار

عوامل الخذلان

موادّ البحث